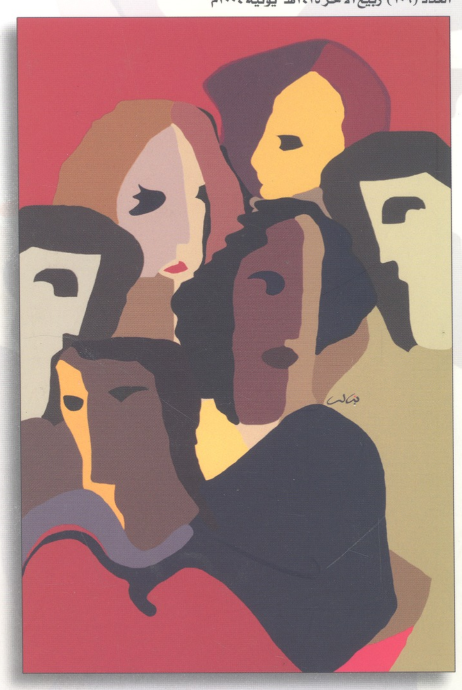
المعرفة 109

العدد (١٠٩) ربيع الآخر ١٤٢٥هـ يونية ٢٠٠٤م

النظم التربوية العربية تتفاعل مع العولمة ولكن.. مظهرياً !

نورة السعد: فشلت في تغيير توجهاتي الفكرية !

هل المناهج التعليمية قادرة على حل الصراع العربي الإسرائيلي؟



«المرأة» في المجتمع العربي : بطولة .. بلا بطل!

المرأة !

محورٌ ، قضيةٌ ، موضوعٌ ، مسألة ..

يبدو أنَّ هذه (الأنثى) شخصيةٌ تفكيرَ الإنسان !

وشاغلتُه على مدى العصور ... وهيَ إنسانٌ !!

أدوارها عديدةٌ ، تتنوعُ ، تتلونُ ، تعلو ، تنخفضُ ،

تُظْهِرُ ، تثيرُ الجدلَ ، حسبَ المواقفَ ... !!

شَغَلَ بها ، الفلاسفةَ ، والمفكرون ، والمتأملون ،

والدينيون .... !

محورُ قابيلَ ، وهابيلَ ...

وقبلهما ؛ أبوهما ... !!

المرأةُ إذن ؛ محورٌ عاليةُ الشأن ، في الشأن الحياتي ..

منذُ من قبلُ ، ومن بعدُ :

شقيقةُ الرجلِ في نوعِ الإنسان ...؟ ذلكَ القولُ الفصلُ

نطقهُ رسولُ البشريةِ ، خاتمُ الأنبياء فوقَ الأرضِ ،

تلك التي جُعلتْ للإنسان ، للعمل والعبادة !! ، فرسمَ محددٌ

دورها مُقننٌ ، حتى تقضي الله تعالى بطيَّها

المرأةُ إذن ، فوق الأرض لرسالة ...

وفي هذا الزمن تداخلتِ القضايا في محور : «استوصوا بالنساء خيراً » ،

و « تخيروا لنطفكم » ، و « اظفر بذاتِ الدينِ تربت يداك » ، ،

و ..... هي المحضنة ؛

فالكونُ حالُ البشريةِ في حالِ فراغِ المحضنِ من مقومات « الإيمان » ،

و« الأخلاق » ، و« العلم » ؟! ثالوث القمارِ والثمارِ ؟!

المرأةُ في صنوته : الصانعة ، أو المانحة ...

فإن توافرَ للمحضنِ مقوماته صنعت ...

وإن خلا المحضنُ منها منحت .

تلك نبذة ، القضيةِ ، المسألةِ ، الموضوعِ ، المحورِ ، المرأةِ

خيرية السقاف

أكاديمية وكاتبة سعودية



مجلة شهرية تصدر عن
وزارة التربية والتعليم

المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١٠٩) - ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ - يونية ٢٠٠٤م

إدارة النشر

rawnaa
Specialized Communication
روناء للإعلام المتخصص

ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الحصة الأولى

لم يكن لدى كثيرمن المعلمين والمعلمات، ومديري المدارس ومديراتها أي فكرة حول كيفية الإجابة عن أسئلة الطلاب والطالبات في المدارس عن الأحداث الإرهابية التي شاهدوا آثارها على شاشة التلفاز، أو عايشوها عيانًا في المدارس القريبة من الأماكن التي حدثت فيها تلك الأعمال الإرهابية.

بل إن بعض مديري المدارس - كما نقلت الصحافة - أكد على معلمي مدرسته عدم التطرق إلى الموضوع ولملمته - قدر الإمكان - إذا أثاره الطلاب في الصف!

وزارة التربية والتعليم تداركت الأمر ووجهت في تعميم عاجل إلى اتخاذ بعض الإجراءات والنشاطات لبيان أخطار تلك الأعمال الإرهابية وإشراك المدرسة فيما يجري خلف أسوارها.

ماذا يمكن أن يقال للأطفال والفتيان والشباب عن تلك الأعمال الإرهابية، وكيف يقال، وبأي مستوى، وما الأجوبة «المثالية» لمجموعة أسئلة يتوقع أن يطرحها الطلاب على أساتذتهم حول هذه القضية؟

الأمر بحاجة إلى أكثر من تعميم عاجل ومختصر. يمكن أن يقوم خبراء شرعيون وتربويون ونفسيون بإعداد «دليل» يساعد المعلمين ومديري المدارس والمرشدين الطلابيين على التعاطي مع هذه القضية التي نأمل ألا نعيد طباعة دليلها. المعرفة

المراسلات

باسم: رئيس التحرير

ص.ب ٢٣٠٠٠٧ - الرياض ١١٣٢١

هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩

فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to:

Editor-in-chief

P.O.Box: 7 Riyadh 11321

Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47

Free Fax: 800 124 2277

info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،

الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،

البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠ بيسة،

اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،

الأردن ١,٢٥ دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،

مصر٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،

المغرب ١٥ درهمًا.

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.

سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض: هاتف: ٤٧٢٧٨٥٨-٤٧٢٧٨٤٦

فاكس مجاني: ٨٠٠١٢٤٢٢٧٧

Subscriptions@rawnaa.com

للإعلان

الرياض: ٤٧٢٧٧٩٢ ـ ٤٧٨٥٣٢٢ ـ فاكس: ٤٧٢٧٨١٨

جدة: ٦٤٢٦٧٧٨ ـ ٦٤٢٧٨٨٩ فاكس: ٦٤٢٨٧٠٠

Advertising@rawnaa.com

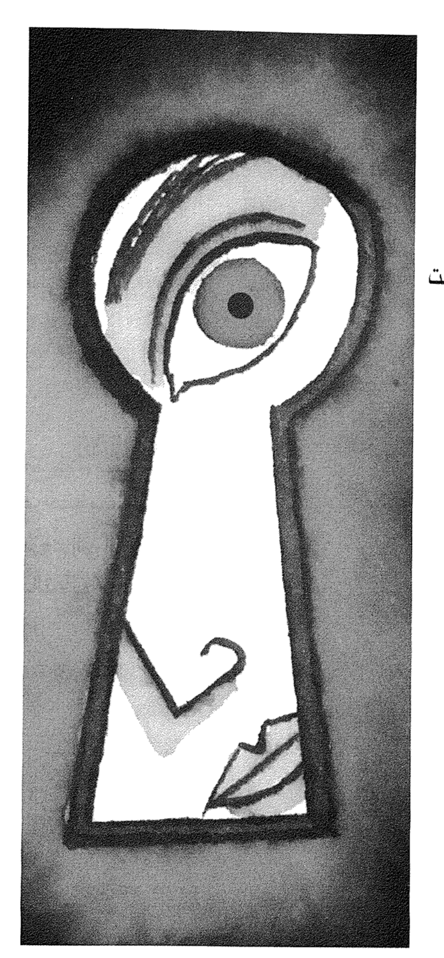
روناء للإعلان والتسويق

ص . ب ٢٦٤٥٠ الرياض ١١٤٨٦

ص . ب ٤٠٧٠٣ جدة ٢١٥١١

الوطنية للتوزيع





المرأة .. الحاضرة دوماً وإن غابت

مساحة القول والفعل والظهور

القضية الحاضرة دومًا ـ مهما تعددت القضايا ـ هي قضية المرأة! ليس في مجتمعنا المحلي أو العربي أو الإسلامي فقط، بل وفي كل مجتمعات الأرض. ليس حاضرًا، بل وعلى امتداد التاريخ.

ولأن المرأة هي نصف نوع الإنسان، فإن قضاياها تؤثر تأثيرًا بالغًا في النصف الآخر.. السيد الرجل. قضية المرأة هي قضية الإنسان إذاً، نوع الإنسان.

من الصعوبة بمكان أن يقال إن «قضية ما هي قضية خاصة بالمرأة.. دون أن تكون قضية الرجل بالمقدار نفسه، وقضية المجتمع بالمقدار الكامل.

وقضية القضايا في مسألة المرأة/ الرجل/ المجتمع، هي قضية دور المرأة الاجتماعي، وحدود مساحة القول والفعل والظهور.

في المجتمع المسلم تحدد النصوص الشرعية كيفية التعاطي مع مجمل هذه القضايا، وعند النظر في النصوص يقوم «المختصون» بالتحقق من قطعية الثبوت وقطعية الدلالات، وحدود هذه الدلالات، وإمكانات تطبيقاتها وتحقيق مناطاتها على أرض الواقع... ولا يمكن لفرد أو أفراد محدودين القيام بهذه المهمة الشائكة، الواسعة التفاصيل وبالغة الأهمية، ومن هنا تأتي ضرورة الحوار والنقاش حول هذه القضية المتجددة بتجدد الأحوال والأزمان.

وقد استشعر «مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني» أهمية الحوار حول قضايا المرأة في المجتمع السعودي في هذا الوقت، فجعل هذا الموضوع هو محور لقائه الثالث، الذي سيعقد نهاية هذا الشهر (ربيع الآخر) في المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

لقد وجدت «المعرفة» الفرصة مناسبة للمساهمة في هذا الحوار الوطني، فكان هذا الملف الذي حاول أن يلامس بعض القضايا المتعلقة بواقع المرأة السعودية بصورة خاصة، وقضايا المرأة العربية والمسلمة بشكل عام. وقد استأثرت المرأة بالجزء الأكبر بالكتابة في هذا الملف، ولكن الرجل «أبى إلا أن» يثبت حضوره رغم أنه حاضر دومًا في مسألة المرأة وبصورة تبدو أحيانًا زائدة عن الحد! المعرفة

طوال خمسة قرون :

٨٠٪ من جهودنا لـ«المحافظة» على المرأة
٢٠٪ من جهودنا لـ«تنمية» المرأة!!

عبدالكريم بكار* . الرياض

*أكاديمي ، كاتب إسلامي .

كلما تفتح وعي الناس على واقعهم، وكلما تفتح وعيهم على ما بينهم من تباينات وتنوعات قفزت (قضية المرأة) لتكون أحد المحاور الأساسية في كل نقاش، بل إن كثيرًا من الاتجاهات والأحزاب الإسلامية وغير الإسلامية يجعلون من موقفهم من المرأة أحد أهم الدلالات على طبيعة اتجاههم وطبيعة نظرتهم للمسائل الوطنية الكبرى. ولهذا فإن تناول مسائل إصلاح المرأة، يتسم بحساسية خاصة لدى الجميع، ولا يكاد يطرح حتى يثير العواصف والزوابع الإعلامية في كل اتجاه وعلى كل مستوى؛ ولهذا فإن التناول له يتسم دائمًا بالحيطة والحذر، ويحتاج إلى الكثير من الاحترازات.

ومن وجه آخر فإن كل الأمم - على ما يبدو - تجعل من المرأة المناط الأساس لشرفها، كما تجعل منها ما يشبه المؤتمن على تواصل الأجيال على المستوى الأسري، وكأن هزّ المرأة للمهد جعل منها القيّم الأول على عملية نقل التقاليد الشعبية واستمرارها عبر العصور.

لا أستطيع في هذا المقال أن أقول كل ما يجب قوله، فلأقصر إذن على ما أراه أكثر أهمية، وذلك عبر الحروف الصغيرة الآتية:

* لا يستطيع أحد فينا أن يزعم أن أحوال المرأة المسلمة على خير ما يرام، فنحن نشكو من سوء حال المرأة المسلمة، كما نشكو من سوء حال الرجل المسلم؛ بل إنه ليس في الغرب أو الشرق من يستطيع أن يدعي أن أحوال نسائه ورجاله مستغنية عن الإصلاح. وإذا كان في الدول الغربية من يتخذ من الحديث عن أوضاع المرأة المسلمة عامة والمرأة العربية خاصة، وسيلة للضغط علينا ووسيلة للتدخل في شؤوننا، فإن هذا لا ينبغي أن يدفعنا إلى التباطؤ في تنمية المرأة المسلمة ودفعها نحو الأمام.

نحن من حيث المبدأ مع كل من يدعو إلى الإصلاح كائنًا من كان، ولكل من يساعد عليه الشكر والعرفان.

* من المهم أن نعترف أنه على مدار العصور الخمسة الماضية - ولك أن تقول القرون - كان جل اهتمامنا مصروفًا إلى صيانة المرأة المسلمة والتفكير في المحافظة عليها ومنعها من الاختلاط بالرجال. قد صرفنا ٨٠٪ من جهودنا في ذلك، وصرفنا ٢٠٪ منها على صعيد تنميتها وإعدادها للمهمات الملقاة على كاهلها.

وكان علينا أن نفعل العكس من ذلك. إننا لا نختلف في أهمية حجاب المرأة وأهمية إبعادها عن مواطن الفتن وإبعاد مواطن الفتن عنها، لكن هذا يجب أن يتساوق مع توفير البرامج والأطر والآليات التي تساعدها على أن تكون الزوجة والمربية والداعية والمواطنة الصالحة والمنتجة. ولو أننا تساءلنا عن المؤسسات التي توفر ذلك لم نجد إلا القليل والقليل جدًا مما يمكن أن نتحدث عنه.

* إن الغرب حين يطالب بإصلاح أوضاع المرأة المسلمة - وكذلك الذين يحتطبون بحباله - ينظر إلى واقع المرأة لدينا، وإلى ما يجب أن تكون عليه، من أفق ثقافته ورؤاه الحضارية، وبما أن الغربيين يجعلون من ثقافتهم ومن منجزاتهم مرجعية كونية شاملة ومتفردة، فإنهم لا يستطيعون أن يدركوا أن العالم وإن كان يستظل بحضارة واحدة، هي حضارتهم إلا أنه يحتفظ لنفسه بتنوع ثقافي هائل. ونحن المسلمين لسنا راضين عن وضع المرأة الغربية، كما أن ما اقتبسته بعض الدول الإسلامية من الغرب على صعيد المرأة سبَّب مشكلات كثيرة، ولم ننتفع منه بشيء ذي قيمة؛ ومن ثم فإننا لا نجد لدى الغرب النموذج المنشود للمرأة المسلمة.

إن أمة الإسلام وهي تحاول النهوض بأوضاع المرأة لديها لا تنطلق من فراغ تشريعي أو معرفي، كما أنها ليست الأمة الطارئة على التاريخ، ولا الأمة التي تشكو العوز على مستوى الأعراف والتقاليد والدلالات الرمزية. إننا بمعنى آخر نملك على مستوى الفلسفة وعلى مستوى التشريع منظومة من القيم والمفاهيم والأحكام التي توجه كل حركات النهوض والتقدم على الصعد كافة بما فيها صعيد المرأة. وإننا بالتالي نعتقد أن الإصلاح الذي يرمي إلى نزع قضية المرأة من تلك المنظومة ليس بإصلاح، وإنما هو تخريب.

تحريم الله - تعالى - للزنا يستلزم بداهة

تأسيس أوضاع، تساعد الرجال والنساء على العفاف من نحو البعد عن اختلاط الجنسين وستر المرأة لمفاتنها، والبعد عن كل ما يهيج الغرائز. وإن كون المرأة ترث نصف نصيب الرجل من الميراث في بعض الحالات - مرتبط بتشريعات أخرى مثل كون الرجل هو المكلف بالإنفاق على الأسرة ومثل كونه هو الذي يدفع المهر وهكذا..

إن كثيرًا من الذين يطالبون بإصلاح شؤون المرأة وفق ما هو سائد لدى العالم الصناعي لا يعيرون أي انتباه لمسألة مهمة، هي أن التقدم على النحو الممتاز يظل مرتهنًا للانسجام بين معتقدات المرء وسلوكاته وأوضاعه العامة، كما أن التوجيهات والتشريعات الإسلامية تعمل مجتمعة في إطار منظومة واحدة، وإن إدخال أي تعديلات جوهرية على أي جزء من أجزاء المنظومة يعوق أداءها الكلي.

* إذا تركنا الثوابت التي لدينا في القضايا المتعلقة بشؤون المرأة، فإننا سنغادرها إلى اجتهادات وتجارب بشرية قاصرة وصادرة عن رؤى إقليمية وجانبية محدودة (والعقل لا يصدر دائمًا إلا عن رؤى جزئية)، وتلك الاجتهادات متغيرة ومتجددة، والارتباط بها لا يعني التبعية لما هو مرحلي ومتطور فحسب، لكنه يعني أيضًا إحداث تصدعات في البنى العميقة داخل مجتمعاتنا، وتشتيت القوى الاجتماعية بين متمسك بالقديم ولاهث خلف الجديد؛ وليس في هذا مصلحة لأي أحد فينا.

حين غزا الأوروبيون إفريقيا في القرن التاسع عشر أبدوا استهجانهم لتكشف المرأة الإفريقية وعدم اهتمامها بستر جسدها، حيث كانت المرأة الأوروبية آنذاك تلبس ثيابًا طويلة سابغة، كما كانت تضع شيئًا على رأسها. واليوم تجاوز العري الأوروبي كل مقاييس الحشمة، وصار ما هو دارج حجة أخلاقية وقانونية يمكن الاتكاء عليها بعيدًا عن أي نصوص دينية أو موروثات ثقافية. وتجاوز الأمر ذلك أيضًا إلى أنه يضيق بلد ذرعًا بقطعة قماش تضعها مسلمة على رأسها، وتصدر القوانين الحاظرة لذلك، مع أن ذلك البلد يوصف بأنه مركز التنوير والإشعاع الحضاري والديموقراطي الأول!!

* إن الاختلاف التشريحي والفزيولوجي بين الرجل والمرأة حدد في الحقيقة إلى مدى بعيد الدور الأساسي لكل منهما في الحياة، فكون المرأة هي التي تحمل وتلد وتُرضع، جعل من الأمور الطبيعية أن تهتم هي بشؤون الأسرة وليس الرجل، كما جعل من الطبيعي أيضًا أن تمكث في البيت أكثر من مكوث الرجل. وهذا يؤثر في مجمل خبراتها الحياتية، ويجعل أداءها لكثير من الأعمال خارج المنزل لا يتم بالكفاءة التي تبدو في أداء الرجل؛ ولهذا فإن المرأة لم تستفد من تشريعات المساواة المطلقة مع الرجال في كثير من بلدان العالم سوى القليل؛ ولا سيما على صعيد الوظائف العليا، فنسبتهن بين رؤساء الدول والوزراء والأمناء والمديرين العامين متدنية جدًا، ولا تقدم الدول المتقدمة شيئًا زائدًا في هذا عما تقدمه الدول النامية. ثم إن كون المرأة أخف وزنًا من الرجل وأصغر حجمًا منه، جعلها غير قادرة على مباشرة الأعمال التي تتطلب درجة عالية من القوة البدنية. وهكذا فالدول التي جندت النساء في جيوشها تكل إليها القيام ببعض الأعمال الإدارية، ولا تكلفها في الغالب بمباشرة القتال. وفي الولايات المتحدة انتهت بعض الدراسات والإحصاءات إلى أن الشرطية تستخدم السلاح، وتقتل من المطاردين أكثر مما يفعله الشرطة الذكور بسبب ضعف القوة البدنية لدى النساء وتوفرها لدى الذكور.

ولا يخفى أن بعضًا من سوء معاملة المرأة وبعضًا من الظلم الذي يقع عليها في كل أنحاء المعمورة، يعود إلى ضعفها البدني مقارنة بالرجل. وإن تأجج العاطفة لدى المرأة إلى حد السيطرة شبه الكاملة على القرار الشخصي وعلى الحاكمة العقلية - لا سيما في أوقات الغضب - يفسر حكمة إعطاء إدارة الأسرة والقوامة للرجل، وجعل الطلاق في يده على نحو عام وليس في يدها. إن كثيرًا من الخديعة للنساء والكثير من التلاعب بهن وتوظيفهن من قبل بعض الرجال في أعمال لا أخلاقية، يتم بوصفه حصيلة نهائية لكل العوامل التي أشرت إليها. وقد أشارت إحصائية حديثة إلى

كثيرون منا لا يظهرون أي استعداد للمناقشة في المزايا والعيوب، ولا ينفتحون على أي رأي مغاير لآرائهم في قضايا المرأة. وقد استسهلوا حظر أي نشاط أو عمل أو إطار لمحوا فيه سلبية من السلبيات. غير مدركين للأضرار الخلقية والنفسية والاجتماعية التي تتعرض لها المرأة بسبب كبح روح المبادرة لديها. وتضييق المجال الحيوي لنشاطها وحركتها

أنه للمرة الأولى في التاريخ تتجاوز نسبة المواليد غير الشرعيين في بريطانيا نسبة المواليد الذين ولدوا داخل مؤسسة الزواج. وفي هذا عبرة لمن يستطيع أن يعتبر!

* نحن ننظر إلى الاختلاف بين الرجل والمرأة على كل المستويات وفي كل الملامح على أنه جزء من عملية التناسق الكبرى التي بثها البارئ - سبحانه - في هذا الكون، فكون قيام الأسرة يشكل أحد أبرز معالم الحياة الاجتماعية في الرؤية الإسلامية - اقتضى وجود الاختلاف بين الرجل والمرأة، حيث يأتي الانسجام هنا من التباين، وليس من التناظر، على قاعدة: «نختلف لنأتلف»، فزيادة العاطفة لدى المرأة ترطب أجواء الأسرة، وتلطف العلاقات داخلها، كما أنها ضرورية جدًا لأداء الخدمة الشاقة في تربية الأطفال. وزيادة درجة المحاكمة العقلية لدى الرجل تساعد على ترشيد قرارات الأسرة، وتوجهها الوجهة الصحيحة. ويحدث الكثير من الخلل حين تتراجع العاطفة لدى المرأة، وحين تطغى لدى الرجل.

كما أننا ننظر من وجه آخر إلى الاختلاف بين الجنسين على أنه معقد الابتلاء في الحياة الاجتماعية، إذ على الرجل أن ينظر إلى التباين بينه وبين المرأة على أنه أداة اختبار له، وعلى المرأة أن تفعل مثل ذلك، وهذا هو البديل الجيد من أن ينظر كل منهما إلى نفسه على أنه محور وعلى الآخر الدوران في فلكه.

* إن أحد أهم المنطلقات في مسألة النهوض بالمرأة



المسلمة يتجسد في النظر إلى أن الأصل في واجبات الرجال والنساء واحتياجاتهم وحقوقهم وآفاق نموهم والفرص التي يجب أن تتاح لهم - هو التوحد والتشابه، وليس الخصوصية والتباين إلا ما دلت النصوص الصحيحة الصريحة والأحكام المعتمدة على الاختلاف فيه. وهذه النظرة مخالفة على نحو جذري للنظرة التي تجعل من التباين بين الجنسين أصلاً، ومن ثم فإن على من يدعي التماثل الإثبات بالأدلة والبراهين. يقول الله تعالى: ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً** ﴾ (سورة النساء: ١٢٤) وقال: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦). وقال سبحانه: ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد لهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥) وقال: ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ (سورة التوبة: ٧١).

إن حاجات المرأة البدنية والروحية والنفسية والترويحية والأدبية والمعيشية لا تختلف عن حاجات الرجل، وينبغي العمل على تلبيتها في إطار خصوصية المرأة ووفق حدود الشريعة الغراء. وللمرأة على الرجل حقوق كما أن للرجل على المرأة حقوقًا، وقد قال سبحانه: ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٨). وقد كان ترجمان القرآن ابن عباس يقول انطلاقًا من هذه الآية: «إني لأحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي»، وذُكر أنه قال في تفسير الآية: «أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه الله عليهن لأزواجهن». وقد اختلف المفسرون في تفسير كلمة (الدرجة) على أقوال، وقد ذهب ابن عباس إلى أن الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة والتوسع للنساء في المال والخُلُق، أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل

٨٠% من جهودنا لـ«المحافظة» على المرأة ٢٠% من جهودنا لـ«تنمية» المرأة!!

على نفسه. قال ابن عطية: «وهذا قول حسن بارع».

إن للمـرأة المسلمـة الحق في أن تتطلع إلى تحقيق ذاتها وإثبات وجودها والقيام بدور ريادي في المجـتـمع عن طريق الدعـوة إلى الله تعـالى وتثقيف الجيل، والمشاركة في الحركة الإصلاحية، والمساهمة في تنمية الاقتصاد، ودفع عجلة التقدم بما لا يؤثر على وظائفها القائمة بها فعلاً من رعاية الأسرة وتنشئة الطفولة، وبما لا يتعارض مع الأطر الشرعية المعروفة في هذا الشأن. إننا لا نستطيع، كما لا يستطيع غيرنا، أن نفصل للنساء الأمور التي تتطلع إليها، أو تحقق ذاتها عن طريقها، فهذا شيء يشرطه الزمان الحاضر ونوعية الحالة الحضارية السائدة. ولا تختلف المرأة في هذا عن الرجل. المهم دائمًا مشروعية الأهداف ومشروعية الوسائل بالنسبة إلى كل منهما.

والحقيقة أن الأمة اليوم بما تعانيه من ضعف في كل المجالات بحاجة ماسة إلى جهود كل أبنائها وبناتها، وهو ما يجعل كثيرًا مما أشرت إليه على أنه حقوق نوعًا من الواجبات الحضارية التي ينبغي إعداد المرأة للقيام بها والنهوض إليها.

* يقول علماؤنا: الخير المحض نادر، والشر المحض نادر، ومعظم الأمور عبارة عن خير يشوبه بعض الشر، وشر يشوبه بعض الخير. وإننا انطلاقًا من هذا سنجد دائمًا بعض الميزات والإيجابيات لكثير من الأنشطة النسائية، كما سنجد أيضًا بعض المثالب والسلبيات لكثير من ذلك. وعلينا من خلال معرفتنا بموازين الشريعة السمحة ومعرفتنا بسنن الله تعالى في الخلق، بالإضافة إلى فهمنا لطبائع الأشياء ومنطقها - أن نقوم بـ(تقويم) الإيجابيات والسلبيات لكل عمل من الأعمال وكل نشاط من الأنشطة التي تحتاج إليها المرأة، وينبغي أن تساهم هي على نحو فاعل وواسع في توضيح الحاجات وتقويم الأنشطة، فما غلبت إيجابياته على سلبياته صارت سلبياته في حكم العدم، وما غلبت سلبياته إيجابياته، صارت إيجابياته كذلك، مع الأخذ في الحسبان أن تقديرنا للمزايا والنقائص كثيرًا ما يكون اجتهاديًا يقبل الخلاف والجدل والرؤية المتعددة. وإذا كان هذا صحيحًا فإن على الأمة أن توحد كلمتها، وتتعاون على تطهير المجتمع من السلوكات والأوضاع المتفق على تجريمها والمتفق على سلبياتها وضآلة إيجابياتها، كما أن عليها أن تبقي الباب مفتوحًا للحوار في الأمور المختلف فيها، وأن تتعلم مع ذلك كيف تتسامح فيما يحتمل تعدد الرؤية وتباين النظر والتقدير من أفق الحكم الشرعي أولاً، ومن أفق النظر العقلي والخبرة المتراكمة ثانيًا.

ومن الملاحظ في هذا الإطار أن كثيرين منا لا يظهرون أي استعداد للمناقشة في المزايا والعيوب، ولا ينفتحون على أي رأي مغاير لآرائهم في قضايا المرأة، وقد استسهلوا حظر أي نشاط أو عمل أو إطار لمحوا فيه سلبية من السلبيات، غير مدركين للأضرار الخلقية والنفسية والاجتماعية التي تتعرض لها المرأة بسبب كبح روح المبادرة لديها، وتضييق المجال الحيوي لنشاطها وحركتها.

إن على أهل الخير والغيرة على المرأة المسلمة أن يدركوا أن الزمان ليس ممتدًا أمامهم إلى ما لا نهاية، وأنهم إذا لم يسعوا على نحو جاد لإصلاح شأن المرأة من أفق مبادئهم ومنطلقاتهم ورؤاهم، فإن غيرهم سينجز المهمة وفق ما يراه، وعليهم آنذاك ألا يلوموا إلا أنفسهم.

* من المهم في كل مشروعات الإصلاح العامة وتلك الخاصة بالمرأة أن نركز على التثقيف والتربية بوصفهما المورد الأكبر لبناء الإنسان من الداخل، وبوصفهما الأداة الأكثر فاعلية لتأسيس ذات حرة كريمة، تحركها المبادئ والقناعات الذاتية، ويكبح جماحها الوجدان والضمير والوازع الداخلي. وقد بات هذا الأمر اليوم أكثر إلحاحًا، حيث أخذت العولمة تهمش كل السلطات: سلطة الدولة والمجتمع والأسرة والمدرسة، وسينتج عن كل ذلك تدهور في سلطة الأعراف والعادات والتقاليد، وهو ما يعني أهمية



استثنائية للرقابة الذاتية والمبادرة الخاصة. التثقيف الجيد القائم على الحوار وتوسيع الأفق وقبول النقد والنظر إلى الأشياء من زوايا متعددة، يساعد الأجيال الجديدة على الشعور بالمسؤولية من خلال شعور بحرية الاختيار. ومن الشعور بالمسؤولية تنبثق الشخصية، ويبزغ فجر الإنسان المبادر والمنضبط ذاتيًا. وإن من المؤسف أننا على مدار التاريخ لم نكن نواجه انحرافات المجتمع وأمراضه وأشكال قصوره بتحسين مستوى التثقيف أو تطوير البنية التربوية، وإنما كنا نواجه ذلك بالإفراط في استخدام القوة وسن المزيد من النظم والقوانين الكابتة للنشاط والمقيدة للحركة. وقد عبر عن هذه الوضعية عمر بن عبدالعزيز، رحمه الله، حين قال: «يحدث للناس من الأقضية على مقدار ما يحدثون من الفجور». ولم نحصل من وراء كل ذلك إلا على أقل القليل من الصلاح والاستقامة والتقدم، لكننا خرجنا أجيالاً من الإمّعات والمهمشين، وأجيالاً من ذوي السلوكات المتناقضة والنفوس الناقمة، والتطلعات المرتبكة. إن التثقيف الجيد يحتاج إلى وقت وإلى جهد وصبر لكن نتائجه مذهلة! وإن طبيعة التدين الحق والالتزام الصحيح تتأبى على القسر والإكراه، وتنمو وتنتعش مع التحفيز والتشجيع والعناية الفائقة.

* تواجه المرأة المسلمة العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وهذه المشكلات منها ما هو خاص بها، ومنها ما هو مشترك بين النساء جميعًا. وإن من سنة الله تعالى، في الابتلاء أن الذي يتحرك في إطار مبادئه وقيمه يجد نفسه يتحرك في مدى أضيق من المدى الذي يتحرك فيه من يمضي وفق رغباته وشهواته المطلقة. وهذه القيود والتكاليف تثقل كاهل الإنسان، ولكنها في الوقت نفسه تشكل وسائله وسبله إلى الرقي والسمو والنجاة. ومثلها في ذلك مثل جناحي النسر يثقلان حين يكون على الأرض لكن بهما يبلغ طبقات الجو العليا. وأنا أشعر أن إحساس الرجال بحجم معاناة النساء ضعيف، وقد تعودنا إصدار الأحكام العامة دون الدخول في التفاصيل، مع أن الشياطين، كما يقولون، تكمن في التفاصيل. وهذا بعض ما أعتقد أنه يشكل أزمات عامة للمرأة المسلمة، على نسب متفاوتة.

كثير من النساء يعانين السأم والملل والفراغ بسبب أن لديهن في البيت من يخدمهن ويحمل عنهن عناء رعاية المنزل. وهناك عدد كبير آخر من نساء المدن والأرياف يجدن أوقاتًا كثيرة في المساء لا يعرفن كيف يملأنها. ونظرت المرأة إلى نفسها فوجدت أنه ليس لديها رسالة سامية تسعى إلى نشرها، وليس لها اهتمام بخدمة اجتماعية تقوم بتأديتها، كما أنه ليس لها هواية نافعة تقوم بممارستها. وكانت النتيجة ضيق الصدر وتراكم الهم. وكان الملاذ في الخلاص من الفراغ هو الجلوس أمام الفضائيات ومتابعة ما فيها من غث وسمين، واللجوء إلى التسوق والتجول في الأسواق، وقد نمت النزعة الاستهلاكية لدى المرأة المسلمة والنزعة نحو التزين على نحو سبقت به المرأة الأوروبية! إن المرأة عندنا تتعامل مع المنتجات الاستهلاكية كما يتعامل السجين مع الطعام، حيث لا يجد ما يمارس حريته تجاهه سواه!

كثيرًا ما نقول: إن الوظيفة الأساسية للمرأة هي رعاية شؤون الأسرة وتربية الأطفال. وهذا حق لا جدال فيه، لكن ماذا تعمل العوانس اللواتي لم يتزوجن؟ وماذا تعمل امرأة لم تنجب؟ وماذا تعمل امرأة كبر أولادها؟ ووجدت نفسها وحيدة بين أربعة جدران؟ وماذا تعمل امرأة تزوجت وطلقت؟ إن هذه الفئات تشكل نسبة لا يستهان بها بين النساء.

هذه الوضعية تحتاج إلى حلول مركبة، قد يكون أولها حفز المرأة على تكوين رسالة دعوية أو اجتماعية أو خدمية تحاول تأديتها والعمل من أجلها. وهذه مهمة وسائل الإعلام في المقام الأول.

ومن تلك الحلول إيجاد أماكن للتسوق خاصة بالنساء، ويمكن داخل تلك الأماكن إيجاد أنشطة تربوية وتعليمية وترفيهية في إطار المباح؛ فذلك يساعد على شغل الوقت بشيء نافع بعيدًا عن مواطن الفتن. ويظل الحل الأكثر نفعًا والأكثر إمكانًا هو إنشاء ما لا يحصى من المؤسسات والأطر الخيرية والتدريبية والتعليمية التي تساعد المرأة على تنمية ذاتها، وعلى أداء دورها في خدمة الأمة. ونحن مقصرون في هذا تقصيرًا كبيرًا. وإن من

على أهل الخير والغيرة أن يدركوا أن الزمان ليس ممتدًا أمامهم إلى ما لا نهاية ، وأنهم إذا لم يسعوا على نحو جاد لإصلاح شأن المرأة من أفق مبادئهم ومنطلقاتهم ورؤاهم ، فإن غيرهم سينجز المهمة وفق ما يراه ، وعليهم آنذاك ألا يلوموا إلا أنفسهم

المؤسف أن المرأة المسلمة تكاد تكون المرأة الوحيدة بين نساء الديانات المختلفة التي لا تذهب إلى مكان العبادة، مع صريح قوله ﷺ:«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»، وقوله ﷺ: «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها»، أخرج الحديثين مسلم في صحيحه. ولا خلاف في أن على المرأة المسلمة إذا خرجت إلى المسجد أن تترك التزين والتطيب، وأن تلبس اللباس الساتر. إن معظم مساجدنا ليس بها أي مكان مخصص للنساء، والأماكن المخصصة في بعضها كثيرًا ما تكون ضيقة ومهملة. والعجيب أن كثيرين ممن يخشون من وقوع نسائهم في الفتنة إذا ذهبت إلى المسجد لا يجدون حرجًا في تجول نسائهم في الأسواق الساعات الطوال من غير رجل يرافقهن، ولا يجدون حرجًا في الذهاب مع أهليهم إلى الحدائق العامة والسفر بهم إلى البلاد الأجنبية!

إن حضور المرأة إلى المسجد ليس من أجل الصلاة فحسب، وإنما من أجل الانتفاع بالموعظة، وممارسة نشاط دعوي وتربوي وتعليمي، يمكن أن ينشأ في دوائر النساء إذا ما نحن ملكنا الرؤية الصحيحة لتنمية المرأة المسلمة.

إن كثيرات من النساء يعانين الأمرين من مشكلة الاختلاط في الدوائر والشركات والمؤسسات، ويتعرضن للكثير من الأذى والتحرش الجنسي، ولا أحد يهتم بهذا، ولا يسلط الضوء عليه. وبعض النساء يعانين انحراف أزواجهن وسلوكهم طريق الرذيلة واستسهال الخيانة الزوجية، كما أن بعضهن يعانين من زوج مدمن على المسكرات أو المخدرات. وبعضهن يعانين من الزوج الذي يسهر مع (شلته) إلى الفجر، ثم يعود إلى البيت لينام سويعات، ثم يذهب إلى عمله، ثم يعود لينام ويأكل، ثم ينصرف إلى أصدقائه وهكذا..!!

هناك نساء كثيرات يعانين ضرب أزواجهن لهن والاعتداء على أموالهن ورواتبهن، وهناك وهناك.. إن كثيرًا من هذه المشكلات جاءت به أو زادت في تفاقمه الظروف الحضارية الراهنة، وإن كل هذا يحتاج إلى مواجهة شجاعة وحلول ناجعة. وأتصور أن علينا أن نقلل من الاختلاط إلى الحد الأدنى، وأن ننشئ أعدادًا كبيرة من الجمعيات والمؤسسات واللجان التي تسعى إلى تثقيف الرجال والنساء بأصول الحياة الأسرية وآدابها، كما تقوم بإصلاح ذات البين وحل المشكلات المتفاقمة بين الزوجين. كما أن علينا أن ننشئ محاكم مستعجلة جدًا وذات شفافية عالية من أجل الأخذ على أيدي الأزواج الظالمين والفاسدين والمهملين.

لا بد أن ننشئ المزيد من الأطر لتوظيف المرأة للاستفادة من مؤهلاتها، ونحن نقول منذ البداية: إن الوظيفة الأساسية للمرأة هي الأمومة والقيام بأعباء البيت والأسرة، لكن هناك نساء تعملن ونلن أعلى الشهادات والأمة في حاجة ماسة إلى عملهن وخبراتهن، وهناك نساء لم يتزوجن والوظيفة بالنسبة إليهن باب للرزق وملء للفراغ. وفي ظل تراجع دخل الفرد في معظم الدول الإسلامية صار معظم الموظفين غير قادرين على توفير المال المطلوب لحياة أسرية كريمة، ويحتاجون إلى مشاركة زوجاتهم في تغطية نفقات الأسرة وهناك وهناك... إن الارتقاء بالحياة يوفر دائمًا المزيد من فرص العمل، وإن بعض الدول خاض تجارب ناجحة في توفير أعمال كريمة من خلال مشروعات (الأسر المنتجة)، كما أن بعض الشعوب الإسلامية تتبع تقليدًا حميدًا في توفير معلمين ومعلمات ومؤدبين ومؤدبات على مستوى عال من الاستقامة والمعرفة من أجل تهذيب وإرشاد الأولاد والبنات في البيوت. وأتصور أن سن تشريعات، في المدن على الأقل، لجعل الذهاب إلى رياض الأطفال منذ سن الرابعة إلزاميًا سوف يقدم خدمة كبيرة للأسر والنساء الباحثات عن العمل.

إننا حين نملك ما يكفي من العزيمة والوعي، فسنجد الكثير من الحلول، وسننجز إنجازات ضخمة للمرأة المسلمة والمجتمع المسلم.

ومن الله الحول والطول.

التثقيف الجيد القائم على الحوار وتوسيع الأفق وقبول النقد والنظر إلى الأشياء من زوايا متعددة، يساعد الأجيال الجديدة على الشعور بالمسؤولية من خلال شعور بحرية الاختيار. ومن الشعور بالمسؤولية تنبثق الشخصية، ويبزغ فجر الإنسان المبادر والمنضبط ذاتيًا. وإن من المؤسف أننا على مدار التاريخ لم نكن نواجه انحرافات المجتمع وأمراضه وأشكال قصوره بتحسين مستوى التثقيف أو تطوير البنية التربوية، وإنما كنا نواجه ذلك بالإفراط في استخدام القوة وسن المزيد من النظم والقوانين الكابتة للنشاط والمقيدة للحركة

هناك من يبذل أقصى جهد لتعطيل النصوص الشرعية أو إضعافها إذا كانت تعطي للمرأة حقوقًا !

واقع المرأة بين العادات والدين

سهيلة زين العابدين حماد* - المدينة المنورة

* أكاديمية، كاتبة سعودية.

تكمن معاناة المرأة السعودية، شأنها شأن المرأة المسلمة، والمرأة العربية في تعامل المجتمع معها بموجب العادات والأعراف والتقاليد رغم تعارض معظمها مع تعاليم الإسلام، وإلباسها لباس الإسلام.

من هذه العادات إعطاء ولي الأمر حقوقًا ليست له، ومعاملة المرأة معاملة ناقصي الأهلية، وترتب على هذا:

حرمانها من حق التعليم:

عانت المرأة في مجتمعنا السعودي، وسائر المجتمعات الإسلامية الجهل، إذ حرمت من قبل ولي أمرها من حق التعليم بحجة أن التعليم يفسد المرأة، ولا تزال حتى الآن تشكل النساء أكبر نسبة في الأمية، ووجود أميات صغيرات يؤكد هذا، بل هناك من الآباء والإخوة من يحرمون بناتهم وأخواتهم من حفظ القرآن الكريم، وهذا لمسته بنفسي خلال رئاستي للمدارس النسوية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة.

حرمانها حق الإرث والأهلية الحقوقية المالية:

بعض الرجال في مجتمعنا يريدون الاستئثار بكل المال، ولا يريدون للمرأة أن تمتلك مالاً، ويستكثرون عليها ملكيتها لأي مال، فيتعاملون معها على أنها ناقصة الأهلية، ويفرضون على المجتمع والدولة التعامل معها بهذه الكيفية، باعتبار الرجل هو صاحب القرار في إعطاء المرأة أي حق أو منعه عنها. فالمرأة لا تستطيع نيل أي حق إلا بموافقة الرجل، وأحيانًا يستصدرون قرارات وأنظمة تؤيد ما يريدونه، وسأوضح هذا في الآتي:

- في بعض المناطق من المملكة العربية السعودية أراد الإخوة الذكور أن ينفردوا بالميراث، وحرمان أخواتهم الإناث منه، بدعوى عدم خروج المال عن نطاق الأسرة بدخول أجنبي فيه، أي زوج الأخت. فبعد وفاة الأب يجمع الإخوة الذكور أخواتهم البنات، ويعطونهن ترضية مالية مقابل تنازلهن عن حقوقهن الشرعية في الميراث، وقد تبلغ الحميّة بالأزواج فيرفضون هذه الترضية، ونجد هؤلاء الإخوة وبعد وفاتهم ترثهم زوجاتهم، فالمال هنا خرج عن نطاق الأسرة، وذهب لأجنبية هي الزوجة، فزوجة ابن المتوفى يكون لها نصيب في الميراث بينما الابنة تحرم منه. وللأسف الشديد رغم مخالفة هذا لشرع الله، وفيه ضياع للحقوق فإننا نجد علماء الدين يسكتون عن هذا الظلم، وحجتهم أن الابنة تنازلت عن حقها، وهي حرة في مالها تتنازل عنه متى ما أرادت، ولا نستطيع إعطاءها حقها إلا إذا رجعت إلى القضاء، مع أنهم يدركون تمام الإدراك أن كثيراً من النساء لا يتنازلن عن حقهن في الميراث بمحض إرادتهن، وإنما تنازلن عنه تحت ضغوط اجتماعية قاسية لا ترحم، فإذا لم تتنازل، ولجأت إلى القضاء ستُعد متمردة وخارجة عن الأعراف والتقاليد، وسيقاطعها إخوتها الذكور، وسينظر لها نظرة ازدراء من قبل أسرتها ومحيطها الاجتماعي، فتتنازل مضطرة.

وهذه المأساة يمكن علاجها بكل بساطة، وهي عن طريق المحكمة وكاتب عدل. فالمعروف أن الميراث لا يوزع على الورثة بالأنصبة المشروعة إلا بعد استخراج صك وراثة من المحكمة، وبالتالي يصدر قرار بأن الميراث لا يوزع إلا بحضور كاتب عدل وفق صك الوراثة، ويكون جميع الورثة حاضرين، ويحصل كل وارث على صك من المحكمة بتحديد نصيبه، وبالتالي لا يستطيع الإخوة الذكور حرمان أخواتهم البنات من ميراث أبيهن. أيضًا لابد

من التوعية الدينية في هذه المناطق، وبيان عظم الذنب الذي يقترفه من يحرم أخته أو ابنته أو زوجه من الميراث.

ولا يقتصر الأمر عند هذا، بل نجد هناك أسرًا في بعض المناطق لا تجيز للمرأة أن تشتري عقارًا باسمها، فمن العيب أن يقال هذا ملك فلانة، لذا تُلزم بأن تكتبه باسم وكيلها الشرعي، وقد يستولي على هذا العقار، وينكر حقها فيه، إذ لا توجد وثيقة رسمية تثبت هذا الحق. وهذا ا ينقلنا إلى قضية الوكيل، فالمرأة عندنا حتى قبل أيام قلائل كانت لا تستطيع مباشرة أموالها وأعمالها بنفسها، ولابد أن يكون لها وكيل يتولى هذه الأمور، والوكيل قد يكون الأب أو الأخ أو الزوج، ومن ثم يتحكم في مالها، ويصبح هو صاحب المال لا هي، وهو يتصرف فيه كما يشاء، وقد يصرف على الأسرة والبيت من مالها إن كان زوجًا، وهو أمام الجميع هو الذي يتولى النفقة على زوجه وأولاده من ماله هو، ولا تستطيع الزوجة أن تتكلم، وإلا أصيبت العلاقة الزوجية بشرخ كبير. وإذا كان الأخ هو الوكيل، فهو أمام المجتمع ولي الأمر المكلف بالإنفاق على أخته، وله حق القوامة عليها، فلا يحق لها عمل أي شيء إلا بإذنه، ولكنه في الحقيقة هو المستولي على أموال أخته، والمتصرف فيها كما يشاء، يعطيها ما يعيشها المعيشة التي يحددها هو لها ليظفر بالباقي لنفسه زاعمًا أنه يعطيها حقها بالعدل والقسطاس، وإن طالبته بكامل حقها يُجن جنونه، ويتهمها بالسفه والإسراف، ويصب عليها جام غضبه، ويقاطعها، وتقف الأسرة إلى جانبه لأنه الرجل، وإن لجأت إلى القاضي فسيقف القاضي إلى جانبه باعتباره الرجل، وأن المرأة ناقصة عقل، وأن الرجل على حق، والمرأة على خطأ!

حدثتني إحدى الصديقات عن موقف أحد قضاتنا من المرأة، من خلال قضية طلاق رفعتها أختها الطبيبة على زوجها لأنه يسيء إليها، وقد تزوج عليها بزوجة أخرى وأسكن زوجته الثانية في البيت الذي بنته الزوجة الأولى من مالها، فكانت أختها تتحدث إلى القاضي، ولكن القاضي لا يعيرها اهتمامًا، وكأنها تتحدث مع نفسها، فكيف سينصفها هذا القاضي؟!

وهناك من القضاة من يرفض التحدث إلى النساء، فقد اتصلت هاتفيًا بمنزل أحد القضاة لأستشيره في مسألة شرعية، وردت عليّ زوجه، وعرّفتها بنفسي، وطلبت أن أتحدث إلى فضيلة القاضي لأعرض عليه مسألة شرعية، فراحت، وعادت قائلة لي: يقول إنه لا يتحدث إلى نساء!

وإنني أتساءل أليست المرأة هي التي سمع الله قولها وهي تجادل رسول الله في زوجها، وشكت إلى الله، وأنزل قوله تعالى: ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله..**﴾(المجادلة١).

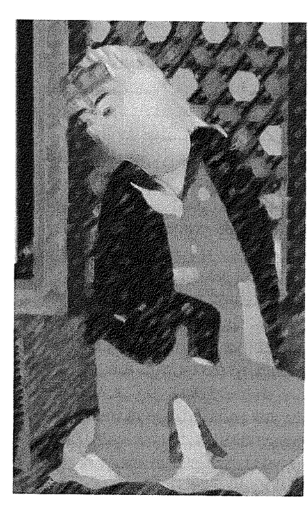
والرسول صلى الله عليه وسلم الذي استمع إلى النساء، وما أكثر الأحاديث النبوية التي تبين هذا! كما كانت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، رضي الله عنها، وافدة النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للمطالبة بحقوق من خلفها من نساء المؤمنين، وقد روت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثمانين حديثًا، فعلى أي أساس شرعي يرفض قاض سماع شكوى امرأة؟

وهل هناك قاضية تسمع شكاوى النساء أم تترك النساء مقهورات، وحقوقهن ضائعة لأنهن نساء؟!

وإن قلنا من حق المرأة تولي القضاء هاج الرجال وماجوا واعترضوا، وحرموا عليها شرعًا هذا الحق الذي من حقها مثلما أقر به كثير من فقهاء الأمة قدامى ومعاصرين.

نعود إلى الوكلاء من ولاة الأمور، فقد يساوم موكلته، فلا يستخرج لها بطاقة شخصية، أو لا يسمح لها بالسفر خارج المملكة إلا إذا تنازلت له عن ما لها عنده من حقوق، بل هناك من الأزواج من يساوم زوجه الموظفة بأنه لا يسمح لها بالسفر مع أولادها خارج

هناك من الآباء والإخوة من يحرمون بناتهم وأخواتهم من حفظ القرآن الكريم، وهذا لمسته بنفسي خلال رئاستي للمدارس النسوية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة



المملكة إلا إذا أعطته مبلغًا من المال يحدده هو. فالنظام عندنا يحرم على المرأة البالغة الرشيد أيًا كان عمرها أن تستخرج بطاقة إلا عن طريق ولي الأمر، حتى لو كان هذا الولي غير قائم بنفقتها، ولا على أي شأن من شؤونها، وهذا يشعر المرأة بالغبن والقهر، وأنها والأَمة سواء لا تملك من أمرها شيئًا، فلمَ لا يسمح للمرأة البالغة الرشيد استخراج بطاقتها الشخصية بنفسها، وجواز سفرها وتجديده؟ فهي كاملة الأهلية شرعًا وقانونًا، بدليل لو ارتكبت جرمًا فستحاسب عليه، وتعاقب بموجبه، ولن يقع العقاب على وليها أو وكيلها، كما أن الإسلام أعطاها حق الولاية على نفسها، وعلى مالها، وعلى بيت زوجها، وحق الولاية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾(التوبة٧١).

أما مسألة عدم سفر المرأة الأرملة إلا بإذن ابنها، أو التي لم تتزوج، وقد توفي أبوها إلا بإذن أخيها مهما بلغت من السن والمكانة، يشعرها ذلك بالقهر والغبن، فالمرأة أكثر حرصًا على نفسها من غيرها، وهذه الأم التي ربت ابنها كيف نعطيه الحق في أن يتحكم في أمه، وهو الذي يعطيها الإذن بالسفر، ولا تستطيع السفر بدون موافقته؟ هذا منتهى الامتهان للأمومة، وإن كنا لا نثق في ائتمان المرأة على نفسها، كيف نثق في حرصها على نفسها في بيتها في بلدها؟! وكيف نثق فيها في تربية أولادنا؟! والتي لا تحافظ على نفسها خارج بلدها هل تحافظ على نفسها داخل بلدها؟! والشرع رخص لها بالسفر مادامت برفقة آمنة مؤمنة، ومن منا ترضى لنفسها أن تسافر بمفردها أو تعرّض نفسها للخطر؟زيادة على ذلك فقد تجبر الظروف المرأة على السفر إلى الخارج للعلاج، ولو أن ولي أمرها الرسمي، وليس الفعلي، مسافر خارج المملكة، فهل تموت المسكينة لأن هذا الولي مسافر؟

وورقة إذن ولي الأمر لها بالسفر ليست هي التي تحميها من المخاطر إن لم تحم هي نفسها منها، وتحافظ على نفسها، هناك سيدات وبنات نراهن برفقة أزواجهن وآبائهن، وهن سافرات متبرجات يرقصن بحضور أزواجهن وآبائهن وإخوانهن أمام الرجال الأجانب، وهناك من الأزواج من يفرضون على زوجاتهم خلع الحجاب ومجالسة أصدقائهم بكامل زينتهن، ويرفضن ذلك، ويفضلن الطلاق على دوام العشرة الزوجية، وهناك من الآباء من يبعثون بناتهم بمفردهن، أو برفقة أمهاتهن للدراسة في دول أوروبية وأمريكية، ويحافظن على أنفسهن، ويعدن ومعهن أعلى الشهادات. فالمرأة هي التي تحافظ على نفسها، وليس وليها، فهناك فتيات ارتكبن خطيئة الزنا، وتعاطين المخدرات، وهن يعشن في كنف آبائهن.

ومن المتناقضات العجيبة في مجتمعنا أنه في الوقت الذي يصرّ فيه الرجل على عدم سفر أمه وأخته خارج المملكة إلا بإذنه نجده يعيّن فتيات صغيرات في مقتبل العمر في قرى نائية عن المدن التي يقمن فيها، ويقطعن يوميًا ذهابًا وعودة مسافة قد تفوق المئة كيلومتر، وقد تزيد المسافة على ذلك برفقة سائق لا تربطهن به أية رابطة، ولكن الرجل يغض الطرف عن هذا، فالإصرار على عدم سفر الأم والأخت مهما بلغت من السن إلا بإذنه هو من قبيل فرض سيطرته عليهما، حتى ولو كان غير قيم عليهما، ولم يقم برعايتهما والإنفاق عليهما، لأن القوامة لها شرطان: أولهما «بما فضل الله بعضهم على بعض»، بمعنى ليس كل الرجال مؤهلين

للقوامة، فالمريض المقعد والعاجز، والمعتوه أو المجنون، أو مدمن المخدرات أو المسكرات، أو المريض مرضًا نفسيًا، أو الفاسق المجرم، واللص، أو الذي يغتصب ابنته أو أخته أوابنة أخيه، كل هؤلاء ليسوا مؤهلين للقوامة.

أما الشرط الثاني للقوامة فهو الإنفاق، وبما أنه لا ينفق على أمه أو أخته، فبأي حق يعطى حق إعطائهما الإذن بالسفر خارج البلاد؟!

ثم إن للمرأة حق الولاية على نفسها بدليل أن عقد زواجها لا يصح إلا بموافقتها، كما لها حق الولاية على بيتها ومالها، ولها حق الولاية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلمَ تعامل معاملة من لا ولاية له كالرقيق والطفل الصغير؟

فهذا النظام أرى ضرورة إعادة النظر فيه، وتعديله بحيث يسمح السفر للأرملة الأم بدون إذن ابنها، وكذلك للفتاة التي توفي أبوها، وهي متولية أمر نفسها، ولا ينفق عليها أخ ولا قريب، وقاربت سن الأربعين. وعلى الرغم من أن النظام يسمح للمرأة إذا بلغت سن الخامسة والأربعين السفر بدون إذن أحد لكنه لا يُعمل به، ونجد السيدة التي في سن الثمانين ومقعدة لا تسافر إلا بورقة إذن من ابنها .

هذا وهناك من الأزواج من يجعلون زوجاتهم يوكلونهم في تسلم رواتبهن، فيستلمه الزوج، ومادام قد دخل جيبه، فإنه يعتبره ملكه، لا يعطيها منه إلا القليل.

وحتى وقت قريب كان مجتمعنا يحرّم على المرأة المساهمة بملايين الريالات في أية شركة - كشركة الكهرباء مثلاً - عضوية مجلس إدارة هذه الشركة، وعليها أن توكل من ينوب عنها. ومن حق المرأة المساهمة أن تطمئن على أموالها، ولها حق المشاركة في الإشراف عليها، مثل ما للرجل حق المشاركة في الإشراف على ماله. ولست أدري لم يحرم عليها ذلك، ويفرض عليها أن توكل من ينوب عنها، في حين بإمكانها المشاركة في اجتماعات مجلس الإدارة عبر الدائرة التلفازية المغلقة، ولكن الأغلبية العظمى من رجالنا يزعمون أنه لا ولاية لامرأة، لفهمهم فهمًا خاطئًا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»، وإصرارهم على أخذهم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب متجاهلين تمامًا قوله تعالى: ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾، وإن حاجتهم بهذه الآية أعطوا للآية معنى آخر ينفي أحقية المرأة في أية ولاية لتكون لهم الولاية والقيادة، ويكون للمرأة الانقياد والاتباع، وتحرم باسم الإسلام من تولي المناصب القيادية، متجاهلين أن الإسلام أعطى للمرأة ذمة مالية خاصة، وولاية وسلطانًا على أموالها: ملكًا وتنمية واستثمارًا وإنفاقًا، مثلها في ذلك مثل الرجل سواءً بسواء.. والولاية المالية من أفعل الولايات والسلطات في المجتمعات الإنسانية، على مر تاريخ تلك المجتمعات، وفي استثمار الأموال ولاية وسلطان يتجاوز الإطار الخاص إلى النطاق العام. متجاهلين أن الإسلام أعطى المرأة حق الولاية على نفسها، فلا يصح تزويجها إلا بإذنها، ولها الولاية في بيت زوجها، وفي تربية أولادها طبقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته،



فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم، وهو مسؤول عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد.

لكن هناك من حرم المرأة حق ولايتها على مالها، ومن الفقهاء من قصر ولايتها على هذه الولاية الخاصة، وحرموها من الولايات العامة، وفاتهم ممارسة المرأة هذه الولاية في عهدي النبوة والخلافة الراشدة، وسبق أن أشرت إلى ذلك، والحديث «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» له مناسبة يغفلها الكثيرون، وحكموا عليه بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب، ومناسبة الحديث أن نفرًا قدموا من بلاد فارس إلى المدينة المنورة، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

– «من يلي أمر فارس»؟

– قال: أحدهم : امرأة.

– قال: صلى الله عليه وسلم: «ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

فملابسات ورود الحديث تجعله نبوءة سياسية بزوال ملك فارس - وهي نبوءة تحققت بعد ذلك بسنوات - أكثر منه تشريعًا عامًا يحرم ولاية المرأة للعمل السياسي العام.

ثم إن هذه الملابسات تجعل معنى هذا الحديث خاصًا بالولاية العامة، أي رئاسة الدولة، وقيادة الأمة، فمناسبة الحديث عن امرأة تولت عرش فارس، واشتراط الفقهاء الذكورة في الولاية العامة يقصرها على الرجال، ولكن هذا لا يحرمها من ولاية الولايات الأخرى.

وإن كان الخالق جل شأنه عندما تحدث عن ملكة سبأ لم يعترض على ولايتها بل نجده جل شأنه قد أثنى عليها لأنها كانت تحكم بالشورى، يقول تعالى: ﴿ **قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون** ﴾ (النمل٣٢)، بينما ذم فرعون مصر - وهو رجل لأنه انفرد بالسلطة وصنع القرار واتخاذه: ﴿ **قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** ﴾(غافر٢٩)، فلم تكن العبرة بالذكورة أو الأنوثة في الولاية العامة، وإنما العبرة بكون هذه الولاية شورية، أم سلطانًا فرديًا مطلقًا[1].

ونفي الولاية للمرأة يشمل كل المجالات حتى المجالات الدعوية، فيرفض رفضًا باتًا وجود المرأة في

كثير من النساء لا يتنازلن عن حقهن في الميراث بمحض إرادتهن . وإنما تنازلن عنه تحت ضغوط اجتماعية قاسية لا ترحم . فإذا لم تتنازل . ولجأت إلى القضاء ستُعد متمردة وخارجة عن الأعراف والتقاليد . وسيقاطعها إخوتها الذكور . وسينظر لها نظرة ازدراء من قبل أسرتها ومحيطها الاجتماعي . فتتنازل مضطرة

عضوية مجالس إدارة الجمعيات الخيرية والرابطات الإسلامية الدعوية، رغم أنها عضوة متطوعة، وتعمل بنشاط، ولكن يطلب منها أن تكون أداة تنفيذية لما يقرره الرجل، ولا يحق لها أن تكون صاحبة قرار، أو تشارك في وضع القرار، وهذا يتنافى تمامًا مع قوله تعالى: ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾.(التوبة ٧١).

ونفي الولاية عن المرأة جعل بعض الناس يعارض عضوية المرأة السعودية في مجلس الشورى، وهذا ما جعل بعضهم ينفي إعطاء الإسلام للمرأة حق الشورى، ويقصر آيات الشورى على الذكور دون الإناث، مع أنها جاءت على صيغة العموم شاملة الذكور والإناث، كما جاءت فرائض الصلاة والصيام والزكاة، وغيرها كثير من الفرائض والعبادات.

والإسلام كما يلزمك بالتزامات، فهو يعطيك بالمقابل حقوقًا، ولكن للأسف هناك من الرجال في مجتمعنا من يريد حرمان المرأة من أي حق يستكثره عليها، يجعلها في موقع الندية معه، فهو يريد أن يكون هو القائد، وهي التابع، وإن قلت له: كيف تحرم المرأة من حق عضوية مجلس الشورى، والرسول، صلى الله عليه وسلم أخذ برأي أم سلمة، رضوان الله عليها، في موقف الصحابة رضوان الله عليهم من صلح الحديبية الذي نص على عودتهم إلى المدينة دون أن يؤدوا مناسك العمرة؟! فيقول لك: هذا مجرد أمر عرضه على زوجته، وقالت

رأيها، وفاته أن تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم مع أزواجه للتشريع، وهذا من حكمة الخاصية التي اختص بها الله نبيه محمد عليه الصلاة والسلام وجعل زوجاته تسع زوجات، ولو فسرنا تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم مع نسائه بهذا المفهوم لعطلنا الكثير من التشريعات.

وعندما تستشهد بحق المرأة في الشورى بأخذ سيدنا عمر بن الخطاب رأي المرأة القرشية التي حاجّته في مسألة تحديد المهور، معلنًا على الملأ: «أصابت امرأة وأخطأ عمر»، واتخاذه من الشفاء من بني عدي بمنزلة مستشارة له - ضعّف هاتين الروايتين رغم صحتهما.

خلاصة القول: فإن من الرجال في مجتمعنا ومجتمعات عربية وإسلامية أخرى يجدُون في تعطيل النصوص القرآنية والحديثية، وإضعاف الروايات التي تعطي للمرأة حقوقًا هم لا يريدونها لها، وللأسف من هؤلاء الرجال فقهاء وعلماء دين، وبذلك نجدهم يلبسون أحكامهم هذه لباس الإسلام، ويعدون من يطالب بهذه الحقوق من الخارجين عن الجماعة، وبالتالي يكفرونهم.

حق البيعة:

كما ذكرت آنفًا فإن آية بيعة النساء آية واضحة وصريحة، وقطعية الدلاله، ومع هذا نجد البعض من يُلبسون مواقفهم لباس الإسلام، ويقولون:إن هذه الآية لا تدل على بيعة النساء للحاكم، فهذه البيعة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم بصفته نبيًا، وليس بصفته حاكمًا، وبالتالي فهي لا علاقة لها بمبايعة النساء للحكام، وفاتهم أن مبايعة الرجال كانت مبنية على آية مبايعة النساء، وكانت بذات الصيغة، وبالتالي فإذا أخذنا بهذا القول لا تكون للرجال أيضًا بيعة للحكام، فقد كانت بيعتهم للرسول كنبي، وليس كحاكم، وهكذا نلاحظ أي خطأ وقعوا فيه! وأي ذنب اقترفوه في سبيل حرمان المرأة حقًا منحها إياه خالقها !وذلك لئلا يكون لها حق الانتخاب، وحق المشاركة في الحياة النيابية، وهذا حق سياسي للمرأة لا يريده الرجل لها.

كما فات هؤلاء أن المرأة بايعت على الدخول في الإسلام كما بايع الرجال، وبايعت في العقبة على تأسيس الدولة الإسلامية، و«التي كانت بمنزلة الجمعية العمومية لعقد تأسيس الدولة الإسلامية»[٢]، ثم اشتركت مع الرجال - يوم الحديبية في البيعة تحت الشجرة على الحرب والقتال، وأنزل الله جل شأنه في تلك البيعة التي لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا**﴾(سورة الفتح:آية ١٨).

كما نزل قوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا**﴾ (سورة الفتح:آية ١٠).

والمرأة عندما بايعت على القتال فقد قاتلت بالفعل، فها هي أم عمارة رضي الله عنها تقاتل قتال الأبطال في أحد دفاعًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما انهزم المسلمون، ولم يبق مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا العدد القليل الذي يعد على الأصابع، فصمدت أم عمارة، وقاتلت وكان معها ضمن من صمد زوجها وولداها، وكانت رسالتها القتالية يومئذ حماية رسول الله، حتى افتدته عندما هجم ابن قميئة يريد طعنه، فتلقت الطعنة في كتفها فداءً للرسول عليه الصلاة والسلام، ولقد دافعت النساء عن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين عندما انهزم عنه الرجال. ومشاركة النساء في القتال كثيرة لا تخفى على علمائنا وفقهائنا.

ولا يقتصر الأمر عند هذا. بل نجد هناك أسرًا في بعض المناطق لا تجيز للمرأة أن تشتري عقارًا باسمها. فمن العيب أن يقال هذا ملك فلانة. لذا تلزم بأن تكتبه باسم وكيلها الشرعي، وقد يستولي على هذا العقار، وينكر حقها فيه. إذ لا توجد وثيقة رسمية تثبت هذا الحق

المشاركة الثقافية ووسائل الترفيه:

تفتقر مجتمعاتنا النسائية إلى وسائل الترفيه والتثقيف، فالرجل في مجتمعنا مستأثر بالأندية الأدبية والرياضية والمكتبات العامة، رغم أن لدينا عددًا كبيرًا من الأديبات والشاعرات والمثقفات، ولكن الأندية الأدبية المنتشرة في مختلف مدن المملكة تقتصر على الرجال من الأدباء، وكأن هذا الكم من الأديبات غير معترف به. فالمسؤولون عن هذه الأندية لم يعترفوا بهؤلاء الأديبات، ولعل نادي المدينة الأدبي قد خطا قبل عامين خطوة رائدة في تكريم بعض الأديبات، ولكن هذا التكريم لا يكفي؛ إذ لابد أن تكون للأديبة السعودية مشاركة فعالة في أنشطة هذه الأندية، وتكون عضوة فعالة فيها، وأفضّل أن تنشئ الرئاسة العامة لرعاية الشباب أندية أدبية نسائية مستقلة عن الأندية الأدبية الرجالية، لأن الأندية النسائية المتفرعة منها ستكون تحت سطوة الرجل وسلطته الذي لم يعترف بالأديبة السعودية، ولن يسمح لها أن تتفوق على الأندية الرجالية، وبالتالي سيضع كل العقبات والعراقيل أمام هذه الفروع النسائية.

والمشاركة الثقافية للمرأة لا تقتصر على الأندية الأدبية، فهناك الصالونات الأدبية. وحسب علمي توجد الآن ثلاثة صالونات أدبية نسائية: أحدها في جدة، وثانيها في الرياض، وثالثها في المنطقة الشرقية. والملاحظ هناك تعتيم إعلامي على هذه الصالونات. وهناك من يتحفظ تجاه هذه الصالونات، وينظر إليها وكأنها مخالفة للأعراف والعادات والتقاليد. وهناك من المتطرفين من ينظر إليها وكأنها مخالفة للشريعة الإسلامية، مع أن الكل يعترف ويقدر الصالونات الرجالية التي تحظى بتغطية إعلامية كبيرة!!!



والمكتبات العامة كلها للرجال، حتى مكتبات الجامعات كمكتبة جامعة الملك سعود التي تخصص بضع ساعات في يوم واحد من أيام الأسبوع للباحثات، وباقي أيام الأسبوع للباحثين.

أما الأندية الرياضية فهي مقصورة على الرجال، فممارسة الرياضة البدنية للمرأة من المحرمات على المرأة باسم الدين، وإقامة هذه الأندية فيها مفسدة كبيرة للمجتمع، هذا رأي بعض علماء الدين في بلادنا. ولست أدري على أي أساس اعتبر أصحاب الفضيلة العلماء أن إقامة أندية رياضية للنساء بدون اختلاط فيها مفسدة؟!

الإسلام اعتنى بالتربية الجسمية كما اعتنى بالتربية الروحية والعقلية والوجدانية والاجتماعية. ومما لا شك فيه أن التربية البدنية من أهم وسائل العناية الصحية للبدن والعقل والنفس، لأنها تقود ممارسيها إلى أحضان الطبيعة حيث الشمس والهواء الطلق فيسبحون ويمرحون ويرفّهون عن أنفسهم، وتقوى أبدانهم وتنمو عضلاتهم وتتحسن وظائف قلوبهم وأجهزتهم التنفسية.

ومن الأدلة على اهتمام السنة النبوية بالتربية البدنية تأكيدها أداء بعض التمارين والمهارات والممارسات الرياضية كالمشي وسباق الخيل والرماية والسباحة.

ومن حثه صلى الله عليه وسلم على ممارسة رياضة المشي ما رواه جابر بن عبدالله: إذ قال: كانت ديارنا نائية عن المسجد، فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقترب من المسجد فنهانا رسول صلى الله عليه وسلم فقال: «إن لكم بكل

خطوة درجة» (صحيح مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة».

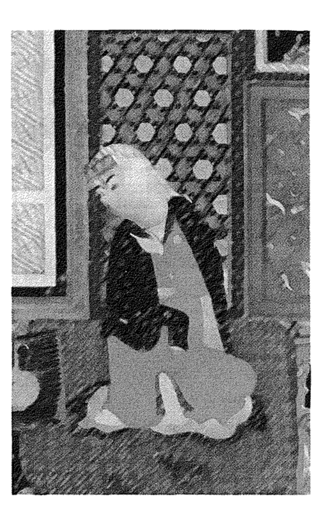
وقد مارس رسول الله صلى الله عليه بنفسه رياضة المشي سواء في تنقله لأداء الصلاة، أو في زياراته أو في هجرته، أو في غزواته ونحوها، هذا مع ملاحظة أن مناسك الحج، وهو من أركان الإسلام، تعتمد على المشي والهرولة، كالطواف حول البيت، والسعي بين الصفا والمروة وأداء غيرهما من الشرائع.

ودعت السنة إلى تعلم السباحة والرماية وركوب الخيل، ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم: عن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» (صحيح مسلم). وقوله صلى الله عليه وسلم: «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيبًا» (المغني/منتخب كنز العمال، رواه الحكيم وأبو الشيخ في الثواب، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي رافع).

وفي حديث للسيدة عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسابق الرسول صلى الله عليه وسلم. ونحن لو رجعنا إلى سيرة الصحابيات الجليلات رضوان الله عليهن نجدهن كن يشاركن في القتال، وهذا يعني أنهن كن يجدن الرماية وركوب الخيل. فعلى أي أساس بنى أصحاب الفضيلة العلماء تحريم إقامة أندية رياضية خاصة بالنساء فقط، يمارسن فيها الرياضة البدنية التي تقوي أجسامهن، وتحافظ على لياقتهن البدنية، والحفاظ على صحتهن. فمعروف طبيًا أن المرأة إن انقطع عنها الطمث يتوقف الجسم عن إفراز مادة «الإستروجين» التي تحافظ على كثافة العظام، وفقدانها يؤدي إلى هشاشة العظام، والمشي وممارسة أنواع الرياضة الأخرى يجعل الجسم يفرز هذه المادة، أيضًا ممارسة المرأة للرياضة تحميها من السمنة ومخاطرها على القلب، كما تحميها الرياضة من تصلب الشرايين، وأمراض أخرى كثيرة. فحماية للمرأة من مرض هشاشة العظام، ومن مخاطر أمراض السمنة، وغيرها من أمراض لابد لها من ممارسة الرياضة البدنية في الهواء الطلق، وهذا لا يتوفر لها إلا في المناطق المفتوحة، وهذا لا يتسنى لها إلا بإنشاء أندية خاصة بها بعيدة عن أنظار الرجال. فرياضة المشي لا تستطيع أن تمارسها في الشوارع فهذا يعرضها إلى المعاكسات، إضافة إلى أن المشي، وهي ترتدي العباءة وتغطي وجهها يجعل المشي مرهقًا لها. أيضًا تعليم بناتنا بعض أنواع الرياضة التي تمكنهن من الدفاع عن أنفسهن إن تعرضن إلى مخاطر الخطف والاغتصاب، ولعل رياضة الجودو وأمثالها بات من الأهمية تعليمها لبناتنا، أيضًا السباحة من أنواع الرياضة الهامة التي ينبغي أن يتقنها الشباب من الجنسين، وتحريم تعلم السباحة على البنات باسم الدين يسيء إلى الإسلام، وكأن الإسلام يرى أن تموت المرأة غرقًا على أن تتعلم السباحة، ونص الحديث: «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيبًا» يوضح أنه يشمل الذكور والإناث معًا، ولو قصرناه على الذكور فقط لقصرنا تعليم الكتابة، والصرف من مال طيب على الذكور فقط!

والذين يضعفون الحديث: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل»، فالحديث السابق

ونفي الولاية للمرأة يشمل كل المجالات حتى المجالات الدعوية، فيرفض رفضًا باتًا وجود المرأة في عضوية مجالس إدارة الجمعيات الخيرية والرابطات الإسلامية الدعوية، رغم أنها عضوة متطوعة، وتعمل بنشاط، ولكن يطلب منها أن تكون أداة تنفيذية لما يقرره الرجل، ولا يحق لها أن تكون صاحبة قرار، أو تشارك في وضع القرار، وهذا يتنافى تمامًا مع قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾



يقويه، ويؤيده حديث في صحيح مسلم عن الرماية.

والذين يقولون عن مسابقة النبي للسيدة عائشة رضي الله عنها إنها لم تسابق إلا زوجها عليه الصلاة والسلام، وكانت متسترة بثيابها وبعيدة عن أعين الرجال، وهنا أقول: وممارسة المرأة للرياضة في الأندية الرياضية النسائية ستكون بعيدة عن أعين الرجال لأنها أندية خاصة بالنساء، ومن منا يرضى لنفسه أو لأخواته وبناته أن يمارسن الرياضة البدنية أمام الرجال؟

وهناك من يقول إن إيجاد مثل هذه الأندية يساعد على افتتان النساء بعضهن ببعض، فإن كان من الطالبات من يفتن بمعلماتهن وهن متسترات، فكيف بمثيلاتهن، وهن مرتديات ملابس الرياضة؟!

وأقول هنا لقد درسنا في مدارس، وأحببنا مدرساتنا حبنا لأمهاتنا وأخواتنا، ولم تحدث فتنة ولا معصية، وهناك حالات شاذة، وإن كنت لم أر هذه الحالات، وإن وجدت فالشذوذ الجنسي ليس مقصورًا على النساء، فهو أيضًا موجود بين الرجال، فلمَ لم تمنع النوادي الرياضية بالنسبة للرجال؟!

ولمَ نعمم الشذوذ، ونصف نساءنا وبناتنا به؟ ألهذا الحد بلغ ببعض الناس الإساءة إليهن؟!

وفي استفتاء عمله الداعية عمرو خالد عن أسباب «الصحوبية»، مصاحبة الفتيات للشبان، كانت النتيجة ٣٣٪ بسبب الفراغ والتسلية، وهذا الاستفتاء كان على مستوى العالم العربي المتوفر فيه وسائل شتى لشغل أوقات الفراغ، فما نسبة فتياتنا في المملكة اللواتي يعانين الفراغ، لعدم توفر وسائل الترفيه البريء لهن في مجتمعنا.

وفي النهاية أتمنى أن يتخلص مجتمعنا من جميع الأعراف والعادات والتقاليد المتعارضة مع الإسلام، وأن يصحح مفاهيمه الخاطئة لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالمرأة، وان يكون الإسلام هو مرجعيتنا في تعاملنا مع المرأة، وأن تنال المرأة كامل حقوقها التي منحها إياها الإسلام، وكما نالتها الصحابيات الجليلات رضوان الله عليهن. وأنا في الحقيقة أحيي معالي وزير التجارة على قراره الشجاع العادل الذي نص على إلغاء الوصاية عليها وعلى مالها من قبل الوكيل، بإلغاء اشتراط الوكيل في إنجاز المرأة أعمالها التجارية، وبالتالي تم إطلاق سراح ٩٠ مليار ريال كانت مجمدة بسبب خوف المرأة من استغلال الوكيل لها، وكم أتمنى أن تحذو سائر الجهات الحكومية حذو وزارة التجارة، وتلغي وصاية الرجل على المرأة، فالمرأة أمام الشرع والقانون كاملة الأهلية، وتطبق عليها جميع العقوبات من قصاص وحدود وتعزير، ولا تسقط عنها أي عقوبة لأنوثتها، وبالتالي، فينبغي أن تعامل معاملة كاملي الأهلية في سائر شؤون الحياة ليستقيم العدل. ■

الهوامش

١ - د.محمد عمارة: التحرير الإسلامي للمرأة ١٤٢١هـ، ص ١٠٥.

٢ - د.محمد عمارة: نفس المرجع، ص ٣٥.

أهداف تعليم المرأة السعودية وضعت قبل أربعين عامًا

مطلوب مجالات تعليم وفرص عمل جديدة

سهيلة محسن الإبراهيم *. الرياض

* جامعة الملك سعود ـ كلية الخدمة الاجتماعية.

مساهمة المرأة السعودية في التنمية يرتبط بثلاثة محاور رئيسة تمثل أبرز الأدوار التي تساهم بها المرأة، أولها: مساهمتها غير المحسوبة اقتصاديًا كونها تعمل في المنزل، والثاني: ضعف مساهمتها في القطاع العام (المؤسسات الحكومية). والثالث: انخفاض مستوى مساهمتها في القطاع الخاص (المؤسسات الأهلية والشركات الخاصة).

بداية لا بد من القول إن إشكالية عدم شمولية الأرقام لمساهمة المرأة إلا في مجالات الاقتصاد النشط أو القطاع العام هو ليس مشكلة لدينا فقط، بل إن هناك اتفاقًا جمعيًا بين الدارسين والباحثين حول ثبوت مساهمة المرأة في الشؤون الاقتصادية وأنه أكثر مما هو محسوب فعليًا، وأن إسهام المرأة الفعلي غالبًا ما يتعرض إلى الإقلال من شأنه!

ومن ناحية أخرى فإن جهودها داخل المنزل بعيدة عن الحسابات الاقتصادية. وعلى سبيل المثال في هذا الصدد نجد أن المرأة تنتج أكثر من نصف المواد الغذائية التي ينتجها العالم النامي! وأنها تمثل ربع القوى العاملة الصناعية في مجتمعات نامية أخرى، كما أنها تساهم في بعض المجتمعات بأكثر من نصف دخل الأسرة (الفلبين والنيبال). وبالرغم من أنها تتحمل مسؤولية تربية الأبناء وأداء الواجبات المنزلية فإن خطط التنمية تتجاهلها، وإذا ذكرت فيها فيكون في حدود الدور التقليدي لها!

إن دور المرأة - من هذا المنطلق - يعد دورًا غير واضح، ومن هنا فحالنا لا يختلف كثيرًا عن حال من هم حولنا، لم نفهم التنمية بمعناها التربوي والأخلاقي، ففي رأيي أن التنمية هي عملية تربوية أخلاقية، لا تهدف إلى حل المشكلات فحسب (أمية، وتوظيف، ومستوى اقتصادي ...إلخ)، ولا إلى تشييد المباني العالية، بل هي شيء أكبر من ذلك بكثير، هي تربية المجتمع بكل أفراده ليطور نفسه بنفسه، بحيث تصبح لديه قدرة ذاتية تدفعه نحو التقدم، فلا يبقى عالة على المجتمعات الأخرى، فيكون مستهلكًا أكثر من كونه منتجًا، وآخذًا أكثر منه معطاء، بل يكون مجتمعًا قادرًا على الإنتاج واستثمار ما يملك من إمكانات بكفاءة قادرة على مغالبة الصعاب، وعلى التفاعل بإيجابية، وعلى قدم المساواة مع غيره من المجتمعات الأخرى.

وإذا كان التغيير هو المقصود من عملية التنمية. فإن أداتها هي المشاركة التي تعزز الانتماء والمسؤولية الاجتماعية، ويفرضها الدين والشريعة. فالله سبحانه وتعالى كلف الرجل والمرأة ببناء المجتمع، ورسم لكل منهما دوره، وترك بينهما مساحة مشتركة يتحرك كل منهما فيها، فإذا كان السلف الصالح قد فهموا هذا الأمر تمامًا من رسول الله ﷺ حين كان يساعد أهله في شؤون البيت، ويرقع ثوبه ويخصف نعله، وفي الوقت نفسه يدير الدولة الإسلامية!! ومن أمهات المؤمنين والصحابيات حين كن يخرجن محاربات ومضمدات الجرحى، ومسؤولات عن التموين في أوقات الضرورة في الغزوات والحروب دون إهمال لمسؤولياتهن في البيت والتربية. فما المفهوم الجديد لعمل المرأة؟ ما فهمنا الجديد للانتماء والمسؤولية الاجتماعية؟ وكيف نحول كل ذلك إلى سلوكيات وأفعال؟ وهل فهمنا مقصد الشريعة كما فهمه السلف الصالح في تقسيم العمل وتحديد الأدوار؟ يجيب أحد الباحثين بأننا لم نفهم ذلك، لأن لكل من المرأة والرجل خصائص مميزة ترسم له أعمالاً لا لحسابه الخاص ولا لحساب جنسه، بل لحساب هذه الحياة الإنسانية التي تقوم وتنتظم وتستوفي خصائصها. إن تنويع الخصائص يعني تنويع الوظائف ويتبعها تنويع التكاليف كل ذلك لحساب المنظومة الكبرى وهي الحياة.

أما عن مساهمة المرأة في القطاع العام أو الخاص، فلا شك أنه يرتبط بالتعليم ارتباطًا كبيرًا، والتعليم للبنات في المملكة العربية السعودية بدأ متأخرًا (١٩٦٠م)، وبالرغم من ذلك حققت الفتاة السعودية نجاحًا يفوق الذكور على جميع المستويات، وخصوصًا في المرحلة الجامعية والدراسات العليا.

وقد حقق هذا التعليم الذي ركز على كمية المخرجات أكثر من تركيزه على نوعيتها - نتائج نفتخر بها، ولكن هل هذا كاف؟ لنأخذ أي مؤسسة تعليمية كبناء ووظيفة، من الفريق العامل فيها؟ المديرة والمساعدة والمعلمات والإداريات، هذا كان قبل ثلاثين سنة، أما اليوم فلا بد أن يختلف الأمر، لم تعد المدرسة كذلك، فقد تعقّد المجتمع، وظهرت مشكلات اجتماعية كثيرة لا بد من التعايش معها، نعم هي

مشكلات تختلف من مجتمع لآخر لكنها موجودة بنسب متفاوتة. ونحن اليوم لا نخاف على مجتمعنا من مشكلاتنا العادية، وإنما نخاف أيضًا من مشكلات المجتمعات الأخرى، والتي أصبحت تنتقل إلينا أسرع من البرق!! فكيف نتعايش معها ونجعل من المدرسة مؤسسة يمكنها أن تساهم في إعداد أجيال قادرة على التعامل مع مثل هذه المشكلات وتخطيها؟ ماذا نحتاج اليوم ضمن الهيكل البنائي للمدرسة ليكون قادرًا على أداء هذا الدور؟ أعتقد أننا نحتاج إلى إضافة جديدة على ما ذكر، نحتاج إلى اختصاصية اجتماعية، وممرضة، واختصاصية تغذية، ومحاسبة، واختصاصية أنشطة، واختصاصية حاسب آلي، ومدربات حاسب آلي، ومرشدة طلابية، وسكرتيرات ماهرات، وموظفات صيانة يتميزن بالمهارة العالية، وإلى فريق عمل غير منظور من المدربات التربويات المتخصصات بعلم النفس والاجتماع والعلوم الأخرى لعمل دورات تنشيطية طوال العام الدراسي للمعلمات والهيئة الفنية والإدارية في المدرسة، كل ذلك لتحويل وظيفة المدرسة من تعليم يستند إلى التلقين والحفظ فقط إلى عملية بناء شاملة للفرد، تسلحه بالمعرفة الواعية العميقة والمهارة العالية، وتبني فكره على المنهج التحليلي والاستنباطي،

واقع ومستقبل عمل المرأة السعودية

إيمان سليمان ميمش *. أبها

أصبح من الضروري إيجاد الحلول المناسبة لوضع المرأة السعودية في سوق العمالة الوطنية، وبحث المشكلات والعقبات التي تعترض عمل المرأة، والبحث عن البدائل المناسبة التي تجعل من مساهمتها ظاهرة ملموسة. وأرى أنه يمكن تلخيص تلك المساهمات على النحو التالي:

* دعوة علماء الدين إلى تسليط مزيد من الضوء على موقف الدين الإسلامي من موضوع عمل المرأة، وإبراز الجوانب المختلفة في عمل المرأة وفقًا لما ورد في القرآن والسنة، وذلك لإزالة كثير من الغموض أو اللبس تجاه عمل المرأة.
* زيادة التخصصات العلمية للمرأة في الجامعات والكليات والتقليل من التخصصات الإنسانية والاجتماعية لعدم الحاجة إليها في الوقت الحاضر.
* إيجاد مجالات عمل أوسع للمرأة سواء في الأماكن الحكومية التي تضطر المرأة إلى مراجعتها أو في سوق العمل.
* العمل على إيجاد حلول لمشكلة المواصلات التي تعانيها المرأة السعودية العاملة.
* العمل على تقليل المسافات بين مقر عمل المرأة ومنزلها، وذلك بتعيينها في الأماكن القريبة من المنزل قدر الإمكان.
* زيادة الامتيازات التي تقدم للمرأة العاملة لكي تشعر بالطمأنينة تجاه أطفالها، وذلك بإيجاد دور للحضانة ذات مستوى عال سواء من حيث القائمات عليها أو الأنظمة والقواعد التي تعمل في ظلها والإمكانيات المتوفرة فيها.
* زيادة إجازة الحمل والوضع للمرأة بما يتفق مع ظروفها التربوية، فقد تكون تلك الزيادة حافزًا لمزيد من مساهمات المرأة في سوق العمل.
* تهيئة الفرص التدريبية للمرأة العاملة للرفع من كفاءتها وقدراتها وتهيئتها لمواجهة متطلبات العمل المتجددة.

وأرى أن هناك أعمالاً يمكن للمرأة السعودية القيام بها خلافًا للوظائف المعتادة حاليًا ومثالها:

* أعمال إدارية في جميع الجهات التي تضطر المرأة التعامل معها مثل: المحاكم والبلديات، وكتابة العدل والاتصالات وغيرها.
* إقامة مصانع نسائية تديرها وتعمل بها النساء فقط (للمواد الغذائية، والمواد الحرفية، والنسيج والسجاد، والملابس وتصميم الأزياء والمشغولات الذهبية..).
* هندسة الديكور ولتصميم الداخلي.
* إنشاء مراكز للحاسب الآلي والعمل بها.
* باحثة ومحققة قانونية للنساء والأحداث.
* إنشاء أسواق تجارية خاصة بالنساء والعمل بها.
* التوسع في إنشاء المكتبات النسائية ومراكز للأبحاث والعمل بها.
* إنشاء جامعات خاصة بالنساء وتوفير فرص العمل بها.

*عميدة كلية التربية للبنات. أبها.

وتشجعه على المبادأة والابتكار.

ومن الصعوبات التي تواجه تعليم المرأة السعودية تلك المرتبطة بالمخرجات التعليمية من حيث نوعية وكفاءة القائمات عليه، وخصوصًا في المؤسسات الحكومية، فنجد الكثير من المعلمات لا يسعين لتحسين أدائهن من خلال الدورات التدريبية، ولا سيما من قضين فترات طويلة في حقل التدريس، ونظام التعليم الذي يسمح للبقاء في الوظيفة مهما كان مستوى الأداء، والتساهل في أمور أخرى مثل: الغياب، وعدم التحضير للدروس، وضعف سبل المراقبة أو التوجيه، أو حتى عدم إعطاء صلاحيات للمديرة أو الموجهة في اتخاذ إجراء حيال المتهاونة في عملها، كل ذلك كان مما أضعف مخرجات التعليم.

إن تنويع مجالات التعليم، والخروج من دائرة التقليدية فيه، خصوصًا في الوقت الحالي الذي تشعبت فيه العلوم بشكل كبير، وظهرت تخصصات لم تكن معروفة في السابق يحتاج إلى تطوير التنسيق بين سياسات المؤسسات التعليمية حتى لا تواجه الأعداد الهائلة من الخريجات مشكلة البطالة أو البطالة المقنعة، فتضطر إلى قبول أي وظيفة تعرض عليها.

وعمومًا فإن فلسفة وأهداف تعليم المرأة وضعت قبل أكثر من أربعين عامًا، وهي تحتاج إلى تعديل في بعض بنودها، كما يحتاج الهدف من التعليم بالنسبة للمرأة إلى توضيح، وإلى دراسة واعية. وعندما يحدث ذلك بحسب المفاهيم الجديدة ستضاف مناهج متطورة تناسب العصر الحالي الذي ينتظر من المرأة السعودية مشاركة أوسع فيه في ضوء الشريعة السمحة.

إن الاهتمام بمخرجات التعليم العام، والارتقاء بمستواه وتطويره - يتيح للتعليم الجامعي أن يكون مفيدًا ومشبعًا لاحتياجات المجتمع. وبذلك نتجنب الهدر الحاصل في المرحلة الجامعية من رسوب وانسحاب وإعادة.

ومن الأهمية البالغة أن تشمل السياسات التعليمية (بالإضافة إلى التعليم الجامعي) التعليم المهني للمرأة، والذي يعمل على تخفيف الضغط الواقع على الكليات. ففي الدول المتقدمة نلاحظ أن أقل من ٤٠٪ من خريجي المرحلة الثانوية يذهبون إلى الجامعات والبقية تستقطبهم الكليات المتوسطة المهنية أو المؤسسات الكبرى التي تعمل على تدريبهم وتوظيفهم.

وإذا ما خرجنا من دائرة تعليم المرأة السعودية لندخل إلى دائرة عملها، نجد أن محدودية التعليم الجامعي قد أثر في عدم توفير مجالات وفرص متنوعة وجديدة. أربعون عامًا ونحن محصورون في مجالات محدودة، بالرغم من وجود كثير من المجالات التي لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، والتي تناسب الفتاة السعودية. لقد سمعنا بلجان كثيرة شكلت، وندوات ومحاضرات، والنتيجة ليس هناك أي تغير يذكر، في رأيي نحن محتاجون إلى لجنة عليا أو مجلس أعلى وظيفته التخطيط لدور المرأة في التنمية، على أن تشكل من الأكاديميات السعوديات لرسم الخطوط العريضة لذلك الدور مع الاستفادة من توصيات البحوث العلمية والدراسات والمؤتمرات التي ما زالت فوق الرفوف يعلوها التراب!

ومن المشكلات الأخرى بالنسبة لعمل المرأة هو تكدس الخريجات في فروع معينة على حساب فروع أخرى، وهذا أمر ليس سهلاً، خصوصًا إذا ما عرفنا تكلفة الطالبة لحين تخرجها. إن هذه المشكلة سوف تتفاقم في المستقبل القريب، إذا لم تستحدث سياسات جديدة لتلافي الموضوع، فإذا ما عرفنا بأن التركيبة السكانية للمملكة نصفها تقريبًا ممن هم أقل من ستة عشر عامًا فماذا سيكون المستقبل أمامهم؟! من هنا كان لزامًا أن تكون من سياسة الحكومة تشجيع القطاع الخاص (المؤسسات الأهلية والشركات) ليكون له دور أكثر وضوحًا وفاعلية، وكذلك تشجيع الصناعات الصغيرة، والمشروعات البسيطة التي يمكن أن تكون البداية لمؤسسات كبرى. وهناك العديد من المجالات يمكن الاستثمار فيها مثل المشروعات الصناعية النسوية، والتي لا تلجأ فيها المرأة إلى الاختلاط، كصناعات الأغذية، وتصميم وخياطة الملابس والعباءات، وتصميم المجوهرات، والتأليف والترجمة، والترويج لبعض الصناعات.

كل ذلك يستدعي بضرورة الأمر تحضيرًا منذ المرحلة الجامعية بحيث يكون ضمن الأنشطة اللاصفية في الكليات، وتدريب للمرأة على كيفية وضع خطة لمشروع بسيط، وعلى إجراء معاملات بنكية أو فتح اعتمادات أو أخذ قروض. ■

استثمر أموالاً طائلة في تعليمها وتدريبها

حق المجتمع في عمل المرأة

عبدالواحد الحميد* - الرياض

* وكيل وزارة العمل .

ما زالت مشاركة المرأة في سوق العمل بالمملكة العربية السعودية ضئيلة قياسًا إلى ما بلغته من مستويات متقدمة في التعليم. ففي حين يفوق عدد خريجات المرحلة الثانوية عدد خريجي هذه المرحلة، وفي حين يفوق عدد خريجات المرحلة الجامعية عدد خريجيها، نجد أن مشاركة المرأة السعودية في سوق العمل أقل مما ينبغي بكثير.

لقد بلغ عدد خريجات المرحلة الثانوية العامة في ١٤٢٢هـ ٨٩٤٠٥ طالبات، بينما بلغ عدد خريجي تلك المرحلة ٨١٨١٢ طالبًا، أي ٥٢.٢٪ للطالبات مقابل ٤٧.٨٪ للطلاب. وبلغ عدد خريجات مرحلة البكالوريوس في العام نفسه ٣٣٩٧٢ طالبة، مقابل ٢٢١٩٨ طالبًا، أي ٦٠.٥٪ للطالبات مقابل ٣٩.٥٪ للطلاب.

هذه الأرقام تمثل مفارقة غريبة عندما نعلم أن نسبة النساء السعوديات بالكاد تتجاوز ٤٪ من إجمالي العاملين والعاملات السعوديين وغير السعوديين في سوق العمل، وذلك بحسب إحصاءات عام ٢٠٠٢م!! وثمة مفارقة غريبة أخرى وهي أن هذه النسبة المتدنية هي أقل من مشاركة العمالة النسائية الأجنبية، إذ إن نسبة العمالة النسائية الأجنبية إلى إجمالي قوة العمل تبلغ ٦.٧٤٪ في عام ٢٠٠٢م.

وتبلغ نسبة إسهام العمالة النسائية السعودية ١٠.٧٪ من إجمالي قوة العمل السعودية. كما أن نسبة العمالة النسائية السعودية تبلغ ٣٧٪ من إجمالي العمالة النسائية في المملكة.

ويتركز عمل المرأة السعودية في القطاع الحكومي بالدرجة الأولى، ولا يعمل في القطاع الأهلي سوى ٣٨٪ من العمالة النسائية السعودية.

ومن اللافت للنظر أن حوالي ٥٧٪ من النساء السعوديات العاملات في القطاع الحكومي يحملن مؤهلات جامعية، الأمر الذي يشير إلى المستوى التعليمي المتقدم الذي وصلت إليه المرأة السعودية.

إن واقع عمل المرأة السعودية، بحسب ما تبينه النسب السابقة، يدل دلالة واضحة على تدني إسهام المرأة السعودية في سوق العمل. إلا أن هذه النسب، في الوقت نفسه، قد تحجب إلى حد ما المشاركة الفعلية للمرأة السعودية، فمن حيث المبدأ يمكن القول أن ربة البيت المتفرغة لخدمة أسرتها ليست عاطلة عن العمل بالمعنى الاقتصادي، ويمكن قياس إسهامها من خلال ما يسمى بـ«تكلفة الفرصة البديلة»، أي بما يتوجب إنفاقه للحصول على الخدمة نفسها بسعر السوق. ولكن لكي يتحقق ذلك من الناحية العملية لا الشكلية لا بد أن تمارس المرأة دورها كربة بيت حقيقية، لا أن تعتمد على العاملة المنزلية التي تؤدي هذا الدور بالنيابة عنها.

ومن المنظور التاريخي، نجد أن المرأة السعودية كانت تمثل جزءًا مهمًا من قوة العمل. ففي وقت سابق كان النشاط الاقتصادي التقليدي، كالزراعة والرعي، يشكل العمود الفقري للاقتصاد السعودي، وكانت المرأة تسهم بدرجة كبيرة في هذا النشاط. ولكن مع تغير بنية الاقتصاد السعودي وانكماش القطاعات التقليدية وبروز قطاعات حديثة، وما صاحب ذلك من تغيرات اجتماعية، تراجعت مشاركة المرأة السعودية في الاقتصاد، بل إن طبيعة عملها في منزلها كربة بيت تغيرت كثيرًا بعدما استولت العمالة المنزلية الوافدة على معظم الأعمال التي كانت تمارسها المرأة السعودية في منزلها. ويصعب القول، في الوقت الحاضر، أن تفرغ المرأة للعمل كربة بيت يحمل قيمة مضافة (بالمعنى الاقتصادي) تعادل تلك التي كانت ربة البيت في السابق تقدمها للمجتمع بسبب الاعتماد شبه الكامل على العمالة المنزلية الوافدة، حتى بالنسبة لربات البيوت اللاتي لا يعملن خارج منازلهن.

إن أهمية عمل المرأة تنبع من أهمية

استثمار الموارد البشرية في المجتمع. فالإنسان سواء كان ذكرًا أو أنثى، هو أهم عناصر الإنتاج في النشاط الاقتصادي. ورغم أهمية رأس المال والآلات والمعدات والموارد الطبيعية المتنوعة في العملية الإنتاجية، يظل الإنسان أهم من جميع تلك العناصر. وقد ثبت من تجربة بعض الدول المتقدمة، كاليابان على سبيل المثال، أن النقص في كثير من العناصر الإنتاجية يمكن تعويضه من خلال الموارد البشرية المتميزة. فاليابان لم تحقق نهضتها الاقتصادية لأنها تحتوي على موارد طبيعية تفوق تلك التي تحتويها بعض الدول المجاورة لها أو البعيدة عنها، وإنما بسبب حماس المواطن الياباني ودأبه وقدرته على العطاء والابتكار والاستفادة من تجارب الآخرين.

وعندما ننظر إلى المستوى التعليمي المتقدم الذي حققته المرأة السعودية يتضح لنا مدى الهدر الذي يتكبده المجتمع بسبب عدم استثمار الموارد البشرية النسائية السعودية بشكل كاف. ففي حين تستقدم المملكة ما يزيد على خمسة ملايين عامل وافد من مختلف المستويات التعليمية، نجد أن عشرات الألوف من النساء السعوديات يحملن مؤهلات جامعية ويبحثن عن العمل ولا يجدنه. ومن الصعب القول إن العمل المناسب لجميع هؤلاء النساء المؤهلات هو التفرغ لخدمة المنزل. فبعضهن من المتفوقات اللاتي يحملن درجة الدكتوراه والماجستير، فضلاً عن الأعداد الكبيرة ممن يحملن درجة البكالوريوس في مختلف التخصصات.

وإذا كان تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد البشرية هو ضرورة اقتصادية وطنية، فإن الظروف الاجتماعية في الوقت الحاضر تضيف بعدًا آخر لأهمية توفير فرص عمل مناسبة للمرأة السعودية، بعدما أصبح العمل يمثل ضرورة قصوى لبعض الشرائح من النساء. فعلى سبيل المثال، توجد نساء مطلقات بحاجة إلى مصدر دخل يكفيهن ذل السؤال. وهناك أرامل لديهن أطفال ليس لهم من يعيلهم، ونساء غير متزوجات تخلى عنهن الأخ والقريب، ونساء متزوجات من أزواج لا يرعون الحقوق الزوجية، بل إن التعقيدات الاقتصادية والاجتماعية التي أفرزتها ظروف المجتمع جعلت من الصعوبة أن تعتمد الأسرة على دخل الزوج فقط.

إن العمل المقبول اجتماعيًا للمرأة السعودية هو ذلك الذي لا يتعارض مع المبادئ الإسلامية، أو مع تقاليد وقيم المجتمع. وقد أصدر مجلس القوى العاملة في عام ١٤٠٨هـ قرارًا ينظم عمل المرأة ضمن إطار إسلامي يتمثل في أن تؤدي المرأة عملها في وقار وحشمة، وأن تلبس طبقًا للحجاب الشرعي، وأن يكون العمل ملائمًا لطبيعة المرأة وألا يؤدي إلى ضرر اجتماعي أو خلقي.

وتوجد مجالات عديدة يمكن أن تعمل فيها المرأة وتتوافر فيها الشروط والضوابط المشار إليها في القرار السابق. وقد نجحت المرأة السعودية كمعلمة وطبيبة وإدارية وموظفة في الأجهزة الحكومية وفي الأنشطة المصرفية والعديد من مجالات العمل في القطاع الأهلي. وتدل المؤشرات التي وردت في بعض التقارير والدراسات على ارتفاع إنتاجية المرأة السعودية وجديتها في أداء ما يوكل إليها من أعمال. كما أن المرأة السعودية كثيرًا ما تبدي استجابة أكبر من تلك التي يبديها الرجل تجاه واقع وظروف سوق العمل، وخصوصًا من حيث مستوى الراتب السائد في منشآت القطاع الأهلي.

ومما يوفر المزيد من فرص العمل للمرأة ما يحدث من تطورات في بيئة العمل التي تغيرت كثيرًا بفعل استخدام الحاسب الآلي وشبكة الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة. فالمرأة يمكن أن تعمل وفقًا لأسلوب «العمل عن بعد» دون أن تغادر منزلها. وقد بدأ هذا الأسلوب في الانتشار في العديد من البلدان بما في ذلك البلدان الغربية التي لا تعارض العمل في بيئات يختلط فيها الرجال مع النساء. ويعود الإقبال على هذا الأسلوب لما يوفره من مرونة للمرأة التي تود التوفيق بين التزاماتها تجاه أسرتها من ناحية، والرغبة في العمل،

يمكن القول أن ربة البيت المتفرغة لخدمة أسرتها ليست عاطلة عن العمل بالمعنى الاقتصادي، ويمكن قياس إسهامها من خلال ما يسمى بـ«تكلفة الفرصة البديلة»، أي بما يتوجب إنفاقه للحصول على الخدمة نفسها بسعر السوق

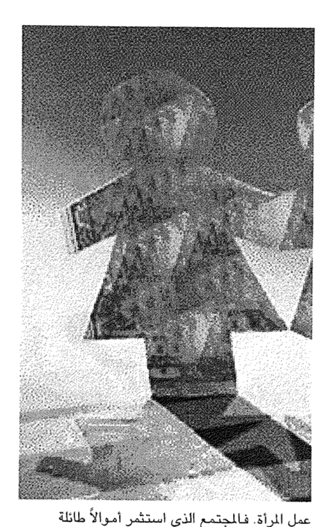
والحصول على مصدر للدخل من ناحية أخرى.

ويمكن توسيع مجالات العمل للمرأة وذلك من خلال تذليل بعض الصعوبات والمعوقات التي تعانيها في الوقت الحاضر، مثل توفير دور لحضانة أطفال المرأة العاملة، وتهيئة أماكن عمل مناسبة لطبيعة المرأة، وتوفير وسائل مواصلات تساعد المرأة على الذهاب إلى عملها والعودة إلى منزلها دون اللجوء إلى السائق الخاص. كما يمكن تطبيق أسلوب العمل الجزئي سواء من خلال ساعات محددة في اليوم أو من خلال أيام معينة في الأسبوع، وخصوصًا بالنسبة للأمهات.

إن عمل المرأة لا يشكل بالضرورة تهديدًا لفرص العمل المتاحة للرجل في بلادنا. فهناك مجالات لا يمكن أن تعمل فيها المرأة بسبب طبيعة هذه الأعمال، في حين أن مجالات أخرى كثيرة متوفرة ينبغي أن تكون الأولوية فيها للمرأة، وخصوصًا ما يتعلق بالأمور الأقرب لطبيعة المرأة. ومن المفارقات الغريبة أننا نستقدم من الخارج عمالة من الرجال الذين يبيعون للمرأة كل شيء بما في ذلك ملابسها الداخلية وأشياءها الخاصة جدًا، بينما الأنسب هو أن يقصر العمل في هذه المجالات على النساء. والواقع أننا قبل أن نتخوف من مزاحمة المرأة للرجل في سوق العمل ينبغي أن نتساءل عن أسباب وجود هذه الملايين العديدة من العمالة الوافدة لدينا. فلو نظرنا إلى المتوفر من الوظائف التي تشغلها تلك العمالة الوافدة لأدركنا أن لدينا ما يكفي من الفرص لتوظيف جميع السعوديين والسعوديات. أما الأمر الآخر والأهم، فهو أن مؤسسات التعليم الجامعية وغير الجامعية قد خرجت كفاءات نسائية سعودية ذات مستويات متميزة في العديد من التخصصات، وليس من المنطقي هدرها ما دامت أنها قادرة على الإسهام في حركة التنمية في المملكة.

نحن نعيش في زمن تتنافس فيه جميع الأمم لتحقيق مواقع متقدمة في شتى المجالات، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال استثمار كل ما لديها من الموارد البشرية والطبيعية والمالية في هذا السباق نحو المراكز المتقدمة والمؤثرة. ولا شك أن تغييب المرأة، وهي نصف المجتمع، عن الإسهام في التنمية سوف يحرم ذلك المجتمع من تحقيق الاستفادة المثلى من موارده، وبالتالي يحد من قدرته على منافسة المجتمعات الأخرى.

إن القضية التي يتعين مناقشتها في تقديري، لا تتمثل في حق المرأة في العمل، وإنما حق المجتمع في



عمل المرأة. فالمجتمع الذي استثمر أموالاً طائلة في تعليم وتدريب المرأة، وتكبد تكاليف باهظة في إقامة المؤسسات التعليمية والتدريبية النسوية يتوقع أن يحصل على مردود مناسب لهذه الاستثمارات والتكاليف. ويتمثل المردود المناسب في إسهام المرأة في تنمية مجتمعها انطلاقًا من أسرتها الصغيرة، وامتدادًا إلى محيطها الاجتماعي القريب، ووصولاً إلى الأفق الوطني الأشمل. وقد شددت أهداف استراتيجية تنمية الموارد البشرية التي أصدرها مجلس القوى العاملة في عام ١٤١٧هـ على ضرورة «الاستغلال الأمثل للقوى البشرية الوطنية» و«بلوغ مستوى الاستخدام الكامل للقوى البشرية الوطنية». وتضمنت آليات العمل لتحقيق تلك الأهداف «العمل على زيادة إسهام المرأة في سوق العمل بما يتناسب مع طبيعتها ولا يتعارض مع الشريعة الإسلامية». وعندما يتحقق ذلك بالشكل المناسب، يكون المجتمع قد حصل على حقه في استرداد عوائده الاستثمارية في القوى البشرية الوطنية رجالاً ونساء.



من مشكلات المرأة السعودية العاملة

نظرة المجتمع وجمود الأنظمة و..الرجل!

شروق الفواز* - الرياض

* أخصائية أسنان - كاتبة صحفية.

قبل أن نبحث في المشكلات التي تواجه المرأة السعودية العاملة يحسن أن نوضح أن المرأة السعودية العاملة يمكن تصنيف مجالات عملها إلى ثلاثة مجالات وهي: القطاع العام أو الحكومي، والقطاع الأهلي، وأخيرًا العمل في مؤسستها الخاصة بها.

ومن خلال هذا التصنيف نبحث مشكلات المرأة العاملة في عناوين كبيرة لمعوقات أساسية تضم تحت مظلتها معوقات ومشاكل أصغر إذا ما استطعنا حلحلة المعوق الأكبر أمكننا معالجة توابعها بسهولة.

نظرة المجتمع للمرأة العاملة:

الإنسان دائمًا ما يكون أسيرًا لنظرة المجتمع له وتقويمه لموقعه ورضاه عن أدائه، وفي مجتمعاتنا المحافظة نجد لنظرة المجتمع وقعًا أكبر على المرأة لحساسية وضعها في مجتمعنا الذي تحكمه العادات والتقاليد بشكل طاغ قد يتجاوز حدود الدين والأحكام الإسلامية.

*** نظرة المجتمع للمرأة العاملة في القطاع الحكومي:**

لا تزال المرأة العاملة في القطاع العام أو الحكومي تنال الحظ الأوفر من التقدير والاحترام والأقل من الانتقاد، ربما لما توفره القطاعات الحكومية من أجواء مناسبة للعادات والتقاليد، ولما تحرص عليه من احترام للقيم والمبادئ الإسلامية.

حيث تعمل المرأة في هذا القطاع في أجواء مفصولة أو معزولة عن الاختلاط الذي يعتبر الهاجس الأول للمجتمع والمثير الرئيس لأي زوبعة يمكن أن تطال المرأة أو تقلقها فتؤثر على استقرارها في عملها، والذي يسيء الكثير مفهومه ويبالغ في تضخيمه وتهويله لدرجة قد تمس سمعة المرأة وشرفها وهذا ما تخشاه وتحرص على الابتعاد عنه.

فنحن نعرف موقف الإسلام الصحيح من مفهوم الاختلاط وما وضعه له من حدود وأطر وضوابط إذا ما التزمت بها المرأة وراعتها فإن محاذير هذا الاختلاط ومفاهيمه السيئة تسقط عنه.

وربما لا تجد النساء العاملات في القطاعات الحكومية مشكلة تذكر أمام هاجس الاختلاط، وما قد يصاحبه من نظرة دونية وقلة احترام قد تصل إلى حد القذف والتشهير لدى بعض من جهلة المجتمع، إلا في النساء العاملات في المجالات الطبية والقطاعات الصحية من طبيبات واختصاصيات وفنيات وممرضات وعاملات، وذلك لما قد تواجهه المرأة في أثناء عملها من اختلاط ضروري ومشروع إما لضمان سير العمل من خلال الإشراف والاستشارة أو المتابعة، أو لعلاج المرضى المحتاجين للخدمات الطبية والرعاية الصحية المقدمة من الرجل والمرأة على حد سواء.

وهذه النظرة المجحفة لا نزال نجد لها مكانًا واسعًا ومسيطرًا في عقول شريحة كبيرة من المجتمع لا يمكن تصحيحها أو تهذيبها إلا بعمل برامج توعية مدروسة في المناهج التعليمية ووسائل الإعلام المختلفة؛ لأنها تعيق المرأة بشكل واضح عن الانضمام إلى هذا المجال الحيوي في المجتمع للدراسة أو حتى تقف حائلاً وعقبة أمامها للاستمرار فيه بعد الدراسة والتخرج.

فإذا ما وجدت المرأة جوًا أسريًا يشجعها على الانضمام إلى هذا المجال الإنساني فإنها قد تصطدم بما يجبرها على تركه والتنازل عنه بعد

الزواج لنيل حياة أسرية هادئة بعيدة عن المشاكل سواء من الزوج أو ممن هم حول هذا الزوج!

*** نظرة المجتمع للمرأة العاملة في القطاع الأهلي:**

وهذه عادة ما تكون مجحفة في معظم الأحيان لما يختزنه المجتمع في ذهنه وذاكرته من رؤى ومشاهد وقصص من وسائل الإعلام المختلفة، والتي أودعها في ذاكرته عن أجواء العمل الخاص وما يصاحبه من اختلاط واستغلال سيئ من رب العمل أو القائمين عليه، وهذه النظرة المنتقصة قد تجبر المرأة على العزوف عن هذا الشريان المهم والرافد الأساس للعمل، واللجوء إلى وظائف أخرى حكومية أقل دخلاً وأكثر جمودًا، فتخسر المرأة فرصتها في الإبداع والتميز وكفاءتها التي اكتسبتها من دراستها بلجوئها إلى وظائف حكومية ربما لا تتناسب مع مجال دراستها وقدراتها وكفاءتها وطموحاتها، وكل هذا حتى لا يقال إن فلانة أو ابنة فلان تعمل في الشركة الفلانية أو البنك الفلاني!

*** نظرة المجتمع للمرأة العاملة بمؤسستها الخاصة:**

لا تزال النظرة لهذا الصنف من النساء العاملات متباينة في المجتمع، وذلك على حسب الطبقة الاجتماعية والمستوى الثقافي الذي نشأت فيه المرأة وعاشت. وإن كانت في معظمها تتأرجح ما بين التقليل من قدرات هذه المرأة وقدرتها على إدارة مالها بنفسها، وما بين كره وعدم استحباب منافسة المرأة للرجل ومحاولتها التفوق عليه، حيث لا يزال معظم الرجال في مجتمعنا يكرهون فكرة تفوق المرأة على الرجل في العمل، أو محاولة مقارعتها له ولا يفضلون التعايش معها.

ظروف العمل التي تعيشها المرأة:

طبيعة ظروف العمل ومرونتها ومدى تناسبها مع ظروف المرأة هي المعيار الرئيس لقياس ارتياح المرأة في عملها وقدرتها على التطور والإنتاجية لما تحمله المرأة على عاتقها من مسؤوليات أسرية تجاه زوجها وأبنائها تعتبر الأهم والأولى لدى المرأة والمجتمع من المسؤوليات التي قد يحملها بها عملها.

*** ظروف العمل للمرأة العاملة في القطاع الحكومي:**

لا تزال ظروف العمل في القطاع العام بالنسبة لمعظم النساء الأفضل والأكثر ملاءمة، وذلك بسبب عدد ساعات الدوام الرسمية التي تعد مقبولة مقارنة بساعات العمل في القطاعات الأخرى، كما أن مسؤولية العمل في القطاع الحكومي بالنسبة للمرأة تعتبر محدودة وقليلة بعد انتهاء ساعات عملها الرسمية، فلا تتبعها مناوبات طويلة في المساء ولا اجتماعات وتنقلات أو انتدابات خارج المدن، وفترة الدوام في أغلب القطاعات فترة نهارية. وينطبق هذا الأمر بشكل دقيق في المدارس والكليات والجامعات والدوائر الحكومية. أما في المستشفيات والقطاعات الصحية الأخرى فإن ساعات العمل تطول لتصل إلى وقت الغروب أو إلى الليل، خصوصًا إذا ما كان العمل على فترتين، إضافة إلى المناوبات الليلية التي قد تستوجب المبيت في المستشفى أو تتبع أحوال المرضى في ساعات متأخرة. وهذا ربما لا يجد استحسانًا أو تأييدًا في الأجواء الأسرية المحيطة بالمرأة.

فطول ساعات العمل هو ما يزعج المرأة العاملة لما تحسه من تقصير دائم في حق أسرتها بسبب غيابها الطويل عنهم وعدم إشرافها عليهم، خصوصًا في المراحل الأولى من طفولتهم، حيث يحتاج الطفل إلى رعاية دائمة ومباشرة من قبل أمه. وهذه المشكلة المهمة بالإمكان تجاوزها أو التقليل من سلبياتها بتوفير حضانات وغرف رعاية في أماكن عمل المرأة بأسعار رمزية تغطي احتياجات تشغيلها، وتوظيف حاضنات مدربات للإشراف عليها، لتتمكن المرأة من الاطمئنان على أطفالها وملاحظتهم بين فترة وأخرى، وخصوصًا في حالات مرضهم، وقضاء أوقات معهم في فترات الراحة أو الغداء، وهذه خدمة مهمة معمول بها في كثير من الدول المتقدمة التي تهتم بالمرأة

> ولأن نظام الإجازات لدينا لا يزال قاصرًا عن استيعاب احتياجات المرأة الطارئة أو الطبيعية فإن إعادة النظر فيه تعتبر ضرورة ملحة لتشجيع المرأة على القيام بعملها وتأدية واجباتها الأسرية والمهنية على أكمل وجه

وبوضع الأسرة فيها. وما نلاحظه في كثير من المستشفيات والمراكز الصحية أو أي مؤسسة عامة هو غياب غرف الحضانة أو الرعاية في مكان العمل. فسواء قصر وقت العمل أو طال من حق الأم أن تجد لها مكانًا آمنًا تضع فيه أطفالها وفي مقدرتها الوصول إليه للاطمئنان عليهم. وحتى إن وجدت هذه الحضانات فإنها توجد في المستشفيات الكبرى والمراكز الرئيسة فقط وبأسعار خيالية ربحية تجارية وليست تعاونية.

أما قانون الإجازات العامة أو المنزوعة الأجر في ديوان الخدمة المدنية فتطالب الكثير من النساء العاملات الجهات المسؤولة عنه بإعادة النظر فيه وتعديله ليتواءم مع احتياجات المرأة بشكل أفضل، حيث تعاني الكثير من النساء صعوبة الحصول على إجازات مؤقتة للتغلب على الظروف الطارئة التي تمس حياتها الخاصة وأسرتها، وبما تواجهه من قوانين جامدة وغير مرنة توضع في أيدي أناس محدودي الأفق يتحكمون فيها ويطبقونها على حسب مزاجهم أو علاقاتهم ومصالحهم الشخصية، مما يجبر النساء للتحايل على هذه القوانين الجامدة باللجوء إلى الإجازات المرضية للتغيب عن العمل الذي أصبح بهذه الأنظمة الجامدة همًا وعائقًا لهم عن أداء مهامهم الأسرية بيسر واعتدال.

ولأن ظروف المرأة متغيرة بحسب التغيرات الفسيولوجية والاجتماعية من زواج وحمل وولادة تجد حاجتها إلى الانقطاع عن العمل لفترات معينة ضرورية وملحة، إما بسبب حالتها الصحية أو بسبب ظروفها المستجدة لرعاية رضيعها والاهتمام به.

ولأن نظام الإجازات لدينا لا يزال قاصرًا عن استيعاب احتياجات المرأة الطارئة أو الطبيعية فإن إعادة النظر فيه تعتبر ضرورة ملحة لتشجيع المرأة على القيام بعملها وتأدية واجباتها الأسرية والمهنية على أكمل وجه، وبما يرضي الطرفين. فما المانع من أن تنقطع المرأة عن عملها لسنوات معينة لتأدية واجبات مهمة أخرى على أن تعود إليه مرة أخرى بعد زوال الضرورة، وتقلص المسؤوليات، فترضي نفسها وأسرتها وتؤمن مستقبلها الوظيفي بضمان عودتها إليه، ما دام البديل موجودًا. فمن حق المرأة أن ترعى أبناءها دون أن يجبرها ذلك على هجر عملها. فإذا ما أعطيت المرأة الحق بطلب إجازة من دون راتب لحين تحسن ظروفها وتم التعاقد مع غيرها لتحل محلها لحين عودتها فإن ذلك سوف يعين المرأة على التوفيق بين الحاجتين، وسيجعلها أكثر تنظيمًا لحياتها وأكثر حبًا لعملها وإبداعًا وأقل هروبًا منه أو تهربًا.

فلا ينبغي أن يساوى بين الرجل والمرأة في الإجازات لأن المرأة ستضطر إلى تلبية نداء أسرتها وأطفالها قبل عملها من دون شك فهذه فطرتها التي غرسها الله عز وجل فيها.

فلابد من إيجاد تصور آخر لعمل المرأة بإيجاد خطط أخرى طارئة وبديلة لتغطية تغيب المرأة عن عملها واضطرارها إلى ذلك، من دون المساس بحقها المكفول لها بالمحافظة على وظيفتها التي تعتبر أمانًا لها وحقًا مشروعًا في المجتمع للعطاء والإبداع. ولنأخذ مجال التعليم على سبيل المثال وهو المجال الأكثر طلبًا في سوق العمل لدى المرأة، لماذا هذه المحدودية في التوظيف والخريجات ينتظرن سنوات فرصًا للعمل؟

لماذا لا توضع خطط أخرى للتوظيف بإنشاء كوادر ومسميات أخرى في سلم العمل، كأن يسمح للمرأة العاملة الرسمية بطلب إجازات طويلة لتلبية احتياجات أسرتها وظروفها الحالية على أن توضع لها ضوابط وأطر محددة تفي باحتياجات



المرأة ولا تضر بسير العمل مثل اشتراط حد أدنى لمثل هذه الإجازات لا يقل عن الفصل الدراسي الواحد حتى لا يؤثر في مستوى تحصيل الطالبات ولا يؤثر في الأطر الأساسية لسير العمل، على أن تخلفها معلمة أخرى طيلة مدة غيابها بعقود مؤقتة لحين حصولها على وظيفة رسمية.

وبهذه الطريقة سنوفر مرونة أكثر في العمل وحركة في العرض والطلب في سوق العمل، وإنقاذًا لكفاءات ومهارات الخريجات التي تذبل وتموت مع طول الانتظار وتتابع الزمن.

*** ظروف عمل المرأة في القطاع الأهلي:**

وهذه من الصعب تحديدها بسبب تباينها من مكان لآخر ولعدم وجود قوانين ثابتة لذلك سواء لا في طريقة تعيين الأجور والرواتب أو في ساعات العمل وتوزيعها أو في الإجازات وتطبيقها. وهذه بحد ذاتها معضلة لما يتبعه من ضياع لحقوق النساء العاملات في بعض القطاعات الخاصة، وهذا ما يجعلهن أكثر نفورًا وتخوفًا من خوض هذا الغمار. فعدم وجود ضوابط وتطبيقات صارمة لقانون العمل يجعل المرأة أكثر عرضة للغبن، وأن تهضم حقوقها في القطاعات الخاصة، خصوصًا في الشركات والمؤسسات الصغرى أو الفردية إما بسبب الأجور المتدنية التي لا تتناسب مع طبيعة العمل أو مع مؤهلاتهن، أو بسبب عدم وجود ضمان صحي ووظيفي. فهنالك نساء ألغيت عقودهن بتوقيع سريع ودون مبررات قانونية صحيحة، وحرمن من حقوقهن المترتبة على ذلك مثل مكافأة نهاية الخدمة دون أن ينظر إلى وضعهن أحد. بل إن منهن من ظل يعمل بدون أجر لأشهر وبعد مطالبتها بأجرها تخلي عنها دون وجود ضوابط تكفل حقوقها الضائعة، بخلاف الشركات الكبرى والبنوك التي قد تجد المرأة فيها ضمانًا وظيفيًا ودخلاً ماديًا أفضل، ولهذه الأسباب يجب ضبط آلية العمل في القطاع الخاص والإشراف عليها بشكل مباشر ودائم من قبل الجهات المخولة بذلك، لأن مشاركة المرأة السعودية في القطاعات الخاصة أصبح ضرورة ملحة لصنع التوازن والتجديد والتنويع في الفرص.



*** ظروف عمل المرأة في مؤسستها الخاصة:**

بالرغم من أن المرأة في هذا المجال تستطيع ضمان الظروف المناسبة لها لتأدية عملها فإن هنالك صعوبات كبيرة قد تجعل المرأة أقل قدرة على النجاح وأضعف رغبة في الإقدام عليه، وذلك بسبب القوانين واللوائح التي تمنعها وتعيقها عن متابعة وإدارة مالها بنفسها، وما تشترطه الأنظمة عليها من إيجاد وكيل لها لمتابعة شؤونها وتمثيلها في الدوائر الحكومية، فتخضعها لرحمته وأمانته ومصداقيته، وتجعلها عرضة سهلة للتلاعب والسرقة،كما أنه لا توجد تسهيلات للمرأة المستثمرة في الدوائر الحكومية التي تحتاج إليها مثل فتح مكاتب نسائية فعالة في كل دائرة يمكن أن تحتاج إليها المرأة لتستطيع متابعة شؤونها المالية والإدارية، والوقوف على أولوياتها ومفاتيحها. وفي الأنظمة الحالية بخس كبير لحق المرأة في خوض هذا المجال وإنقاص من شأنها وقدرتها وتهميش لدورها وإقصاء لإمكانيتها، مما يخلق صعوبات وعراقيل لا حصر لها في جو العمل الحر تعيق المرأة عن الإبداع في المجال الذي اختارته وتمنت أن تكون لها بصمة واضحة فيه.

ظروف المرأة الأسرية:

الظروف الأسرية لدى الأصناف الثلاثة للمرأة العاملة تشكل هاجسًا مشتركًا، إذ كيف يمكنها التوفيق بين عملها وأسرتها؟!

ولعل هذه القدرة هي من أبرز الملامح لنجاح المرأة وإبداعها في عملها فمتى استطاعت المرأة امتلاك هذه المهارة كانت أكثر ثقة وقدرة على العمل.

تأثير الوالدين في عمل المرأة:

المرأة غير المتزوجة تتأثر كثيرًا لما قد يبديه الوالدان من حرص شديد وتضييق مبالغ فيه خوفًا على المرأة وضمانًا لسلامتها،وهذه إن وجدت فهي تنحصر عادة في الأب والإخوة الذكور عندما يبالغ هؤلاء في انتقاد طول ساعات العمل وإمكانية الاختلاط، وهذه المشكلة كثيرًا ما نجدها لدى النساء العاملات في القطاعات الصحية والخاصة.

تأثير الزوج في عمل المرأة:

يظل الزوج هو النقطة الأساسية والمحورية في ظروف المرأة الأسرية فمتى ما كان الزوج متعاونًا ومتفهمًا لظروف زوجته وواجباتها في العمل انحلت معظم المشاكل وزالت الصعوبات وخفت معها المسؤوليات. أما إذا كان الزوج غير متقبل لفكرة عمل المرأة ولطبيعة عملها وغيابها عن البيت لساعات معينة، فإن ذلك سيخلق مشاكل كثيرة لا حصر لها في البيت ستنعكس بالتالي على عملها وأدائها له، كما أنه في بعض الأحيان قد يتطور بها إلى تهديد استقرار حياتها الزوجية والأسرية وربما يقودها إلى اضطرابات نفسية وعقلية قد تنتهي بها إذا ما تطورت الأمور ولم تحسم في بدايتها وتبحث بشكل عقلاني إلى الطلاق الذي يقود المرأة إلى مشاكل وتداعيات أخرى تؤثر في كفاءتها في العمل وتزيد المهام المالية والاجتماعية عليها بما قد يتبع ذلك من صراع حول حضانة الأولاد والإنفاق عليهم، وغيرها من المشاكل التي تضعف من قدرة المرأة على العطاء، وتجعلها أكثر عرضة للفشل وفريسة سهلة للأمراض العضوية والنفسية.

تأثير الأولاد في عمل المرأة:

فعدد الأولاد وأعمارهم ومدى احتياجهم إلى الرعاية كل هذا من شأنه أن يوجد مشاكل ومعوقات للمرأة العاملة مع نفسها لإحساسها الدائم بالتقصير، وتنامي عقدة الذنب لديها لتغيبها عن أبنائها، ومع من هم محيطون بها وما يصاحب ذلك من مشاكل أخرى مثل ترك الأولاد مع الخدم وعدم وجود أماكن آمنة لرعاية الأطفال في أثناء غياب الأم بأجور معقولة تتناسب مع الدخول المادية للشرائح المختلفة من أفراد المجتمع. فلو قمنا بعمل دراسات ميدانية عن أسباب تغيب المرأة المفاجئ عن العمل لوجدنا معظمها ينحصر في مرض الأطفال وهروب الخادمات أو عدم ثقة المرأة العاملة بهن.

الثقافة القانونية والحقوقية للمرأة العاملة:

وفي هذه النقطة أيضًا تجتمع الأصناف الثلاثة للمرأة العاملة بسبب عدم إلمام بعض النساء العاملات بالأنظمة

يظل الزوج هو النقطة الأساسية والمحورية في ظروف المرأة الأسرية فمتى ما كان الزوج متعاونًا ومتفهمًا لظروف زوجته وواجباتها في العمل انحلت معظم المشاكل وزالت الصعوبات وخفت معها المسؤوليات

والقوانين المعمول بها في الدولة أو عدم فهمهن لها وللحقاتها، ولضحالة ثقافتهن في هذا المجال مما يجعلهن الأكثر عرضة للغبن وأكل الحقوق.

وإذا كان بعض محدودي النظر يرجعون ذلك إلى عاطفة المرأة وطبيعة تفكيرها فبإمكاننا تفنيد ذلك ودحضه بما حققته المرأة العاملة في المجتمعات الأخرى من تفوق وتميز، استطاعت فيه أن تحافظ على حقوقها بسبب إدراكها الكامل واستيعابها لحقوقها الوظيفية والاجتماعية وبما يكفله القانون لها، ولإلمامها بقوانين العمل وسهولة وصولها إلى المعلومات من خلال القنوات المتاحة لها للتعرف والمزاولة.

وما تعانيه المرأة السعودية من جهل واضح في قوانين العمل والحقوق العامة هو بسبب تغييبها لسنوات وإبعادها عن هذه المجال، وعدم وجود مصادر ثابتة يمكن الرجوع إليها للبحث بسهولة دون الاعتماد على أحد.

ولما يوفره تعليم المرأة لها من كم محدود وضئيل لا يكاد يذكر في هذا المجال.

وهذه النقاط السابقة هي النقاط الأساسية التي تدور حولها معظم مشاكل المرأة العاملة، والتي ذكرت بعضها مما عانيته في أثناء تأديتي لعملي، ومما سمعته ورأيته من مشاكل وتجارب نساء عاملات أخريات.

وإني لأدعو دائمًا إلى فتح المجالات بشكل أكبر وأكثر فاعلية لدراسة وضع المرأة السعودية العاملة، ومساعدتها لتطوير أدائها والقيام بدورها المطلوب منها، وعدم تهميشها بل الوقوف معها لتضع لها خطى راسخة وثابتة في سوق العمل بعيدًا عن التذبذب والانكفاء.



مختارات من مشكلات المرأة غير العاملة :

نؤوم الضحى المِكسال!

إيمان القويفلي* – الدمام

* كاتبة سعودية .

شرائح ضوئية ملتقطة لامرأة شابة– وقت ومكان الالتقاط: السعودية، في ربيع٢٠٠٤م.

الشريحة الضوئية الأولى - (منظر خارجي):

في دولة التلاميذ[١] بالتحديد، لا في مكان آخر على كرة الأرض، تختزل تحولات فصول السنة في وعي الناس؛ بعلامة وقتية بحتة، تصنعها عقارب الساعة، خالية من الرومنطيقية المعتادة في علاقة البشر بالطبيعة، ولا شأن لها بالأزهار الربيعية المتفتحة أو وريقات أيلول الصفراء. العلامة الوقتية البحتة هي نصف الساعة التي يتقدمها أو يتأخرها بدء الدوام المدرسي اليومي. في الصيف يكون الدوام أبكر بنصف ساعة، أما في الشتاء فينعم الناس في دولة التلاميذ بنصف ساعة إضافية عظيمة في السرير، قبل أن تزاح الفرش، وتفتح صنابير المياه، وتنتشر رائحة معجون الأسنان والخبز الطازج، والاختناقات المرورية في كل أنحاء بلادنا الكبيرة. تستيقظ الخادمات والأمهات أولاً، والأمهات يوقظن الأبناء، ثم الآباء، وتستيقظ المدرسات ويصحو المدرسون، وسائقو السيارات الخاصة، وسائقو الحافلات العامة من محترفي المناطق النائية. وبعد هؤلاء يأتي طلبة الجامعات والأساتذة وموظفو الدوائر والشركات والمشافي. في الساعة السابعة صباحًا بتوقيت المملكة يبدو أن للجميع (شيئًا) يتجهون إليه، حبًا أو كراهة، طوعًا أو غصبًا، لكنهم يتجهون على أية حال.

إلا امرأة لا تشعر بالزمن ولا باختلاف الفصول، امرأة شابة، جسيمة، عميقة، طويلة، ممتدة، مركبة، واسعة الأرجاء، يمكن إطراؤها بمترادفات كثيرة لكنها على وجه الدقة (مترهلة). وقد ازداد وزنها في الأعوام الأخيرة بحيث أصبح حجمها الضخم خطرًا على صحتها، وحتى على صحة الآخرين. هذا سوى المشكلات المتداخلة التي تترتب على ضخامتها المفرطة. فهي مكلفة للغاية عندما يتعلق الأمر بمجرد مصروفاتها الاعتيادية. يكفي أن تعرف أن هذه المرأة عندما تنام تشغل بجسدها الضخم ٩٥٪ من مساحة البلاد[٢]، انس أمر المكان الذي قد يلائمها لتتنزه أو تتريض أو لتحصل على الترفيه! وهي تضيق على الآخرين بمشاركتها إياهم في حيزهم المادي وفي أموالهم. للحق، بهذه الضخامة المكلفة، كنت أظن أن (ضحى المكسال) مشروع وطني تنموي بميزانية هائلة سينقل البلاد نقلة اقتصادية وحضارية كبيرة. لكنني أعرف شيئًا واحدًا يكشف حقيقة مختلفة واعتبره سرًا سريًا للغاية. أعرف الاسم السري الكامل للمشروع الوطني الضخم: للمرأة (ضحى المكسال)...

الشريحة الضوئية الثانية – (بيوغرافي مع رسم تشريحي بدائي):

الاسم: (نؤوم الضحى المكسال).

العمر البيولوجي: من ٢٠ سنة إلى ٣٠ سنة، أو أكثر، أو أقل.

الحالة الاجتماعية: عزباء.

المستوى التعليمي: ثانوي أو جامعي، وربما خريجة معهد أو دبلوم.

المهنة: لا تعمل.

الدخل السنوي: صفر ريال.

...(نؤوم الضحى) كما في معلقة امرئ القيس

«وتضحي فتيت المسك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل»(٣).

ربما كان والد ضحى مفتونًا بامرئ القيس، أو ربما بالمعايير الجاهلية للمرأة الجميلة. عندما كان الترف وحده هو ما يسمح للمرأة بالنوم الكسول في الظل البارد حتى ترتفع الشمس في كبد السماء، وهو ما – بدوره – يجعلها ناعمة بيضاء مرتوية، لا لوّحتها سمرة الشمس ولا نحتتها عجفة العمل في بر شبه الجزيرة العربية. اسم عائلتها؛ (المكسال)، جاء من مقطع شعري آخر أحدث نسبيًا. فبعد امرئ القيس بأربع مئة عام تقريبًا قال المتنبي مرة متغزلاً «...خرّيدة من عذارى الحي مكسال»(٤). يتحدث عن امرأة منعمة لا تكاد تتحرك من مجلسها. وبهذا نلحظ كيف بقي التبطل، رغم ٤٠٠ عام، رغم الثقافة الإسلامية التي نشأت وانتشرت خلال الأعوام والأرض، ورغم المدنية؛ صامدًا كصفة تثمن عاليًا في القيمة الفعلية للنساء. وهو ما يتضاد بالكلية مع التقدير النظري العالي الذي حملته الأخلاقيات الإسلامية للعمل والفعل. ويتضاد مع اختراعات التجميل، وقواعد الإدارة اليوم التي تقول إن المرأة يمكنها أن تكون مديرة تنفيذية «فاتنة» لمؤسسة كبرى.

ضحى لا تملك أي مورد مالي شخصي، وهي راغبة في العمل دون أن تتوفر لها فرص العمل. وهي امرأة عزباء، ولهذا يمكن احتسابها قطعًا في عداد الأيدي العاطلة (فالمرأة المتزوجة والأم تُظلم عندما تعتبر امرأة غير عاملة، فعملها المنزلي هو وظيفة تستحق عنها أجرًا ثابتًا يقتطع من دخل زوجها، حسبما تقول النظرية النسوية الاشتراكية، أو ببساطة، كما قعّد النظام الإسلامي منذ زمن بعيد لحرية المرأة في أن تختار العمل في بيت زوجها أو لا، وأنها إذا عملت فلها أجر حتى على إرضاعها مولودها). نؤوم الضحى المكسال، أو (ضحى) فقط إن شئتم، تحمل هذا الاسم الجاهلي في عام ٢٠٠٤م، وهي تعيش بمقتضى التسمية فتنام حتى الضحى فعلاً، ولا تكاد تتحرك من مجلسها، لكنها لا تشعر بأنها مترفة بل



خائبة. ولا أنها جميلة بل مفلسة. فضحى والمجتمع حولها قد أشربا ثقافة العمل في السنوات الماضية. وبهذا الاسم معقد الدلالات، وعلى هذه الخلفية من التقاليد التراثية والثقافة الجديدة، تبدو فتاتنا العاطلة عن العمل كتجسيد حي لمفصل زمني بين مصاريع زمنية أجد أو أقدم...

الشريحة الضوئية الثالثة – (ضحى وجداتها، شيء أجدّ وشيء أقدم):

أقدم جدات ضحى المعروفات هي صاحبة امرئ القيس التي فتيت المسك فوق فراشها، وهي هذه التي تقف في أقصى يمين الصورة. والتي تليها مباشرة هي خريدة المتنبي المكسال. وثالثتهن جهة اليسار لها قرابة من جهة الأم بإحدى بنات عبدالرحمن الكواكبي اللواتي امتهنّ الخياطة في حلب عام ١٩٠٢م ليصرفن على تعليم إخوتهن الذكور في إستانبول[٥]. ورابعتهن الجالسة أمامهن هي امرأة عاشت في (عنيزة) في عشرينيات القرن الماضي وكانت تعمل في أملاك العائلة، حصادًا للزرع ورعاية للإبل. وعندما اضطرتها الحاجة مرة عملت أجيرة مع زوجها في أحد الحقول الكبيرة مقابل (كرْوة) يومية[٦]. أما جدة ضحى الأخيرة فهي مديرة مدرسة متقاعدة، توظفت ضمن الرعيل الأول من المدرسات السعوديات اللواتي تدربن في معهد المعلمات. ضحى هي الشابة الطويلة الموجودة في مقدمة الصورة.

ضحى ولدت في هذا الزمن المربك، حيث العلاقة الحالية للمرأة بالعمل هي علاقة تم بلوغها عبر عدة انعطافات متوالية، حينًا في اتجاه واحد، وأحيانًا في اتجاهات متعاكسة. فمنذ الجدة الرابعة العنيزية الفلاحة غادرت النساء حقل العائلة ورجعن للبيوت، ثم خرجن للعمل في المؤسسات العامة، رفضن شروطًا، وعدن فقبلنها. وهذه الحركة كانت دائمًا مرتبطة بقيم المجتمع، التي بدورها مرتبطة بالظرف الاقتصادي العام. لكن الذاكرة الجماعية قصيرة ولا تعي شيئًا أبعد من الجدة الأخيرة؛ المتقاعدة الميسورة. مشكلة (ضحى) مختصرة: إنها لا تعمل بينما يتوقع كل شيء منها أن تعمل، وهذه هي المرة الأولى التي تصل فيها المرأة السعودية إلى هذه النقطة.

مشكلة (ضحى) مختصرة : إنها لا تعمل بينما يتوقع كل شيء منها أن تعمل . وهذه هي المرة الأولى التي تصل فيها المرأة السعودية إلى هذه النقطة

الشريحة الضوئية الرابعة – (ضحى في زي الفاقة):

من الذي يتوقع من ضحى أن تعمل؟ كثيرون.

عائلة ضحى تتوقع منها أن تعمل وأن تعول نفسها. وسيكون أمرًا جيدًا لو استطاعت أن تساهم في نفقات أشقائها أو المنزل. طبعًا لا أحد يقول هذا بصوت عال، لكنها تعلم أن شقيقاتها الكبريات طالما لعبن هذا الدور يوم كانت الوظائف الحكومية جاهزة في انتظار الخريجات، ومدخولها الشهري قرابة ٥٠٠٠ ريال. في رأس الشهر كانت شقيقتها قبل عشرة أعوام تخطط لتجديد الأثاث أو لشراء سيارة بالتقسيط أو لطلب قرض بنكي، ولها سلطة داخل المنزل تتعزز مع كل ألف جديدة تقبضها وتنفقها. ضحى اليوم امرأة طويلة تنتظر مصروفها الشهري من والدها. يعطيها مرة ومرة كلا. وليس لها أي مشروعات شخصية لا حاضرًا ولامستقبلاً.

تأخر ضحى في الزواج يحيجها إلى تأمين نفسها ماديًا ضد فقدان والدها، وهو أمر يمكن أن يحدث في أي لحظة. الإعلانات التجارية تنتظر من ضحى أن تعمل، فهي إعلانات موجهة للمرأة غالبًا. والأسواق التي تتكاثر بسرعة سرطانية تنتظر من ضحى أن تعمل لتنضم إلى قبيلة المستهلكين. كثيرة هي

الأشياء التي تنتظر من ضحى أن تعمل، لكن الخطاب النظري يرفض الاعتراف بهذا. ويظل يردد أن عمل المرأة ماهو إلا وسيلة لقضاء وقت الفراغ[٧] أو أن بطالة المرأة أقل خطورة من بطالة الرجل، وعليه فإن أولوية التوظيف ستكون للرجال وعلى المرأة ألا تزاحمهم على الفرص الوظيفية[٨].

و ضحى بعد كل شيء تنتظر من ضحى أن تعمل.

الشريحة الضوئية الخامسة - (ضحى في زي العزلة):

كامرأة، فإن ضحى إذا رغبت في الرفقة، فعليها أن تبحث عنها في مجتمع النساء. هذا المجتمع الغارق في الزخرف والمبالغات التافهة المكلفة. من الموضات المتغيرة لفناجين القهوة، وحتى اختلاق المناسبات من أجل الاحتفال وتبادل الهدايا. طبعًا مجتمع النساء لم يكن هكذا عندما كانت العائلة تعتمد على دخل عائل واحد فقط هو الأب الذي لم يكن ليفهم - للأسف! - الأهمية الخطيرة التي تترتب على جودة الشوكولا المقدمة للضيوف. هذه البهرجات المفتعلة المزعجة جاءت لاحقًا عندما أصبح للنساء دخل خاص يمكنهنّ تبديده، ولم تعد البهرجة سلوكًا شخصيًا بل قانونًا يعاب الخروج عليه أو التقصير فيه. وقوة هذا القانون أنه ينبذ بشكل آلي كل العاجزات عن مجاراته،كضحى مثلاً. فهي تنتمي إلى عائلة تستطيع نساؤها العاملات الانخراط في هذه الأجواء، لكن ضحى لا تعمل ولاتستطيع. وهذا ينتج فروقًا طبقية داخل العائلة الواحدة.

توقفت ضحى عن بناء علاقات جديدة، والتقاء أشخاص جدد منذ أن انتهت أعوام الدراسة. أين ستلتقي بهم؟! قديمًا، كانت نساء الحي جميعهن يلتقين دون أشراط وبشكل يومي عند بئر الماء أو (الحسو) «وفي هذا البراح نشأت وترعرعت علاقات الصداقة والمؤازرة التي تتخطى الأسرة، وتربط بين النساء وبعضهن ببعض في شبكة ثابتة من العلاقات»[٩]. ثم جرى استبدال بالحسو مصادر أنقى وأعذب للمياه تصل إلى عمق بيوتنا بحيث لم يأسف أحد لاندثار الآبار. المشكلة هي أن المدينة العصرية، التي حرصت على استبدال بدائل أفضل بكل ما هو مادي في المدينة القديمة، أهملت تعويض ما هو إنساني ومعنوي، فأنشأت محطات هائلة لتحلية ماء البحر، وتركت نبع العلاقات الإنسانية بين النساء الذي وفره لهن ارتياد الحسو يوميًا؛ لينضب نهائيًا. ولم تعوضه بأي مؤسسة اجتماعية بديلة.

في المدينة العصرية هناك أشراط لخروج المرأة من بيتها. فهي إما أن تخرج للعمل، أو للتسوق، أو لزيارة نساء أخريات. لقد اندثر إلى الأبد ذلك المكان المفتوح للجميع، والذي يمكن ارتياده والفرار إليه من جو البيت الخانق في أي ساعة من اليوم، بلا ممارسة أي نشاط استهلاكي، وبلا خوف من الانتقادات، التحرشات، ودون المرور بباب زجاجي لامع عليه ملصق الشراهة: «نقبل بطاقات» Visa.

ضحى لم تقابل أحدًا منذ أعوام سوى قريباتها وصديقتها الوحيدة من زمن المدرسة.

الشريحة الضوئية السادسة - (ضحى في زي الذاتية):

ضحى لاتدرك وجود العالم الخارجي. ولا تهتم.

في دول أخرى، ثمة مؤسسات معينة تؤدي دور «البنى الوسيطة»[١٠]، أي التي توجد بين المواطن والدولة. كالمساجد والأسر والجمعيات.

هنا، حيث ضحى، فإن العلاقة الوحيدة الممكنة بالدولة هي علاقة مباشرة دون وسائط، تتمثل في العمل أو الدراسة في مؤسسات الدولة. حالما توقفت ضحى عن الدراسة، ولما لم تجد عملاً، انقطعت صلتها بكل

(ضحى) تعيش بمقتضى التسمية فتنام حتى الضحى فعلاً . ولا تكاد تتحرك من مجلسها ، لكنها لا تشعر بأنها مترفة بل خائبة . ولا أنها جميلة بل مفلسة

شيء إلا بما هو ذاتي: أنا، عائلتي، منزلي، ممتلكاتي. وسوف تستاء عندما تمس هذه الأشياء فقط. لن تهتم بضيق الشوارع إلا إذا صار عليها أن تعبرها، ولا بالإنسان الفقير إلا إذا كان هي، ولا باللصوص إلا إذا سرقوا مالها. ما لا يمسها لا يعنيها. فهي خارج كل شيء وداخل ذاتها.

ضحى بالكاد تعتبر مواطنة. وبالكاد تشعر بوجود المجتمع.

الشريحة الضوئية السابعة – (اللقطة الأخيرة):

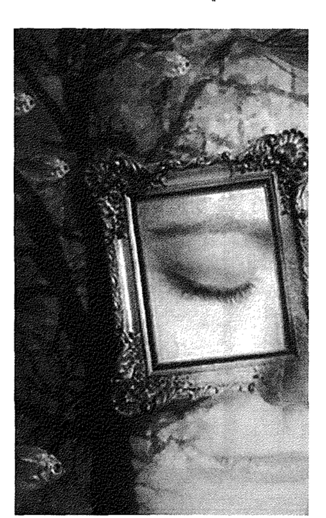
اجلسي هنا. بعض شعرك ظاهر من الحجاب. نعم. ارفعي ذقنك. هكذا. دقيقة واحدة. اثبتي. كليك...

اسمك الكامل وبطاقة العائلة. طخ. طخ.

نؤوم الضحى عبدالكريم المكسال؟

هاهي هويتك. مبروك. جيد أن تستخرجيها باكرًا.

دست ضحى البطاقة المقواة في حقيبتها. وكان والدها ينتظرها في الخارج».



الهوامش

(١) بلادنا، حيث نصف الناس تلاميذ ونصف النصف الباقي معلمون!

(٢) ...و أستشهد بتقرير أعلنته وزارة الخدمة المدنية يكشف أن مئة ألف سعودية يتنافسن على نحو ٤٥٠٠ وظيفة حكومية، أي أن البطالة في هذه الفئة ستكون في حدود ٩٥ ٪. من مقالة للكاتب عابد خازندار – عكاظ – ٢ أغسطس ٢٠٠٣م.

(٣) انظر القصيدة كاملة في موقع شظايا على شبكة الإنترنت www.shathaaya.com/aomro.htm

(4) ديوان المتنبي. طبعة دار صادر ٢٠٠٠م. صفحة ٣١٤.

(٥) انظري الأعمال الكاملة للكواكبي. مركز دراسات الوحدة العربية.صفحة ٢٠.

(٦) انظري مقال د.ثريا التركي «عنيزيات في زمن يهتز» في كتاب (النساء العربيات في القرن العشرين حضورًا وهوية).تجمع الباحثات اللبنانيات. صفحة ٩٩.

(٧) تعبير استخدمه الشيخ محمد الهبدان في تقديمه لمشروع صاغه عن وسائل العمل عن بعد للمرأة.

(٨) من ورقة وضعها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، رحمه الله، في عام ١٩٧٩م، ويمكن مطالعتها في موقعه على الشبكة تحت عنوان «خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله» www.binbaz.com

(9) انظري مقال د.ثريا التركي السابق. صفحة ١٠٧.

(١٠)كتاب (بناء مجتمع من المواطنين) لعدد من المؤلفين. منشورات الأهلية للنشر والتوزيع. صفحة ٣٤

من خلال استفتاء ٣٦٠ مراهقة سعودية :

نزوع إلى الاستقلال وتمسك بالتعليم وحسد للرجل على حريته!

جاسر عبدالله الجاسر*. الرياض

المنطقـــــة / جميع المناطق
عدد الاستمارات / 360 استماره

- اذا خيرت بعد التخرج من الثانوية بين الزواج او الدراسه في الجامعه .. ماذا تختارين؟

	العدد	النسبة
- الزواج	79	النسبة 22 %
- الدراسةالجامعية	281	النسبة 78 %

- ماهي نسبة تحكمك في قراراتك الشخصية؟

	العدد	النسبة
- صفر	2	النسبة 0.5 %
- 50%	171	النسبة 48 %
- 100%	186	النسبة 51 %
- اخرى 75%	1	النسبة 0.5 %

* هل يشعرك من حولك بقيمتك كامرأه؟

	العدد	النسبة
- نعم	320	النسبة 89 %
- لا	40	النسبة 11 %

* مالذي يعجبك في عالم الرجال:

	العدد	النسبة
- مكانته في المجتمع	106	النسبة 30 %
- الاعمال التي يقوم بها	88	النسبة 24 %
- حريته	166	النسبة 46 %

* هل تعتقدين ان عمل المرأه خارج المنزل امر ضروري؟

	العدد	النسبة
- نعم	168	النسبة 47 %
- لا	192	النسبة 53 %

* هل تتمنين لو كنت رجلا؟

	العدد	النسبة
- نعم	92	النسبة 25 %
- لا	265	النسبة 74%
- اخرى: لم يتم الاختيار	3	النسبة 1%

*كاتب صحفي سعودي .

هذه ليست دراسة تحليلية قائمة على منهجية علمية مطلقة، بل هي سياحة حرة، على ضوء نتائج استبانة قامت بها مجلة «المعرفة»، فهي تستند إلى معطيات الاستمارات حينًا، وتتجاوزها أحيانًا، وتحاول التناغم معها أوقاتًا أخرى.
والدراسة تصبح ذات أهمية عند الحديث عن المناطق الصغرى، ما يجعل نتائج الرياض وجدة تأكيدًا لما هوقائم.
فإن القرى والمدن السعودية الصغرى حافظت على صورتها الأولى للمجتمع السعودي.

اختلف موقف طالبات محافظتين صغيرتين (المجمعة ووادي الدواسر) عن زميلاتهن في عشر مناطق ومحافظات أُخر، فيما يخص الزواج المبكر، وعمل المرأة، إذ أبدين نزوعًا قويًا للمحافظة، وترسيخ صورة المرأة السعودية التقليدية؛ فهن ميالات إلى الزواج بعد المرحلة الثانوية، وغير متحمسات لعمل المرأة، على الرغم من أن نحو ٣٢٠ منهن أجبن عن سؤال «هل يشعرك من حولك بقيمتك؟» بـ«نعم».

هذا الموقف المغاير يدفع إلى التساؤل عن المكونات الاجتماعية لهاتين المنطقتين كي تسلك بناتهما درباً يخلخل، مايمكن وصفه، المحصلة العامة عن شخصيات طالبات المرحلة الثانوية السعوديات.

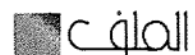
النزوع الأنثوي لمناخات الاستقرار الزوجية والعملية يعود، أساسًا، إما إلى بيئة محافظة اجتماعيًا، أو متدينة، أو تكون خليطًا من هذين المؤثرين.

ورغم صعوبة الحكم بدقة على التفاصيل الاجتماعية للمدن والقرى السعودية بسبب غياب الدراسات البحثية، وشح المعلومات بما فيها الإحصاءات الأولية، مثل: نسبة التعليم في المنطقة، نسبة النساء إلى الرجال، نسبة المتزوجين أكثر من زوجة، عدد الأولاد في الأسرة الواحدة، متوسط الأعمار في المدينة أو القرية، إلا أن محاولة الاستقراء الذاتي تظل البديل الوحيد في هذه الحالة.

المجمعة ووادي الدواسر منطقتان مستقرتان اجتماعيًا؛ الحركة منهما وإليهما محدودة، المقيمون فيهما هم من أبناء المنطقتين منذ أجيال. كبار السن هم، تقليديًا، أوصياء المجتمع ومرشدوه، المفاهيم الاجتماعية تكاد تتكرر باستثناء تحويرات طفيفة.

المناطق المحافظة، إجمالاً، تقاوم التغيير بعنف، ومن الصعب أن تتقبل معطيات حياتية جديدة، وإن كانت تستفيد من العصرنة في مظهرها المادي، فتستخدم التقنية بأشكالها، وتنتقل إلى المنازل الحديثة العمارة، لكن بنيتها الأخلاقية الداخلية تتمسك بقشرتها الداخلية المصمتة. ويزيد هذه الحالة ثبوتًا، أن المتعلمين من أبناء هذه المناطق يهجرونها باتجاه المدن الكبرى، حاملين معهم السلوكيات الحياتية الجديدة التي لايستطيعون تمريرها في نسيجهم الاجتماعي المحلي. وهكذا تحافظ القرى والمدن السعودية الصغرى على صورتها الأساسية، إذ ينسل منها المختلفون والمغايرون، بينما تظل تستنسخ حالتها البكر.

من الممكن القول إن هذه الملامح تنطبق



على جميع المدن السعودية الصغيرة، ولايشذ عن ذلك سوى المدن الكبرى، التي أصبحت عبارة عن تشكلات اجتماعية متعددة، ومتباينة في كثير من تقاطيعها، نتيجة الهجرات المحلية المتدفقة من جميع أنحاء البلد، إضافة إلى العمالة الأجنبية المستقدمة من بلدان شتى.

تخلصًا من هذه المقدمة، يمكن رصد بعض النقاط الأساسية، وهي كالآتي:

* وزعت الاستمارات عشوائيًا على مناطق المملكة من دون تمييز سكاني أو ثقافي، فحصلت القويعية على استمارات مماثلة للرياض، كما جاءت الليث مساوية لجدة. هذا الأمر يضعف القيمة المعلوماتية للاستمارات، لأن شموليتها مرتبكة ومشوشة.

* نتائج جدة والرياض، غير ذات قيمة كبرى، فهي محدودة العدد جدًا لأكبر مدينتين سعوديتين من حيث عدد السكان، ومن حيث التنوع الثقافي والجنسي. لكنها، في المحصلة العامة، تؤكد الطبيعة الانفتاحية للمدن الكبرى، وقابليتها لاستيعاب مختلف النماذج التي تنصهر، تلقائيًا في مناخ المدينة العامة مهما كانت درجة محافظتها.

* من المهم عدم الاعتماد على كل من: المنطقة الشرقية والقصيم، لأن المنطقتين تتمتعان بتنوع مذهل في تفاصيلهما الاجتماعية، وكثافتهما السكانية عالية جدًا، كما أنهما من المناطق النشطة في الحراك الاجتماعي والاقتصادي، ومرتا بتغيرات عدة في نسيجها الداخلي. وكان من الضروري أن تنال كل منطقة منهما ما لايقل عن ١٢٠ استمارة تتوزع على مدنهما الرئيسة، ذلك أن القطيف ليست الدمام، والخبر تختلف عن صفوى. كما أن بريدة لاتشابه الرس، والأسياح ليست نسل عنيزة.

* النقطة السابقة تنطبق شكليًا على الحدود الشمالية، لكن من الممكن قبول نتائجها لأن تعدد مدن الحدود الشمالية لايمس، كثيرًا، البينة الاجتماعية المتشابهة في تلك المناطق.

* رغم غياب النسق في الاستمارات فإنها تكتسب أهمية خاصة فيما يتصل بالمناطق الصغيرة، ولذا فإن الباحة والقويعية ووادي الدواسر والمجمعة وينبع والليث، إضافة إلى حائل هي المدار المهم، والمؤثر من حيث المعطى المعلوماتي، ومن ثم الدلالة الاجتماعية.

بالعودة إلى الاستمارات، فإن الملاحظ أن الأسئلة لم تكن دقيقة ومحددة الدلالة ولايمكن، تاليًا، اعتمادها علميًا، بل يمكن القول إنها محاولة استقراء سريعة لوضع الأنثى السعودية في مرحلة عمرية ودراسية متقاربة. ولعل أطرف ما فيها، أنها تحاول استفزاز الأنثى اجتماعيًا عبر تدويرها في محيط الرجل، وربط وجودها وطموحاتها به.

أحد الأسئلة يقول «هل يشعرك من حولك بقيمتك كامرأة؟». المفاجأة أن ٨٩٪ من عينة الاستبانة كان جوابهن: نعم. وهي مسألة تستدعي التحليل: إما أن أكثر الطالبات لم يفهمن المدلول الأساس للسؤال، أو أنهن تعمدن الغش من بعضهن كما يحدث في الامتحانات، أو أنهن حاولن الادعاء بمكانة اجتماعية غير مفترضة، أو أن كل واحدة فهمت السؤال من خلال منظورها الاجتماعي الخاص: عائليًا ومحيطيًا، وهذا هو الأرجح، إلا إذا جاز القول إن النظرة التهميشية للمرأة تغيرت جذريًا، وإن المجتمع يغزل حاليًا قيمًا جديدة ومنفتحة.



من الأسئلة المربكة أيضًا «ما هي نسبة تحكمك في قراراتك الشخصية؟» هل المقصود بـ«الشخصية» الملابس والعطور، أم الدراسة والزواج، أم مشاهدة التلفزيون، أم زيارة الصديقات، أم لبس البنطلون، أم عدم تغطية الوجه مثلاً؟ من المؤكد أن كل فتاة ذهبت في تفسيرها لهذا السؤال مذهبًا يخالف زميلتها، خصوصًا أن تضمن السؤال لكلمة «قرار» يستحضر صورًا ذهنية متفاوتة.

الأهمية الأساسية لهذه المحاولة، أنها تلتفت، من زاوية اجتماعية عُجلى، إلى شريحة اجتماعية مهمشة وغير ظاهرة، مع أنها ستكون خلال السنوات القليلة القادمة لحمة المجتمع، ومحرك تفاصيله الداخلية على الأقل. وتعكس الأجوبة، في مجملها، تشكل صورة جديدة للفتاة السعودية لا تنتمي لجيل أمها، بل لعلها تمثل حالة تمرد وانقلاب على صورة لا تزال، حتى هذه اللحظة، مهيمنة وسائدة.

إن الرؤية التحليلية لنتائج الاستمارات تقدم، في بعض جوانبها، التصورات الآتية:

* يبدو أن المجمعة ذات نسق اجتماعي محافظ راسخ إلى درجة أنها قاومت كل رياح التغيير التي هبت عليها، خصوصًا أنها محاصرة بموجات التغيير في المنطقة الوسطى، وتعتبر ذات مستوى تعليمي عال.

* تعود محافظة وادي الدواسر إلى كونها معزولة اجتماعيًا، وبعيدة جغرافيًا، إضافة إلى أن تكوينها الاجتماعي، في معظمه، يتشكل من القبائل، وهي وحدات اجتماعية، من سماتها الثبات والمحافظة على مدى قرون أحيانًا. اللافت أن نتائج وادي الدواسر، في ثلاثة من أهم الأسئلة، تقف على المنتصف تقريبًا، ما يعني احتمال أن الوادي موشك على مرحلة جديدة تتغير فيها مفاهيم اجتماعية كثر، وأن طالباته أصبحن أكثر تماسًا واتصالاً بالمجتمع الخارجي نتيجة الفضائيات. لكن المؤسف فقدان المعلومة التي تدعم هذا التحليل أو تنفيه، وهي: لو أن طالبات الوادي سئلن الأسئلة نفسها قبل عشر سنوات، ماذا سيكون جوابهن؟ الملاحظ أن ٤٠٪ من طالبات الوادي يرغبن لو كن رجالاً، وهو ما يتنافى مع قول ٩٠٪ منهن أن المحيطين بهن يشعرونهن بقيمتهن الأنثوية. وهذا يعني أن نساء الوادي يذهبن إلى أن الذكورة هي ذروة السنام الاجتماعي، وأن المرأة مهما علت قيمتها ومكانتها تظل، دومًا، درجة ثانية. وربما كان السبب

٩٨٪ يجمعن أن المحيطين بهن يمنحونهن الشعور الكامل بقيمتهن الأنثوية . سواء كانت هذه القيمة مظهرية وسلوكية أو معنوية . وهي تضاف إلى ما قبلها في تأكيد خروج الأنثى من دائرة التهميش الاجتماعي . ودخولها مرحلة المشاركة وإن كانت نسبية

أن الوادي يرتكز إلى قيمتين أساستين: البداوة والفلاحة، وكلتاهما للرجل فيهما حصة الأسد، وهنا يمكن القول إن امرأة الوادي نزاعة إلى التحرر والاستقلالية، وأنها طموحة إلى درجة استلاب أهم المواقع، وهو موقع الرجل. وهذه خاصية تختلف عن شعور زميلاتهن من المناطق الأخرى، اللاتي يحتفين بشكل واضح بأنوثتهن، ولايضيرهن في امتيازات الرجل سوى حريته.

* الباحة، أظهرت هي الأخرى، استقلالاً أنثويًا لافتًا نتيجة استقلال مبكر في اتخاذ القرار بعيدًا عن السلطة الأبوية المباشرة، وأجاب ٧٠٪ من طالباتها أن لهن مطلق الحرية في اتخاذ جميع قراراتهن الشخصية. وهي حرية طاغية، ومفارقة للحالة السعودية في عامة المدن باستثناء جدة، ولعل الإرث الاجتماعي المتسامح في الجنوب، وحقيقة دور المرأة الفاعل في النشاط الحياتي هناك كان من أسباب هذه الاستقلالية.

* من أغرب النتائج تشابه حالتي القويعية والليث، رغم تباعدهما الجغرافي، فالأولى في المنطقة الوسطى والثانية في المنطقة الغربية، إضافة إلى تباين مقوماتهما الاجتماعية. فهل هذا التقارب دليل على تشكل صورة نمطية مستقبلية للفتاة السعودية؟ وهل المؤثرات المختلفة تولد الناتج نفسه؟ لايمكن الركون إلى الصدفة لأن النسب متقاربة جدًا في قضايا

الزواج والعمل والشعور بالاحترام والتحكم في القرار الذاتي والنظرة إلى الرجل. لذلك من المهم التعرف على مصادر ثقافة وترفيه فتيات هاتين المنطقتين، وكذلك الوضعية الاجتماعية العامة. تبقى الدلالة الإيجابية على أن فتيات القويعية والليث حريصات على إكمال تعليمهن وغير راغبات في الزواج، ومقتنعات بأهمية العمل خارج المنزل.

* في حالة ينبع فإن الإجابة غير المتسقة هي العمل خارج المنزل، إذ رفضه ٨٠٪، مع أنهن غير راغبات في الزواج المبكر، ويتمتعن بحرية معقولة، ولديهن اعتزاز ذاتي. الاستمارة تقول إن ٥٣٪ منهن يعتقدن أن أهم ما في الرجل هو مكانته الاجتماعية، والطبيعي، تبعًا لذلك، أن يفضلن العمل لأنه يحقق لهن الغاية المنشودة، فهل هو الكسل، أم أن المكانة الاجتماعية للمرأة في ينبع تتحقق عبر الزواج من بعض الوجهاء؟

* الحدود الشمالية وافقت صورتها المفترضة في الذاكرة الجمعية، بناتها عبرن عن حالة انفتاحية اتسمت بها تلك المناطق منذ عقود طويلة، بحكم فضائها الجغرافي المفتوح، ونتيجة أكثرية بعض القبائل ، وهي التي تتحرك على خط طويل ومتغير يمتد من شمال السعودية إلى عمق العراق. إضافة إلى تأثر الحدود الشمالية بكل من سورية والأردن. لكن المختلف في إجاباتهن هو الشغف الصارخ للحرية، مما يشير إلى انحسار واضح في حرية الأنثى الشمالية التي كانت سابقًا غير مقيدة في سلوكها، وتعامل ندًا للرجل.

* حائل هي الميدان المثالي للأنثى، فهي الوحيدة التي حققت نسبة مطلقة في الشعور بالقيمة الأنثوية. فهل مجتمع حائل يدلل الأنثى، أم أن أنثى حائل تقليدية ومستكينة؟ بعض معطيات استمارة حائل تقول إن الأنثى مدللة، وإنها مستمتعة بهذا الدلال، فهي لاتفضل العمل خارج المنزل، ولاتغار من حرية الرجل، ولاترى أن الرجل هو الأفضل لذلك تتمسك بأنوثتها. الخلاصة أنه حالة مستأنسة وسعيدة، وإن كانت أقرب إلى التقليدية.

خروجًا من دائرة التفاصيل، ورجوعًا إلى المحصلة الاجمالية يمكن القول إن طالبات المرحلة الثانوية في مختلف المناطق السعودية يتمتعن بالملامح الآتية:

* الاعتقاد بأولوية التعليم على الزواج، إما لكونه يمنحهن هامشًا من الحركة خارج الحدود الضيقة للمنزل، أو لأنه يمنحهن قيمة اجتماعية واقتصادية مستقبلاً، إلا أن الغالب، استنادًا إلى الإجابات عن الأسئلة الأخرى، أن نحو ٨٠٪ من طالبات الثانوية مقتنعات بأهمية التعليم وضرورته الحياتية.وهذا ملمح مهم يكشف مستوى الوعي النوعي لدى الجيل الجديد من النساء السعوديات، ويعلن أن الأجيال القادمة ستكون حقبة اجتماعية جديدة، وربما كانت مغايرة كليًا للحالية.

* الرضا العام بحصتهن من القرار في شؤونهن الخاصة على اختلاف مستوياتها. وهذه الحصة مرتفعة جدًا، لأن ٩٩٪ من الطالبات السعوديات يتحكمن في ٥٠٪ وما فوق من قراراتهن الشخصية. وهذه نقطة مهمة تحرج الاعتقاد السائد أن المرأة السعودية مغلوبة على أمرها، ومحرومة من حرية التصرف في شؤون حياتها، ويرفع من درجة أهمية هذه النقطة أنها صادرة عن فتيات تتراوح أعمارهن بين ١٦سنة و٢٠ سنة. وهي سن حرجة في المفهوم الاجتماعي، وتعاني عادة قمعًا ومراقبة لصيقة وسيطرة كلية. فهل أصبحت الأسر السعودية أكثر انفتاحًا أم أكثر تساهلاً، أم أن العينة المستهدفة لم تستوعب جيدًا دلالة السؤال؟

هناك قلق كبير ، مشحون بمسببات عدة حول عمل المرأة خارج المنزل ، إذ تحمس له ٤٧٪ ، بينما عارضنه الباقيات . وهذا السؤال تحديدًا ، هو الذي أظهر خلافات جذرية من منطقة إلى أخرى

* ٩٨٪ يجمعن أن المحيطين بهن يمنحونهن الشعور الكامل بقيمتهن الأنثوية، سواء كانت هذه القيمة مظهرية وسلوكية أو معنوية. وهي تضاف إلى ما قبلها في تأكيد خروج الأنثى من دائرة التهميش الاجتماعي، ودخولها مرحلة المشاركة وإن كانت نسبية.

* الواضح أن الطالبات تتباين منطلقاتهن في ترتيب امتيازات الرجل، أو أنهن لايعرفن أفضل ما في الوضع الاجتماعي له، علمًا أن حرية الرجل كانت المسألة الأكثر حضورًا، إذ تعلق بها ١٦٦ فتاة (٤٦٪)، بينما أعجبت ١٠٦ مراهقة بمكانته الاجتماعية، و٨٨ بالأعمال التي يقوم بها. ويفترض هنا أن هذه الأعمال لاتشمل المجالات المشتركة مثل: التدريس والطب والتمريض، فهل تنصرف إلى المهن الرجالية الخشنة أم إلى تلك السابحة في فضاء مفتوح مثل الوظائف الخارجية والقائمة على السفر المستمر، أم أن تلك الفتيات يدرجن سطوة الرجل وقدرته على السيطرة على البيت، ودخوله في صراعات عضلية من ضمن الأعمال المقصودة؟

* كان هناك قلق كبير، مشحون بمسببات عدة حول عمل المرأة خارج المنزل، إذ تحمس له ٤٧٪، بينما عارضنه الباقيات. وهذا السؤال تحديدًا، هو الذي أظهر خلافات جذرية من منطقة إلى أخرى، بعضها يعتقد بأهميته، وبعضها الآخر يكاد ينبذه. ويكشف هذا السؤال أن الطالبات السعوديات لا يجعلن التعليم قناة للعمل، ما لم يفترض أن فهمهن لعبارة «عمل المرأة خارج المنزل» على أنها تتضمن الاختلاط، وهنا ينشأ موقف أخلاقي مختلف تمامًا. ومن الممكن القول إن هذه النسبة ناشئة عن محافظة اجتماعية، وقناعة شبه نافذة أن المكان المناسب للمرأة هو بيتها، فضلاً عن الصورة القاتمة المرتبطة بأن عمل المرأة يؤدي، ضرورة، إلى عنوستها، أو طلاقها إن كانت متزوجة. المهم ألايكون التجافي عن العمل خارج المنزل بداعي الكسل والخمول. وهي رغبة شائعة بين المراهقين من الجنسين: الخلاص من المدرسة، والتمتع بأكبر قدر ممكن من ساعات الخمول.

* ٢٥٪ من الطالبات يتمنين لو كن رجالاً. نسبة مخيفة وإن تركز لبها في مناطق بعينها، فهل السبب تدني وضعية المرأة، أم مساحات الحرية المتاحة للرجل؟ بشكل أولي فإن هذه الرغبة مفهومة من قبل المراهقات، إذ تصبح الحرية المطلقة، والتفلت من سلطة الأسرة وقيودهما، هما الهاجس الملح.

الحق أن هذه النتائج تشكل نواة مهمة لبدء دراسات مكثفة ومعمقة لعلنا نتعرف إلى أنفسنا عن قرب وبوضوح، والأهم أن نتفهم أجيالنا الجديدة، ونحاول التقرب إليها، ومشاطرتها اهتماماتها ونشاطاتها قبل أن ينشطر المجتمع إلى بنى هشة ومتصامدة حتى ولو بشكل مغلف ومبطن. ■

من خلال استفتاء 360 مراهقة سعودية

سيكولوجية المرأة

كلمة السر هي.. «الإستروجين»!

عبلة مورجان- أبوظبي

* متخصصة في التربية وعلم النفس.

إذا تأملنا جيدًا التركيب التشريحي لكل من الرجل والمرأة سيتضح لنا جليًا أن لكل منهما سمات وصفات وجدت ليكمل أحدهما الآخر ولا يقتصر ذلك على المستوى الجسدي فقط بل يتعدى ذلك إلى النواحي النفسية أيضًا.

فإذا نظرنا إلى البداية، بداية تكوين الذكر والأنثى نجد أول اختلاف في اتحاد الكروموسومات التي تتحكم أساسًا في نوع الجنين ذكرًا كان أم أنثى (XY, YY) مما يجعل الإناث تمتلك قدرًا أكبر من الحيوية في تكوينهن الجسماني، وهذا يرجع إلى الاختلاف في التركيب الكرموسومي.

ولذا، فمن االأهمية أن نتعرف على تلك السمات والصفات حتى نوظفها بالطريقة السليمة، وحتى نستطيع أن نترجمها ونفهمها ونستفيد منها، لأن الجهل بها يجعلنا نهملها بل وفي بعض الأحيان نحتقرها وبذلك نفتقد الكثير.

فسيولوجية للمرأة:

إن للمرأة وظائف طبيعية ليس لها وجود إطلاقًا عند الرجل مثل: الطمث والحمل والرضاعة مما له تأثير على مشاعر المرأة وسلوكها، فتأثير الهرمونات عند الإناث أكبر من الرجال. وهذا يبدو واضحًا من كون المرأة عاطفية سريعة الانفعال، وذلك لأن دورتها الجنسية التي تقررها وتتحكم فيها عوامل فسيولوجية غديّة تؤدي بها إلى أن تكون أشد حساسية للمنبهات من الوجهة العقلية والبدنية.

ونتيجة ذلك وصفت المرأة بأنها أكثر عاطفية وأسرع انفعالاً من الرجل، ولكن الأبحاث الحديثة أوضحت أسباب وأهمية وجود تلك الظاهرة، فجاءت التقارير تثبت أن المرأة تتعرض لتغيرات فسيولوجية حادة كثيرة مثل التي تصاحب فترة المراهقة، وهنا تتساوى مع الرجل، ولكن بعد ذلك تتعرض لتغيرات شهرية مع قدوم الدورة الشهرية التي تصاحبها إفرازات وتغيرات في كيميائية الجسم مما يؤثر في الحالة المزاجية لها، كما أنها تتعرض لمحنة نفسية وتقلبات مزاجية كبيرة عند سن الـ٤٥ أو قبل أو بعد وهي التي تعرف بسن اليأس، والتي تنقطع فيها الدورة الشهرية وما يصاحبها من آلام جسدية ونفسية وانفعالية.

فقد أثبتت الدراسات لكل من Neil Kessel & Alec Coppen أن هناك علاقة بين مستويات الإستروجين في الجسم وعدم الاستقرار العاطفي لدى النساء، كما أن احتياج الجسم للإستروجين له نتائج سيكولوجية بعيدة المدى.

فمستويات الهرمونات في المخ تؤثر في المزاج العام ففي دورة الحيض العادية يكون الإستروجين في أعلى معدل له عند منتصف الدورة (فترة التبويض)، وينتشر ويكثر كل من الإستروجين والبروجيسترون من خلال النصف الثاني من دورة الحيض ثم يهبط معدلهما فجأة وبسرعة قبل نزول الطمث، وتتقلب الأمزجة مع تذبذب مستويات الهرمونات فتشعر المرأة بأكبر قدر من احترام الذات وأقل قدر من القلق والبغضاء في منتصف الدورة.

ويلاحظ أن مستويات الإستروجين تكون عند أدنى معدلها في أثناء الحيض، ولذلك يكون المزاج العام سيئًا، ويزداد إنتاج الإستروجين يومًا وراء آخر حتى يصل إلى الذروة بالقرب من وقت التبويض (نزول البويضة) في منتصف دورة الحيض، عند نقطة المنتصف هذه أيضًا يكون فيه ذروة التفاؤل العاطفي والثقة بالنفس، وينتج هرمون آخر وهو البروجيسترون خلال النصف الثاني من دورة الحيض جالبًا معه التوتر والقلق، وأخيرًا يتناقص معدل كلا الهرمونين في أثناء فترة ما قبل نزول الطمث، ويكون المزاج عند أدنى معدل له مرة ثانية.

ولهذه التغيرات ميزة ونقيصة فينظر إليها دائمًا على أنها نقطة ضعف لكن الأبحاث الحديثة

أثبتت أن تلك التغيرات الفسيولوجية التي تؤثر بدورها في انفعالات المرأة هي ضرورية حتى تستطيع أن تتكيف مع كم الأدوار التي تقوم بها المرأة، ولولا تلك التغيرات الكيميائية التي تحدث لما استطاعت أن تتكيف مع الحياة.

فهناك نسبة كبيرة من الأمراض التي تتأثر بالحالة النفسية تصيب الرجال أكثر من النساء مثل: أمراض ارتفاع ضغط الدم - اضطرابات القلب وأزماته - السكر - القرحة المعدية... وغيرها.

وبالنسبة للتركيب العظمي الهيكلي فالإناث يتميزن برأس أقصر ووجه أعرض والذقن أقل بروزًا للأمام، أما سيقانهن فهي أقصر والجذع أطول، كما أن عدد عضلات المرأة أكثر من الرجل في حين أن عظم الرجل أثقل وهذه الميزة التشريحية تساعد المرأة في دورة الحمل والولادة.

بالنسبة للتمثيل الغذائي، فالإناث أقل من الذكور مما يجعلهن يتحملن ارتفاع درجة الحرارة أكثر من الرجال.

دم المرأة يحتوي على الماء بنسبة أكثر من كرات الدم الحمراء (٢٠٪)، وحيث إن الكرات الحمراء هي التي تحمل الأكسجين إلى خلايا الجسم مما يؤدي إلى شعورها بالتعب والإرهاق وتعرضها للإغماء أسرع من الرجل، وزيادة كمية الماء تؤدي إلى مرونتها وحيويتها مقارنة بالرجل.

تفكير المرأة:

المرأة كائن دقيق لذا فهي تهتم بالتفصيلات الدقيقة للأمور، كما أنها تضع نفسها داخل المشكلة وتعمل حسابًا لمشاعر الآخرين، بالإضافة إلى أنها لا تستطيع أن تفصل بين الأمور الشخصية والعامة، بعكس الرجل الذي يفكر بطريقة كلية فهو يهتم بالإطار العام للموضوع ويتعامل معه بطريقة موضوعية وعملية بحتة بعيدًا عن المشاعر والعلاقات.

لذا دائمًا توصف طريقة المرأة في التفكير بالخزانة الخاصة بالملابس التي تختلط فيها كل الأشياء معًا. أما الرجل فتوصف طريقة تفكيره بالجارور الذي تستطيع أن تفتحه حينما تستدعي الموضوع وتغلقه حينما تستبعده.

فالمرأة تأخذ تأثيرات الظروف المنزلية سلبية كانت أم إيجابية معها للعمل وبالمثل تأثيرات العمل معها للمنزل، بعكس الرجل فهو يستطيع غالبًا أن يفصل بين مشكلات عمله عن جو المنزل ومشكلات المنزل عن عمله.

مواجهة الضغوط:

المرأة حين تتعرض للضغوط تحتاج بشدة إلى التعبير عن مشاعرها والحديث عن المشكلات التي تسببت في هذه الضغوط، وهي لا تبحث عن حل من حلول المشكلة بقدر ما تبحث عمن يفهم ما تشعر به من أحاسيس سلبية ليخفف من تلك الضغوط، لذلك فالكلام أو الحديث بالنسبة للمرأة عما بداخلها هو رد الفعل الطبيعي والصحي لمواجهة المشكلة، وأحيانًا قد تلجأ إلى الانشغال عاطفيًا بمشكلات الآخرين لتنفس عن مشاعرها المتألمة.

وهذا عكس الرجل الذي إذا تعرض للضغوط ينسحب داخل نفسه، وقد يتقوقع داخلها بهدف التفكير والتركيز في أسباب تلك الضغوط محاولاً إيجاد مخرج للأزمة.

فالمرأة تجد راحتها في الحديث والتعبير عن تفاصيل ما يواجهها من مشكلات، في حين يجد الرجل راحته في التعامل مع تفاصيل المشكلة المعقدة بمفرده وفي صمت محاولاً حلها.

فالمرأة تحتاج من الرجل إلى أن يصغي لحديثها ليساعدها على الخروج من دائرة الأحاسيس السلبية.

أسلوب التعبير:

المرأة تستطيع أن تعبر عن نفسها من خلال الكلام، فهو الوسيلة المثلى لتوصيل ما بداخلها، ولذا فهي تتهم بأنها كثيرة الكلام، ولكن بالدراسة العملية اتضح أن نصفي الكرة المخيّة مختلفان: فالنصف الأيمن يختص بالأمور غير الكلامية، فهو مسؤول عن السيطرة على الوظائف الخاصة بإنجاز الأعمال اليدوية وحدوث التوافق الحركي البصري، في حين أن النصف الأيسر هو المسؤول عن المهارات الكلامية. وبالنظرة البيولوجية وجد أن الجانب

ولهذه التغيرات ميزة ونقيصة فينظر إليها دائمًا على أنها نقطة ضعف لكن الأبحاث الحديثة أثبتت أن تلك التغيرات الفسيولوجية التي تؤثر بدورها في انفعالات المرأة هي ضرورية حتى تستطيع أن تتكيف مع كم الأدوار التي تقوم بها

الأيسر ينمو عند الإناث أسرع من الذكور في مرحلة الطفولة، ولذا نجد أن الإناث يتكلمن أسرع من الذكور، في حين أن الذكور يتحركون ويمشون قبل الإناث. وينتظم نمو الجانبين ويتلاشى التفاوت عند مرحلة المراهقة، وتبقى الخبرة السابقة التي تعيشها المرأة فقط من خلال استخدامها لمهارة الكلام في التعبير عن نفسها. وهنا يجب التنبيه على أن المرأة عندما تتحدث فهي تعبر عن مشاعر وعواطف وأحاسيس وليس عن كل الواقع، في حين يتكلم الرجل عن الواقع والأفكار.

المرأة لديها حصيلة لغوية أكبر من الكلمات والألفاظ، كما أن عيوب النطق والكلام نادرة مقارنة بالرجال.

لغة الحوار:

اللغة هنا ليست هي الكلمات لكنها طريقة التعبير وطريقة استخدام الكلمة الواحدة للتعبير عن معان مختلفة، وقد تكون مفردات اللغة والكلمات المستخدمة واحدة لكنها تخرج من الفم بنبرة صوت مختلفة ومشاعر مختلفة، ويؤدي ذلك إلى إساءة تفسير الأمر الذي يحدث مرارًا بكل سهولة، فنجد مثلاً أن المرأة لكي تعبر عن نفسها بوضوح تستخدم أساليب متعددة من المقارنات والتشبيهات والتعميمات في حين يتلقى الرجل الرسالة بطريقة حرفية مخطئًا لفهم المعنى المقصود.

وهنا تحتاج المرأة من الرجل إلى أن يفهم مشاعرها وتعبيراتها قبل كلماتها بطريقة صحيحة.

القدرات العقلية:

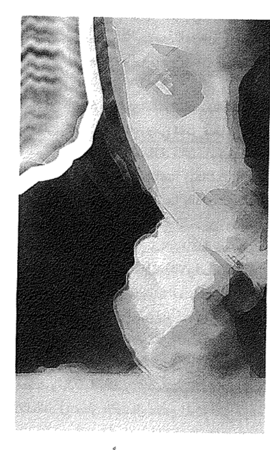
لوحظ أن من بين الاختبارات الأحد عشر للقياس النفسي - في أوسع اختبارات الذكاء العام انتشارًا واستخدامًا - يوجد اثنان فقط هما: القياس الرقمي وترتيب الصور يعطيان نتائج متشابهة في الإناث والذكور لاستخراج المهارات والعيوب المرتبطة بالنوع.

* فالنمو العقلي للإناث أكبر منه في الذكور مع ملاحظة ميلهن إلى الحزم والفاعلية والتحكم في الأحداث، وهي عوامل لا تمثل أهمية تذكر بالنسبة للذكور في نموهم العقلي.

* أوضحت الدراسات أن ٩٠٪ من الأشخاص ذوي النشاط الزائد من الذكور.

* أما بالنسبة للقابلية للتعليم والاستجابة للتعليمات في مراحل التعليم الأولى فتتميز الإناث عن الذكور في هذا الأمر؛ لأن العقل الذكري بصري بالدرجة الأولى فهو يتعلم من البيئة المحيطة وما يراه فيها.

أما التعليمات التي يتلقاها في الصغر للتشديد على



الانتباه والإصغاء فتمثل ضغطًا عليه.

* في المراحل العليا من التعليم يكون أداء الإناث أقل من الذكور في الاختبارات العلمية التي تتوافق مع استعداد الذكور في هذه الفترة.

* عند دراسة توزيع الجنسين على امتداد الرسم البياني للقدرات العقلية وجد زيادة نسبة الذكور في الأطراف النهائية لهذا المقياس أي أنهم يزيدون عن الإناث في التخلف العقلي وكذلك العبقرية. وفيما يلي بعض النتائج التي استخلصها د.ريتشارد ريستاك اختصاصي الأمراض العصبية في كلية الطب جامعة جورج تاون بالولايات المتحدة الأمريكية:

* يتميز النصف المخي الأيسر في الإناث بأنه أكثر اكتمالاً ونموًا لذلك:

- تتفوق الإناث في المهارات الكلامية والتواصل مع الآخرين.
- تكون أكثر حساسية ووعيًا بالبيئة المحيطة.
- تكون أكثر تعرضًا لمشاعر الخوف والاكتئاب بمقدار الضعف تقريبًا لأنها تفتقد التحكم الكامل من النصف الأيمن.
- تتصف الإناث بالتقلب المزاجي وتتأثر واحدة

من بين أربع نساء تأثرًا خطيرًا في فترة ما قبل الحيض نتيجة اختلاف نسبة الهرمونات في المخ مما يزيد الإحساس بالمرض ومزيد من التوتر.

القيم والمعايير:

من طبيعة المرأة أن تقدم النصيحة والتوجيه دون أن يطلب منها ذلك، وهي تقدر معاني الحب والجمال والعلاقات المختلفة، فالنساء تبقى وقتًا طويلاً من حياتهن في مساعدة وتعضيد ورعاية الآخرين، وبتحقق إحساسها بالذات من خلال المشاعر وطبيعة العلاقة مع الآخرين، وتختبر الإحساس بالاكتفاء من خلال المشاركة وتكوين العلاقات. فهي تهتم بالعلاقات الاجتماعية، ويكون اهتمامها بالمظهر وأساليب الحديث والرقة في مخارج الألفاظ، فالتواصل مع الآخرين يؤدي في حياة المرأة دورًا هامًا، ويمثل الحديث والارتباط مع الناس مصدرًا هائلاً للشبع. وهذا يختلف عن معشر الرجال الذين ترتبط حياتهم بتحقيق الأهداف وإنجاز الأعمال عكس المرأة التي ترتبط حياتها بما تحققه من علاقات ومظاهر الحب والرعاية.

الحوافز التي تدفع المرأة:

المرأة تستمد قوة الدفع والحافز من الإحساس بأنها موضع إعزاز وتدليل، لذا نجد المرأة التي لم تنل ما تحتاج إليه من اهتمام وحب فإنها تتحول تدريجيًا إلى الإحساس بالكلل من المسؤولية وينتابها الشعور بأنها مجبرة أو ملزمة، مما يؤدي إلى عدم الرغبة في استمرار العطاء، أما إذا نالت ما تحتاج إليه من احترام واهتمام ورعاية فذلك يمثل بالنسبة لها أكبر حافز لمزيد من البذل والعطاء، ويختفي تدريجيًا الإحساس بالإكراه والإلزام في أداء دورها حيث تتخذ من الحب والاهتمام راحة واسترخاء في أداء ما عليها من مسؤوليات.

تحقيق الذات:

المرأة تحقق ذاتها من خلال الحب والقبول والأمومة داخل مملكتها (بيتها)، فالمرأة التي تحس أنها غير محبوبة تصاب بالعلل النفسية، والمرأة التي تحقق نجاحات من خلال عملها وتشعر بالإحباطات في علاقتها بزوجها أو الفشل في تربية الأبناء تصاب بازدواجية وعدم الثقة بالنفس،

ونحن نلمس ذلك إذا تعارض عمل المرأة مع مصلحة أولادها وأمومتها فهي تضحي بعملها مهما كانت النجاحات التي حققتها أو المستقبل الوظيفي الذي ينتظرها من أجل بيتها وأطفالها، فهم سبب افتخارها ونجاحها، وهذا عكس معشر الرجال الذين يحققون ذواتهم من خلال نجاحاتهم العملية الوظيفية. فالرجل لا يعمل بحثًا عن المال بقدر ما هو بحث عن إثبات ذاته كشخص ناجح قادر على الإنتاج والإنجاز.

هناك دراسة أجريت على مجموعة من الأزواج والزوجات يعملون لعدد متساو من ساعات العمل فوجد أن:

* ٧٥٪ من الأزواج شاغلهم الأول كان العمل والتقدم الوظيفي.
* ٧٥٪ من الزوجات كان شاغلهن الأول هو حياتهن الأسرية والانسجام العاطفي.

فالرجل بفطرته ينظر ويقدر ذاته وإحساسه برجولته من خلال عمله وما يحققه من إنجازات.

أما المرأة فهي تجد كينونتها وإحساسها كامرأة في كل ما يرتبط بكيانها الأسري مع الزوج والأبناء.



المرأة والعلاقة الحميمة:

وهنا نتعرف على طبيعة فريدة للمرأة حين تشعر بأنها محبوبة وأن هناك من يهتم بها، فنجدها قد اكتسبت احترامًا لنفسها وتقديرًا يرتفع إلى درجة عالية ثم ما يلبث أن يهبط ثانية في حركة تشبه حركة الأمواج فهي تتأرجح في حالتها النفسية بين ارتفاع للقمة وانخفاض حاد للقاع. ففي فترات ارتفاع الموجة تجد المرأة تغمر من حولها بالحب والحنان، بينما تعاني عند الانخفاض مشاعر سلبية مكبوتة واحتياجات غير مشبعة عندما تأخذ الموجة اتجاه الهبوط. وفي هذا الوقت بالذات تحتاج بشدة إلى التحدث عن مشكلاتها وأن يكون هناك من يصغي إليها ويفهم مشاعرها.

وبوجه عام فإن قدرة المرأة على التمتع بعاطفة الحب عطاء أو أخذًا تعكس ما تشعر به تجاه نفسها أولاً وتجاه الآخرين ثانية، فهي تفقد القدرة على مبادلة الزوج بمشاعر القبول والتقدير حين تكون أحاسيسها الداخلية غير طيبة، وتصبح أكثر احتياجًا إلى من يحتويها ويغمرها عاطفيًا. وعند وصول موجتها إلى أدنى نقطة تصير أكثر قابلية للانكسار ويعوزها مزيد من الحب.

ماذا تحتاج المرأة من الرجل:

*** الرعاية:**

مما لا شك فيه أن إظهار الاهتمام بمشاعر المرأة واعتناء الرجل بكل ما يرفع من شأنها لا بد أن يؤدي إلى سعادتها مما يزيد ثقتها بنفسها فتصبح أكثر انفتاحًا واستقبالاً لمزيد من المشاعر.

*** الفهم والتفهم:**

يتولد داخل المرأة إحساس إيجابي، عندما تشعر بأن هناك من يستمع إليها ويفهمها، فكلما شعرت باهتمامه بالاستماع إليها وفهم مشاعرها، سهل أن تمنحه القبول الذي هو من صميم احتياجاته الأساسية.

لذا فالمرأة تحتاج من الرجل إلى أن يصغي لحديثها ليساعدها على الخروج من دائرة الأحاسيس.

*** الاحترام:**

الاحتياج الثالث احتياج الاحترام لدى المرأة وهو أن تشعر باحترام الطرف الآخر لها، ويتحقق هذا الاحتياج إذا تجاوب الرجل معها مقرًا حقوقها وأمانيها ومعطيًا لها أولوية خاصة.

ومن المهم التعبير عن هذا الاحترام بطريقة ملموسة وحقيقية فحين تتأكد المرأة من احترام الطرف الآخر لها يسهل عليها أن تمنحه التقدير الذي يستحقه ويحتاجه الرجل بدوره.

> المرأة حين تتعرض للضغوط تحتاج بشدة إلى التعبير عن مشاعرها والحديث عن المشكلات التي تسببت في هذه الضغوط، وهي لا تبحث عن حل من حلول المشكلة بقدر ما تبحث عمن يفهم ما تشعر به من أحاسيس

*** الاعتراف بحقها كشريك في الحياة:**

من الأمور الهامة بالنسبة للمرأة أن يعترف الرجل بحقها في أن يكون لها رأي خاص وأحاسيس خاصة دون اندفاع نحو معارضتها دائمًا أو الاختلاف معها بصفة مستمرة. فهي تحتاج من الرجل إلى أن يتعلم كيف يظهر لها اعترافًا شخصيًا بها، وبفاعلية آرائها، ولا شك أن هذا سيعود عليه وتحتاج المرأة من الرجل إلى أن يفهم مشاعرها وتعبيرها بطريقة صحيحة.

*** الإخلاص والاهتمام الشخصي:**

تحقق المرأة تقدمًا حقيقيًا وانتعاشًا في حياتها إذا تأكدت من المشاعر الخاصة التي يكنها شريكها تجاهها، إذا كان يخصها بكل الحب والتقدير، فإذا وصل إليها أنها شخصية ثمينة ذات اعتبار خاص حقيقي عنده يسهل عليها أن تظهر مشاعر الإعجاب بالرجل، تلك المشاعر التي تولد داخله الإحساس بالأمان.

*** تأكيد الحب:**

الرعاية والفهم والاحترام والاعتراف بمشاعر المرأة بمنزلة إشباع تلقائي للاحتياج السادس في حياتها، وهو الاحتياج إلى الطمأنينة والشعور بالأمان، ويتأكد ذلك بأن يظهر الرجل لها الحب ويعبر عنه بالقول والفعل.

وهكذا خلق الله سبحانه وتعالى كلاً من الرجل والمرأة ليتمتعا بصفات وسمات لو تعرفنا عليها وقدرناها وتعاملنا معها على أساس أنها من عطايا الخالق جل جلاله لما عانى مجتمعنا من مشكلات كثيرة ولأنبت جيلاً جديدًا من الصالحين الأقوياء.

الشرق امرأة :

معنى «الحريم» في العقل الغربي

محمد الدعمي* . بغداد

*كلية التربية للبنات . جامعة بغداد .

يغدو الشرق مؤنثًا، كائنًا مستكينًا معرضًا لنزوات الذكر بضمن اقتصاد قصصي مستنبط من إعادة ترتيب الثنائيات الجنسية، على سبيل خدمة التمييز الرئيس بين الشرق والغرب . إذًا، يقوم اندفاع القصة بتفعيل عملية استعمار الشرق، حيث يخترق الأنا المذكر، الأوروبي الاستحواذي، فضاء الشرق المؤنث.

وهكذا تصبح الهيمنة على الآخر المؤنث المحجب صورة من صور خضوع الشرق للمبدأ الغربي. (إرك ميّر)، «الاستشراق الرومانسي في عين الآخر»

بناء على معطيات عصرنا الحالي الزاخر بأفكار العولمة والإصلاحات وتحرير المرأة، يتوجب التنقيب في المفاهيم الخاطئة التي طورها الغرب حول المرأة الشرقية، والعربية المسلمة على نحو خاص، عبر تحليل دلالات «الحريم» **Harem**، لفظًا وفكرة، بالنسبة للعقل الغربي. وعليه فإننا نرصد ونتفحص مجموعة من الإعلانات الثقافية والأدبية التي تعكس الكيفية التي بوساطتها تمت عملية تجاوز دلالات اللفظ العربية الأصلية على سبيل إضفاء هالة من المعاني الاجتماعية والتاريخية عليه، من أجل الترويج لموقف ثقافي غربي متعال وشمولي، موقف لا يندب وضع المرأة في مجتمعاتنا فحسب، بل يعبر كذلك عن شعور غربي زاخر بأحاسيس القوة والتفوق الوسواسية إزاء شرق كان يبدو للعقل الغربي كينونة مؤنثة سالبة.

مفهوم «الحريم» في العقل الغربي:

الـ«حريم»[1] لفظ عربي استعارته أدبيات الاستشراق منذ بداياتها، إذ عمد الكتّاب الخياليون والشعراء إلى توظيفه بكثافة، الأمر الذي أدى إلى توسيع دلالاته إلى حد نسف المعنى العربي الأصلي على سبيل عكس أفكار خاطئة وتمثيلات مشوهة كانت قد استقرت في قعر العقل الغربي منذ بداية وعيه بالإسلام وبالعرب إبان عصر الفتوحات الإسلامية المبكرة. وبعد أن تم ضم اللفظ (كلمة مستعارة) إلى اللغة الإنكليزية وغيرها من اللغات الأوروبية، أخذت دلالاته توظف عمومًا لتأشير حال النساء المسلمات تحت ظل ما يحلو لأدبيات الاستشراق أن تطلق عليه، تعسفًا، تعبير «مؤسسة» تعدد الزوجات. وعليه فإن اللفظ يسهم في تشكيل صورة شديدة التشويه والضبابية للحياة الاجتماعية الإسلامية من خلال بلورة مفهوم دوني للمرأة الشرقية. وبضمن هذا الاتجاه، لاحظ الأستاذ الراحل إدوارد سعيد مؤخرًا ميلاً تحجيميًا يشوب الفكر الغربي، ويتجسد في تمسكه بعدد من الأفكار المتكررة والأنماط الإيحائية كالحريم، فيقول، محقًا: «يمكن تشخيص الإسلام على نحو لامحدود بتوسل أنماط (أكليشيهات) معدودة، تعميمية على نحو لا مبال، وهي منتشرة بشكل متكرر».[2] يكمن هذا التعميم، على الرغم من اتصافه بالتسرع، على إغراء لا يقاوم، خصوصًا عندما يتناول المرء هذه الكلمة المستعارة و«المضخمة» دلاليًا التي لا تترادف مع فكرة «المرأة الحبيسة»فقط، بل كذلك مع صور قسرها وضربها وبؤسها بداخل نظام عائلي واجتماعي يبدو للناظر الغربي نظامًا «طاغيًا» مفتقرًا إلى الإنسانية. إن أية مراجعة، بغض النظر عن عجالتها، لتاريخ التأريخ الأوروبي للإسلام، بوصفه دينًا جديدًا نسبيًا (مقارنة باليهودية والمسيحية) ميالاً للتحدي،[3] لن تخفق قط في إماطة اللثام عن الكيفية التي تم من خلالها دمج «الحريم»، فكرة ومفهومًا، في كل نشاط ذهني أو إبداعي حول العرب والمسلمين، هؤلاء الذين تعمدت أدبيات الاستشراق إطلاق لفظ «محمديين» عليهم.

الف ليلة وليلة: اختلاط الحقيقة بالخيال

وككلمة اكتسبت قيمة مفهومية «فوق نصّية»، تستثير «الحريم» انطباعًا سلبيًا في العقل الغربي، مستحضرة قائمة طويلة من

الممارسات من نوع تعدد الزيجات واتخاذ المحظيات والطلاق وضرب الزوجات والحجر على النسوة، وما يسمى بـ«سراي» الحريم الخاص بالسلطان وبالمتنفذين وغيرها، تزحف على نحو تلقائي إلى العقل الغربي في اللحظة التي تنطق بها كلمة «حريم». ومن ناحية أخرى، تستقطب هذه الكلمة دلالات إضافية، إذ توحي بانطباع منمط غير واقعي يتجسد في عالم شرقي لازمني يطفو هائمًا بلا هدف فوق محيط متلاطم بالحسية، ويعج بالطغاة وبالخليلات وبالمخنثين والغلمان، من بين شخصيات شاذة أخرى دأبت على مداعبة الخيال الغربي منذ ترجمة ألف ليلة وليلة، أو كتاب الليالي العربية **Arabian Nights**، كما يفضلون تسميته. ولتأشير هذا الانطباع الذي لا يفلت العقل الغربي من توصيله بالعالم الإسلامي، يمكن للمرء أن يستذكر ما كان «واشنطن إرفنغ» **Irving** يتوقعه عند مشاهدته سفير الدولة العثمانية في برشلونة عام ١٨٤٤م، إذ كتب إلى أحد أصدقائه يصف المشهد : «كنا نتوقع رجلاً شرقيًا ومسرحيًا برداء موشح بالفرو، وغليون طويل،ولحية وشاربين عملاقين، وثلة من الزوجات ورهط من العبيد السود»[٤]. هكذا كان يتم تصوير المرأة الشرقية المسلمة في الأدبيات الرومانسية وغير الرومانسية بوصفها مخلوقًا محجمًا مستكينًا لا حول له ولا قوة، مخلوق ينتمي إلى«حريم» أحد الرجال الأثرياء أو المتنفذين.

إذا ما اتفقنا مع توكيد الأستاذ إدوارد سعيد على فكرة إن المعرفة هي القوة، في سياق تحليله لآليات العقل الاستشراقي، فإننا سنتمكن من إدراك دوافع الرغبة القوية لمعرفة المزيد عن أحوال النساء المسلمات، لأن هذه الرغبة تتواشج بقوة مع التطلعات الأوروبية لغرض اكتشاف نقاط ضعف المجتمعات والأمم المستهدفة بالاستغلال، وكما كانت عليه الحال مع تعمد بريطانيا لجم عادة حرق الأرامل (ساتي) **Sutee** في الهند[٥]، فقد حاول المشروع الاستعماري التمسك بفكرة «تحرير» النساء المسلمات كوسيلة لتبرير طرائق التاج الإمبراطوري نحو المسلمين. إنه لمن الملفت للنظر أن نلاحظ أن هذه «التحررية البريئة»، كما تبدو على السطح، كانت هاجسًا هيمن على المنقبين الآثاريين الغربيين الوافدين إلى الأقاليم الشرقية، برغم ما كان يبدو عليهم من موضوعية وعدم تحامل. ففي كتابه «نينوى وبقاياها» ١٨٤٩م، خط «ليّارد» **Layard** هذا النوع من السلطوية التي منحها لنفسه على نحو لا واع، قائلاً:

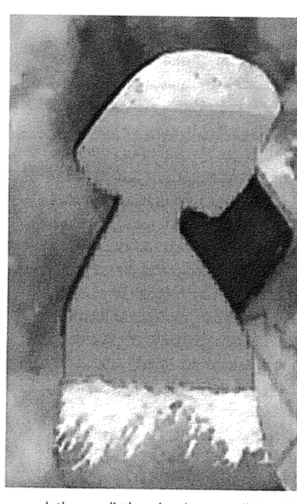
عندما استخدمت العرب لأول مرة، كانت النساء يقاسين سوء معاملة فظيعة، إذ كن يواجهن صعوبات بالغة. وقد حاولت أن أدخل نوعًا من الإصلاح على ترتيباتهن المنزلية، إضافة إلى أني أوقعت أشد العقوبات على هؤلاء الذين يوقعون العقوبات البدنية بنسائهم. [٦]

ولكي ندرك ظاهرة تقديم الخيالي على الواقعي في الذهنية الغربية، علينا أن نلاحظ اختلاط صورة المرأة في كتاب ألف ليلة وليلة، الذي صار«أكثر الكتب شيوعًا في العالم»[٧] كما وصفه الشاعر «لي هنت» **Hunt**، منجمًا لا ينضب من التصويرات الخاطئة والأفكار المتوارثة حول المرأة الشرقية وأحوالها. لقد عمق هذا الكتاب مثل هذه المفاهيم على الرغم من أنه عمل فولكلوري زاخر بحكايات شعبية نصف أسطورية لا يمكن إلاّ أن يعكس الحياة المترفة لقلة من الأغنياء والسلاطين في العالم الإسلامي إبان العصر الوسيط. لقد تم استقبال الترجمة المبكرة لليالي العربية المعروفة بـ **Grub Street**، بما حملته من حكايات تأسر الخيال عن نساء شبقات ورجال قساة من النوع الذي سكن منظومة «شهرزاد - شهريار» الساحرة، بحماس كبير بل ومنقطع النظير في أوروبا من قبل الصفوة المثقفة وجمهور القرّاء عامة. وإذ تبعت هذه الترجمة أعداد كبيرة من محاولات المحاكاة أو محاولات صياغة حكاياتها بضمن مهاد أوروبي، فإن الليالي العربية

اللفظ يسهم في تشكيل صورة شديدة التشويه والضبابية للحياة الاجتماعية الإسلامية من خلال بلورة مفهوم دوني للمرأة الشرقية

بقيت تشيع فكرة الإساءة للمرأة الشرقية في عالم شرقي لا حدود له من الملذات المثيرة للخيال وللشجون. ولكن بالنسبة للقرّاء الأكثر عمقًا فكريًا، برز هذا الكتاب كوثيقة اجتماعية تدعو للدراسة والتحليل. ولسوء الحظ، لم يفعل هؤلاء من نقّاد الليالي شيئًا سوى تعميق الانطباعات الموروثة والمختزنة التي دأب الغربيون على الارتجاع إليها للاغتراف من منبع الخيالات الفنطازية الذي لا ينضب. وبغض النظر عن دوافعهم الموضوعية وآرائهم التصحيحية حول الليالي كوثيقة اجتماعية، ينبغي مباشرة هؤلاء النقاد على نحو جاد، ذلك أنهم كانوا، في حقيقة الحال، يستجيبون للأفكار الشائعة التي تشبثت ثقافتهم بأذيالها. وعليه يمكن لمقالاتهم (التي نشرت في اكثر دوريات ذلك العصر الانتقالي شيوعًا) أن تؤشر، إلى حد ما، الأفكار المتوارثة التي احتضنها جمهور القرّاء في تلك الفترة. بيد أن تعليقات كتلك التي خطها «وولتر باجت» **Bagehot** في دراسته المعنونة «أناس الليالي العربية» **National Review, 1809**، أو كتلك التي كتبها «ريتشارد بيرتن» في «المرأة» (بضمن «المقالة الختامية» **Terminal Essay**، ١٨٨٦م) بقيت أسيرة ذات المفاهيم الخاطئة بدلاً من التحرر منها أو دحضها.

يتعمد «باجت» قلب ما يسميه بـ«عزل النساء» في العالم الإسلامي ليكون ذريعة لما يعده «عالمين منفصلين»: عالمان يتعايشان بداخل المجتمع الإسلامي، الأول هو عالم الرجال والثاني هو عالم النساء. ثم ما يلبث أن يؤكد من جديد «الحياة المستقلة» الكريمة التي تتمتع بها النسوة بداخل عالمهن المغلق[٨]. وبهدف إعادة تركيب الأفكار الشعبية الشائعة في أوروبا يقول باجت إن «الزوجة الواحدة مثلت الشكل الاعتيادي للحياة المنزلية في الشرق؛ بينما كان تعدد الزوجات، وحتى الاقتران باثنتين، هي الحال الاستثنائية»[٩]. ولكن كخلاصة نهائية، تخفق آراء باجت في إزالة المفاهيم المتوارثة لأنها تعجز عن إيضاح وتقديم الموقف الإسلامي الحقيقي الأصلي حيال المرأة وحقوقها، كما إنها تتجاوز الفلسفة الكامنة خلفه، تلك الفلسفة التي سمحت بالزواج لأكثر من مرة على نحو عقلاني ومشروط. ولهذا يباشر باجت وضع النساء الشرقيات، الذي صار مثارًا للكثير من الجدل. «مما لا ريب فيه هو أن الفكرة الشائعة حول اللامبالاة الواضحة



والعزل الاستعبادي لحياة الحريم، إنما تعرضت لمبالغة كبيرة بسبب ما يسود بيننا من أفكار خاطئة حول موضوع آليات تعدد الزوجات ومدياته الحقيقية بين المحمديين ... فلم تزل الفكرة الموروثة سائدة في إمكانية امتلاك المسلم عددًا من الشقق، حيث يحتفظ بداخلها بزوجتين أو ثلاث، وبعدد من الجواري اللائي يترقبن المحظية التي سيرمي بمنديله إليها، إضافة إلى الفكرة التي تفيد بأن جميع النساء الشرقيات هن جوار معرضات للإذلال على نحو منظم، زيادة على الاعتقاد بأنهن محرومات من دخول الجنة على نحو مؤكد. ولأن عشقنا لـ(الليالي العربية) عجز عن خلق انطباعات أكثر واقعية، فإن علة ذلك تكمن في أن هذه الحكايات تركز بشكل واسع على الحياة الخاصة بالأمراء الذين تنطبق هذه المواصفات على حياتهم بشكل دقيق».[١٠]

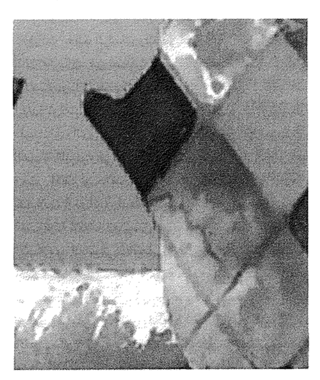
وتنطبق دلالات هذا الخط «التوفيقي» في التفكير (الذي يؤول إلى تعميق التشويه بدلاً من إزالته أو تصحيحه) على تعامل ريتشارد بيرتن **Burton** مع هذا الموضوع الحساس

كذلك، حيث تتجلى نياته في تشويه الإسلام وفي التحامل الواضح على نبيه محمد ﷺ. فبينما يستهل بيرتن مقالته باحتجاج مضاد للمفاهيم الغربية الموروثة حول المرأة المسلمة[١١] فإنه ما يلبث، أن ينتقل فجأة إلى استحضار بعض الأحاديث النبوية الشريفة، مجتزأة من سياقها التاريخي والاجتماعي الأصلي، على سبيل اختلاق الانطباع المتمثل في أن الإسلام بطبيعته يحط من شأن المرأة، مجسداً هذا «الوضع» بوصفه عنصراً جوهرياً من عناصر هذا الدين[١٢]. ومما يثير الاهتمام في «المقالة الختامية»، التي كتبها بيرتن بعد قضائه حوالي ثلاثة عقود في ترجمة ألف ليلة وليلة،هو نقده لـ«هاريّت مارتنو» **Martineau** وأحاسيسها بـ«الملذات والرأفة والحزن عند رؤيتها للنساء الشرقيات»[١٣]. إنه لا يدّعي، كما هي الحال مع باجت، بأن الجمهور الغربي يبالغ في تصور «مؤسسة تعدد الزوجات»، ولكنه يميل إلى إعادة تأكيدها بوصفها - بحسب رأيه - تقليداً اجتماعياً ضرورياً في الشرق، ممتدحا الموقع الأبوي للزوج الذي ينبغي أن يفوز «بعشق ومحبة أكثر من زوجة واحدة [١٤]». وتوافقاً مع دراسته المطولة للإسلام كنظام اجتماعي، فانه يعمد إلى إحالة الإقلال من شأن المرأة في الشرق إلى طبيعة الإنسان الشرقي - من وجهة نظر إنثروبولوجية - وإلى افتقار هذا الإنسان لسجية العقلنة مقارنة بالإنسان الغربي[١٥].

تأنيث الشرق:

إن التواشج الذي يفترضه المستشرقون بين تردّي الحياة العربية الإسلامية المعاصرة، وبين أوضاع النسوة يدعم ما نذهب إليه حول الكيفية التي تم من خلالها توظيف «الحريم»، فكرة مجردة، من قبل الثقافة الغربية الشائعة كعصا لضرب ومعاقبة المجتمعات الإسلامية المعاصرة. ولا يقل عن هذا الأمر أهمية هو الاعتقاد الغربي الملحاح في أن مفهوم «الحريم» إنما هو طريقة للتغطية على كينونة مجتمعية وحياتية مزدحمة بالتجاوزات الجنسية والسلوكيات القسرية. وهكذا يغدو «الحريم» مفهوماً غربياً مبتكراً يتوسله العديد من الشعراء والكتّاب الخياليين على سبيل التعبير عن فنطازياتهم وإسقاطاتهم الشخصية ورغباتهم المنفلتة غير التقليدية. في مناسبات عدة، يتوجه العقل الرومانسي الغربي إلى الشرق بحثاً عن الإشباع، الجسدي والخيالي الحسي، الذي تخفق بريطانيا الفكتورية أو أمريكا البيوريتانية في إتاحته وتوفيره له. وكما لاحظ إدوارد سعيد في تعليقه حول علاقة «فلوبير» **Flaubert** بالراقصة المصرية «كشك هانم»، يوحي الشرق «بحرية الجنس الشبق» وبـ«تجربة جنسية لا يمكن الفوز بها في أوروبا»[١٦]. ولا يستثني إدوارد سعيد، مبرراً، أي كاتب أو مرتحل غربي (رجلاً كان أو امرأة) من هذا الميل إلى «الجنسية الشرقية» التي صارت «بضاعة... فائدتها هي إن القرّاء والكتاب يمكنهم اقتناؤها دون الحاجة إلى الذهاب إلى الشرق بالضرورة»[١٧]. ولا يقل عن هذا الأمر أهمية، بل وأكثر منه بلورة للدلالات الاستعمارية لهذه المسألة، هو ذلك الربط الذي لاحظه الكاتب الأمريكي «إرك ميّر» **Meyer** بين رغبة نابليون بونابرت بـ«امتلاك إمبراطورية في الشرق» وبين «حاجته إلى فرض الهيمنة على إناث المستعمرات»[١٨]، ومع إشارة خاصة إلى الشاعر اللورد بايرون **Byron** في قصيدتيه «غيور» **Giaour** و«دون جوان» **Don Juan**، يقول ميّر:

لقد بطنت هذه النصوص ببنية قصصية تكون



فيها محاولات الفاعل الذكر «لتحرير» المفعول به المؤنث من طغيان الحريم قد أعيقت أو أوقفت من قبل طاغية أبوي نمطي يسد أو يلجم اندفاع القصة نحو امتلاك المرأة[19].

وتأسيسًا على هذا المدخل تتجلى أمامنا علاقة متبادلة ذات أهمية خاصة، وهي: أن تحرير النساء الشرقيات لا يمكن أن يتحقق بدون فرض السلطة والهيمنة على كامل المجتمع «المتخلف» الذي يحيل المرأة إلى ضحية مستضعفة. وهكذا يتم التوصيل ما بين المرأة الشرقية الواهنة المحجوبة، والنظام الاجتماعي الهش الذي يغلفها والذي يستدعي، حسب منطقهم، تدخلاً غربيًا «رجوليًا» من أجل الإصلاح والتوجيه. وبهذه الطريقة تتفاعل قضية حرية المرأة لتغدو تبريرًا «لاختراق» المستعمر الذكر (فاعلاً) للحجاب الذي لا يلف المرأة فحسب، بل يلف ذلك المجتمع الذي يحبسها بداخله كذلك. وكما هي الحال في قصيدة «شيلي» **Shelley**، «تشينشي» **Cenci**، التي تعكس اتجاهًا مماثلاً حول فكرة اضطهاد المرأة، يستقر تأمل العقل الرومانسي على فكرة «الجمال المعذب» الذي يستدعي فروسية ذكرية لتحريره. لاحظ توسع جدل «ميّر» في الكيفية التي من خلالها يغدو الشرق، مؤنثًا، كائنًا مستكينًا معرضًا لنزوات الذكر بضمن اقتصاد قصصي مستنبط من إعادة ترتيب الثنائيات الجنسية، على سبيل خدمة الانشطار الرئيس بين الشرق والغرب.

إذًا، يقوم اندفاع القصة بتفعيل استعمار الشرق، حيث يخترق الأنا المذكر، الأوروبي الاستحواذي، فضاء الشرق المؤنث. وهكذا تصبح الهيمنة على الآخر المؤنث المحجب صورة من صور خضوع الشرقي للمبدأ الغربي[20].

وعلى سبيل الإضافة على جدل ميّر، فان للمرء أن يذهب وبتيقن إلى أن الصفوة الفكرية في القرن التاسع عشر قد وحّدت ما بين الرغبة في امتلاك المرأة الشرقية (بدعوى تحريرها من «طغاة» العائلة الشرقية: الأب أو الأخ أو الزوج...إلخ) وبين الرغبة في امتلاك أو فرض الهيمنة على الأقاليم الشرقية بأسرها (بدعوى تحريرها من طغاتها: العثمانيين أو غيرهم). وهنا لا يجد مرتحلون مهمون، من أمثال هارييت مارتنو، مفرًا من القبول بخلاصة مفادها أن اضطهاد النساء المسلمات يندمج، على نحو تلقائي، مع نظام الحكم

■■ ومن هذه النظرة لشرق مؤنث مستضعف، وجد هؤلاء أنفسهم «يرأفون» بالمرأة الشرقية التي غالبًا ما كانت تُرسم في أدبياتهم بوصفها الضحية النهائية لكل شرور الشرق من جهل وتخلف وطغيان ■■

التركي الذي كان يبارك تعدد الزوجات، مروجًا بذلك لممارسات إساءة معاملة النسوة. والحق، فان هؤلاء الكتّاب لم يكونوا بناة إمبراطورية على نحو واع، ولكنهم كانوا مقتنعين بتيقن بأن الإمبراطورية العثمانية، الرجل المريض، كانت تؤول إلى التفكك والانهيار. وتأسيسًا على منطق مبسط، لاحظ هؤلاء أعراض التآكل والترهل والأمراض تطفو بقعًا على بشرة النظام العثماني التركي، مبشرة بظهور «خواء قوة»، خصوصًا في الأقاليم العربية التي كانت منضوية تحت هيمنة العثمانيين. لهذا السبب، فإنه ليس ببعيد المنال، بالنسبة لأغلب هؤلاء الكتّاب، التفكير بالإمبراطوريات الأوروبية التي كانت تعيش عصرها الذهبي وقتذاك، بدائل أقوى وأقدر على فرض السيطرة على هذه البقاع من الوطن العربي، خصوصًا وأنهم كانوا يعتقدون بأن هذه الإمبراطوريات كانت محملة بعبء «رسالة الرجل الأبيض المقدسة» من أجل القضاء على الممارسات الاجتماعية البالية والسلبية كالعبودية واضطهاد النساء، كما روجت الإدارات الإمبراطورية لهذه الرسالة المزعومة.

الثقافة الأمريكية: تواصل التقليد المشوّه

ولكن على الرغم من اضطلاع نقاد الاستشراق، من أمثال سعيد وميّر وسواهما، بتشخيص الرغبة المبطونة بتأنيث الشرق في الكتابات الفرنسية والإنكليزية على نحو خاص، فإنهم ولسبب ما، أخفقوا في تشخيص وسواسية تواصل هذه الرغبة في الأدب والثقافة الأمريكية. وهنا لا يود المرء تأكيد حقيقة تأصل جذور الاستشراق الأمريكي في

تربة التقليد الاستشراقي الأوروبي[٢١]، ولكنه يميل إلى استقصاء بعض المحكات التي تؤشر الميل الأمريكي المبطون الذي يحاول ولوج شرق مؤنث مستكين. فإذا ما تمكنا من تشخيص هذا الجانب من الثقافة الأمريكية، يمكن أن نزعم دون مجازفة بأنه جزء لا يتجزأ من ذهنية ثقافية أوسع هيمنت على العالم الغربي بأسره. وهذا أمر غاية في الأهمية خصوصًا وأننا نبحث كتابات أمريكية ظهرت في عصر كانت فيه الولايات المتحدة الأمريكية لم تزل جمهورية فتية لا تمتلك طموحات استعمارية عبر البحار، على عكس فرنسا وبريطانيا. ولأن الاهتمام الفكري الأمريكي كان متحررًا من مثل هذه الطموحات أنذاك، يمكن لنا مباشرته بوصفه اهتمامًا لا مصلحيًا ذا قيمة فكرية فقط بقدر تعلق الأمر بتلك الحقبة التشكيلية في تاريخ أمريكا، كجمهورية فتية.

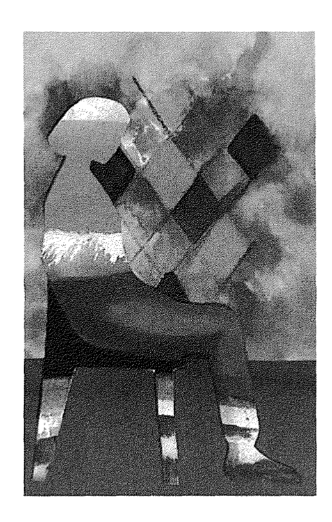
لقد لاحظت «دوروثي م. فنكلشتاين» **Fin-kelstein** مستعيرة مصطلح النقد الأسطوري الذي روجته الكاتبة «مود بودكن» **Bodkin** بأن الاهتمام الأمريكي بالشرق كان يتجسد «تشوقًا ... لحياة الحياة»[٢٢]. ويمكن للمرء أن يستذكر فكرة «الخصب» المتكررة التي ربطها الأمريكيون بالشرق، مكافئًا للأنثى وللأم ولمانحة الحياة. لقد عدّ الشاعر «وتمان» **Whitman** الشرق «بيتًا للأمومة»[٢٣] لأن هذا الشرق إنما يمثل «رحم التاريخ والأناشيد»[٢٤]. وبينما يمكن للمرء مباشرة تشوقات وتمان إلى الشرق بوصفه رمزًا للأمومة ودفئها على

أساس «فرويدي»، مستذكرين الحنين «الأوديبي» للخصوبة والدفء، فإننا نجد أن مطاردة «لافكاندو هيرن» **Hearn** لسراب شرق مؤنث عملية زاخرة بالتشوق إلى مصدر الحكمة والنور والجمال. يرى هيرن أن ذكورية الغرب تتجسد في اندفاعه المتعامي والقوي نحو التقنية والعلم، وهي صفات ذكرية. لهذا السبب نجده يعد الشرق والغرب «أنصاف كينونات» يجب تلاحمهما برابطة الزواج كيما تولد «إنسانية من نوع ما، إنسانية أسمى من إنسانيتنا»[٢٥]. وقد تعمقت هذه الظاهرة المتمثلة بتطابق الشرق مع المرأة بدرجة أنها صارت جزءًا من الحياة المنزلية لكبار المفكرين الأمريكيين، الأمر الذي يفسر تسمية إمرسون زوجته، على سبيل المداعبة، بـ«أسيتي» **Mine Asia**، كناية عن تمثيل الزوجة الجميلة لقارة آسيا. وتأخذ هذه الرؤيا، التي ترنو إلى «إنسانية جديدة» ومتفوقة متولدة من اقتران الغرب المذكر بالشرق المؤنث، تعبيرًا أوضح وأقوى لدى الشاعر «أرنست فينالوسا» **Fenallosa** الذي يصبو إلى ولادة «الإنسان الألفي السعيد» في قصيدته «الشرق والغرب». ومرة أخرى، يذهب فينالوسا إلى تمجيد مُثل الشرق بوصفها مُثلاً مؤنثة (كالتناغم الاجتماعي والإيمان بالحب والإيثار والخضوع والحكمة الروحية) متحدة مع مُثل الغرب المذكر (الصناعة والاعتماد على النفس والمغامرة والعسكريتارية والتحليل العلمي)[٢٦] على سبيل تصوير رؤيا مستقبلية فردوسية واعدة. وبحسب رأيه، لا يفتقر هذا «التلاحم» المنشود إلى الأصول التاريخية، ذلك أنه يرى في محاولة الإسكندر الكبير خلط الشرق بالغرب في إمبراطوريته إخفاقًا مبكرًا لنفس الحلم الأمريكي المعاصر[٢٧] ولكن على نحو معاكس لما ذهب إليه الكتاب الغربيون الذين كانوا يرون في التوسع الاستعماري نوعًا من «التوجيه» أو «الوصاية» على الأمم الشرقية، طوّر فينالوسا رؤيا لدور أمريكي «طلائعي» على طريق بلوغ «زواج» مستقبلي بين الشرق والغرب لا يمكن أن يتحقق إلا في تربة العالم الجديد. فبالنسبة إليه، عبّد كولومبس (الأمريكي الأول) الطريق لإدراك حلم الإسكندر الكبير من خلال محاولته «ولوج» الشرق (الهند) من خلال الغرب (المحيط الأطلسي). وهكذا صارت فكرة اتحاد نصفي الكرة الأرضية فكرة ممكنة التحقق من خلال إكمال كولومبس لدائرية الأرض. ولكن على الرغم من تشوق

وهكذا يتم التوصيل ما بين المرأة الشرقية الواهنة المحجوبة، والنظام الاجتماعي الهش الذي يغلفها والذي يستدعي، حسب منطقهم، تدخلاً غربيًا «رجوليًا» من أجل الإصلاح والتوجيه

فينالوسا لعالم مثالي يواشج ما بين فضائل الشرق «المؤنث» وفضائل الغرب «المذكر»، ظهرت رؤيا فينالوسا مشوبة بالعنصرية الآرية لأنها بقيت متمسكة بأسطورة التفوق الآري[٢٨].

لقد باشرنا هذه الدراسة بافتراضية مفادها أن «الحريم»، كلمة، كانت قد أطلقت من حدود معناها العربي الأصلي على سبيل اكتساب هالة واسعة من الدلالات والمعاني ككلمة مستعارة في الثقافات الغربية. وأخذت هذه الدلالات، مدعومة بأعمال رجال الفكر والمستشرقين، توحي بعدد من المفاهيم الخاطئة والتنميطات وإساءات التصوير المشوهة لحياة النساء في الشرق العربي الإسلامي خاصة. ولكن على الرغم من أن «الحريم» قد غدت فكرة معقدة وشائكة توحي بكل ما تقدم وأكثر، فإننا يمكن أن نتتبع جذور عملية إثقالها بالتشويهات إلى التواريخ الأوروبية المبكرة للإسلام و«للعدو العربي»[٢٩]، كما كانت تواريخ القرون الوسطى الأوروبية تصفنا. وهذه هي التواريخ والحوليات التي كتبت وروجت، مدفوعة بروح العداء والضغينة والتصادم العسكري عبر تلك القرون وعصر النهضة ثم عصر الاستنارة اللاحق. وهكذا غدت الكلمة، موسعة الدلالات، فكرة مثقلة ومفتاحية وجاهزة أمام الكتّاب والشعراء الرومانسيين ومن تلاهم إبان القرنين التاسع عشر والعشرين (وحتى اللحظة)، حيث تصاعدت الرغبة بإزالة «حجاب» الشرق و«اختراق» غوامضه. وبطريقة ما، عد كل واحد من هؤلاء نفسه «كولومبسًا ثقافيًا» مدعوًا لإعادة اكتشاف العالم القديم بدلاً عن العالم الجديد. وهكذا لا يبالغ المرء إذا ما زعم بأن هؤلاء، متعمدين فكرة التأنيث والتذكير، تمكنوا من تكوين تراث يحافظ على وعي متعال وهو يتأمل حلمًا استعماريًا. ومن هذه النظرة لشرق مؤنث مستضعف، وجد هؤلاء أنفسهم «يرأفون» بالمرأة الشرقية التي غالبًا ما كانت تُرسم في أدبياتهم بوصفها الضحية النهائية لكل شرور الشرق من جهل وتخلف وطغيان. ولأن هؤلاء الكتّاب تمادوا بالتفاؤل للآفاق الوردية التي كان بناء الإمبراطوريات يعد بها، فإنهم ما لبثوا وأن ركزوا اهتمامهم على «الحريم»، ليس كأسلوب لتشخيص تخلف الشرق فقط، بل كذلك كطريقة لتأشير الوهن والارتخاء اللذين عاناهما الشرق، الأمر الذي حث وبرر (بحسب رأيهم) «التدخل» الغربي «الرجولي» على سبيل «إرشاد»



و«إصلاح» الشرق بدءًا من بناه الاجتماعية الصغرى (العائلة) وانتهاء بحكوماته. وبدلاً من بحث مسببات التردي والنكوص السائدة في العصر المظلم بعد تراجع الحضارة العربية الإسلامية، حيث ساد الاستخدام غير السوي للحريم نتيجة لعوامل اجتماعية وسياسية معينة، صبّ الكتّاب الغربيون اهتمامهم وغضبهم على «الحريم» بأقبح أشكاله، مقنعين أنفسهم وقرّاءهم بأن هذه هي صفة أصيلة في الإسلام والعرب. إن السبب الوحيد الذي يمكن أن يبرر إخفاقهم في بحث ودراسة النظام الاجتماعي الإسلامي وموقف الإسلام من المرأة هو: وقوع هؤلاء الكتّاب في دائرة سحرية مغلقة لا مخرج فيها من خيال ملحاح مفاده أن الشرق هو كينونة ثقافية بائدة، ذات قيمة طللية فحسب. أما جماله الذي «يشتهونه» بحساسية مرهفة، فإنه كامن في الاشتياق الأوديبي الفرويدي للشرق (الأم، الدفء، الحب) وفي رغبة بناة الإمبراطوريات الغربية ولوج مياه الشرق الدافئة ■

الهوامش

(١) يقدم «دكسن» الدلالات التالية المرتبطة بكلمة «حريم»: ممنوع، شرير، مخطئ. و«الحريم»، كذلك، هو مكان أو شيء مقدس؛ وكمثال، يورد دكسن كلمة «المحرم» بمعنى جناح النساء في الخيمة البدوية؛ وتدل الكلمة، بصيغة «الحرم»، كذلك على مكة المكرمة أو المسجد الأقصى، يراجع:
H.R.P. Dickson, The Arab of the Desert (London: George Allen & Unwin Ltd., 1959), p. 632.

(2) Edward W. Said, Covering Islam: How the Media and the Experts
Determine How We See the Rest of the World (N.Y.: Pantheon Books, 1981), p. xi.

(٣) لتكوين فكرة متكاملة عن تاريخ التأريخ الأوروبي للإسلام، يراجع: Muhammed A. Al-Da'mi, Arabian Mirrors and Western soothsayers: Nineteenth-Century Approaches to Arab-Islamic History, (N.Y.: Peter Lang Publishing, 2002), pp. 25-40.

(٤) مقتبس في:
Pierre M. Irving, The Life and Letters of Washington Irving, vol. III (N.Y.: G.P. Putnam, 1863), p. 348.

(5) Eric Meyer,"'I Know Thee Not, I Loathe Thy Race':Romantic Orientalism in the Eye of the Other",EHL, 58 (1991), p. 659.

(٦) مقتبس في:
Paul Turner, English Literature 1832-1890, Excluding the Novel (Oxford: Clarendon Press, 1989), p. 336.

(٧) مقتبس في: Muhsin J. Ali, Scheherazade in England (Washington, D.C.: Three Continents Press, 1981), p. 42.

(8) Walter Bagehot, "The People of the Arabian Nights", National Review, IX (July, 1859), pp. 58 and 65.

(٩) المصدر السابق، ص ٦٤ .

(١٠) المصدر السابق، ص ص ٦٣ و٦٤ .

(11) Richard F. Burton , "Terminal Essay", in The Arabian Nights, vol. VIII (London: H.S. Nichols Ltd., 1897), p. 192.

(١٢) المصدر السابق، ص ١٩٣ .

(١٣) المصدر السابق، ص ١٩٦ .

(١٤) المصدر السابق، ص ٦٣ و٦٤ .

(١٥) المصدر السابق، ص ١٩٧-, ١٩٨

(16) Said, Covering Islam, p. 25

(17) Edward W. Said, Orientalism (London: Routledge & Kegan Paul, 1978, p. 190.

(١٨) المصدر السابق، ص ,١٩٠

(١٩) Meyer, p. 658

(٢٠) المصدر السابق، ص ٦٥٩-, ٦٦٠

(21) Carl T.Jackson Oriental Religions and American Thought Westport: Greenwood Press, 1981), p. 266.

(22) Dorothee M. Finkelstien, Melville's Orienda (New Haven: Yale Univ. Press, 1961), p. 12.

(23) Beongcheon Yu, The Great Circle: American Writers and the Orient (Detroit: Wayne State Univ. Press, 1983) pp. 16-7.

(٢٤) مقتبس في المصدر السابق، ص ٦٥ .

(٢٥) مقتبس في المصدر السابق، ص ١٢٣ .

(٢٦) المصدر السابق، ص ١٠٤ .

(٢٧) المصدر السابق، ص ١٠٤ .

(٢٨) مقتبس في المصدر السابق، ص ١٠٧ .

(٢٩) محمد الدعمي، «تاريخ التأريخ الأوروبي للإسلام والعرب»، مجلة الكلمة، ع ١٦ (صيف، ١٩٩٧م)، ص ٨٤-٩٨ .

مسار (قضايا) المرأة العربية :

خط بياني ينزلق نزولاً

سوسن الأبطح* - بيروت

*كاتبة لبنانية .

من سوء حظنا جميعًا أن مفهوم «تحرر المرأة» جاء من الغرب، وهو كالعديد من المفاهيم التي نعتبرها «ملغومة»، وننظر إليها شزرًا بعيون مملوءة بالشك والحذر. ولو تأملنا قليلاً في البانوراما الاجتماعية، منذ بداية القرن العشرين، لوجدنا أن وضع المرأة ينفرج بعفوية وتلقائية، كلما خفتت موجة من موجات الاحتقان بين العرب والغرب، ويزداد ترديًا حين يكون ثمة إحساس بهجمة مباشرة أو تحد خارجي.

ورغم أن المرأة لا ناقة لها ولا جمل، فهي لا عُيّنت وزيرة ولا صارت سفيرة إلا في ما ندر، وليست مسؤولة عن التهاوي الكارتوني للأمة كي تعاقب أو تحاكم، إلا أن رد الفعل العفوي، على الخطر الذي يشبه دفن النعامة رأسها في التراب، سرعان ما يترجم ضغطًا على النساء ، إما لاعتبارهن كقاصرات موضع حماية ووقاية، وإما لأن الرجل يخشى أن تدك سلطته بأدوات الوافد الغربي الذي يغري المرأة بمقولة:«أنت ند لرفيقك ولست تابعة له»، ويخاف بالتالي أن يكون تغيّر أحوال الرفيقة بمنزلة انقلاب بدايته في البيت لكن منتهاه في علم الغيب.

وهكذا، فإن الحرص على تحنيط وضع المرأة قدر الممكن، يؤمّن تجمدًا للزمن، وتوقفًا لعقارب الساعة، وهذا للكسالى والمتقاعسين أحلى وأجدى.

فالتبديل يحتاج إلى حركة وحك رأس، وتحمل مسؤوليات، ومصارعة رياح. والمثل القائل«الباب الذي يأتيك منه الريح سدّه واسترح» عنوان جيد لسلوك الرجال في مواجهة مطالب النساء.

وكي ترى الخط البياني للمسار النسوي العربي كيف أنه يتخبط طلوعًا ونزولاً، لا بد من إنجاز دراسة شمولية كتلك التي قامت بها «دار لاروس» الفرنسية العريقة عام ١٩٩٣م، ونشرتها تحت عنوان «تاريخ المرأة» بدءًا من أيام حواء إلى الوقت الحالي، مبينة كيف أن نجاحات النساء شرقًا وغربًا كانت مشدودة على خيط واحد، يصعب تفكيك خرزاته. والمثير في الكتاب أن قارئه يرى، وكأنه يتفرج على فيلم سينمائي، كيف أن المرأة الأوروبية صعدت سلمًا عاليًا ومرهقًا، فقفزت درجاته الواحدة تلو الأخرى لتصل إلى مكان ما كانت تتخيله. ونراهن أن كتابًا من هذا الصنف في العربية سنرى خلاله النساء يصعدن ويهبطن ويتعثرن وكأنهن في لعبة عبثية يصعب فهم قوانينها.

والمعترضون سيقولون فورًا أين كنا وأين صرنا؟! وسيخرجون علينا ببيانات حول ارتفاع نسبة التعليم، وعدد مدارس الإناث، وسيعرضون لنا عددًا من الأسماء الأنثوية الناجحة التي لا تمثل إلا ذاتها. لكن ما هكذا يقاس تطور النساء. والمعلوم أن التقويم يكون شموليًا، ويحتاج إلى مسح للقوانين والتشريعات ومستوى المداخيل، ونسبة المناصب العليا التي تبوأتها المرأة، ومدى استقلاليتها وقدرتها على اتخاذ القرار، وإمكانية اقتناصها للفرص. وبما أن هذا كله ليس على برنامج أي من الدول العربية

باستثناء تونس مع التحفظ على بعض النقاط، فإننا نرى في حق النساء العجب العجاب. ففي بلد مثل لبنان يدعي الانفتاح لا تستطيع اللبنانية التي تتزوج من غير لبناني أن تحظى بإقامة لزوجها على أرض وطنها من دون عراك ووساطات، وهكذا يدفع بها، إن لم تكن وجيهة، إلى خارج موطنها فقط لأنها أنثى.

والمشكلة الأساسية في تقويم وضع المرأة أنه يخضع دائمًا للتركيز على لمعان الواجهة، التي تتكون عادة من بعض المتعلمات، ساكنات المدن والميسورات، وكأنما الفلاحات القاعدات في الريف والمنسيات في القرى، والهائمات في البوادي لسن من المحسوبات على المجتمع. والأدهى من ذلك كله، أن الكلام على التحرر والتطور لا يعني كثيرًا هؤلاء النسوة البسيطات، المهمشات، فمتطلباتهن تختلف عن النخب الأنثوية الاحتجاجية التي تستغرب كيف أن شيئًا لا يتحرك، وكأنما العجلة توقفت عن الدوران. وهو أمر سهل فهمه. فالقاعدة النسائية العريضة ليست لها مطالب غير تقليدية، والرجال في غالبيتهم سعداء بهذه القناعة التي يتمنون ألا تفنى. وقد ضاع دائمًا حق ليس وراءه مطالب. وربما لا نبالغ لو قلنا إن النضال النسوي بمعناه الشعبي معدوم عربيًا. لأن قضية تحرر المرأة غالبًا ما تحمل

> والمشكلة الأساسية في تقويم وضع المرأة أنه يخضع دائمًا للتركيز على لمعان الواجهة، التي تتكون عادة من بعض المتعلمات، ساكنات المدن والميسورات، وكأنما الفلاحات القاعدات في الريف والمنسيات في القرى، والهائمات في البوادي لسن من المحسوبات على المجتمع

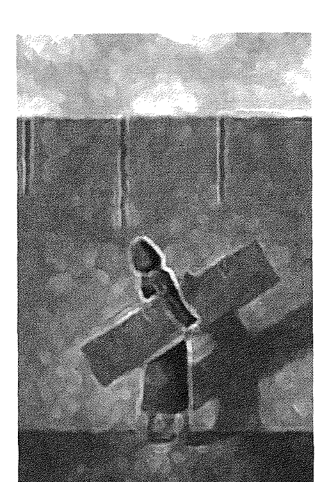
لواءها مثقفات مدللات، غير مظلومات أو مضطهدات نأت ظروفهن بهن عن أهل الفقر والعوز. ومثقفاتنا يتناقشن فيما بينهن وينظّرن مخلصات، ويدافعن عن قضيتهن متحمسات، لكنهن لا يستندن - وهنا مكمن الضعف - إلى جماهير المجيّشات في سبيل حياة أفضل، وبشروط أكثر إنسانية. وهذا عيب النخبويات من جهة لأنهن لم ينخرطن في عمل ميداني واسع بما يكفي، ومسؤولية الدول من ناحية أخرى، التي لم تزرع في نفوس أبنائها، رجالاً ونساء، حوافز بحث وتوقد وأمل.

ولا يمكن لنا أن نفهم الخواء الرهيب للساحة العربية من المناضلات فعلاً إلا بمقارنتها بالزخم الشعبي الأوروبي أو الأميركي النسوي قبل أن تنال تلك النسوة حقوقهن كمواطنات كاملات الأهلية.

والبعض لا يحب أن نقارن أنفسنا بآخر يختلف عنا، وهذا قد يكون صحيحًا، ولكن ما العمل والمجتمع أصبح هجينًا لا هو شرقي ولا غربي. فمشاكل العنوسة والطلاق وانحراف المراهقين بيننا تكاد نسبها تقارب بعض الدول الغربية التي نتهمها بالتفسخ، ومع ذلك فنحن نكابر ونفاخر ولا نعترف بانهيار مريع لمؤسسة الزواج، ونبقى نصرّ على أن الأسرة العربية مترابطة وقوية، وكأن شيئًا لم يتغير منذ زمن«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». وبالتالي لا نسعى لإقامة مؤسسات مدنية ترعى عطب المطلقين ووحدة المستوحشين والمتأزمين نفسيًا رجالاً ونساء.

ربما علينا أن نستبدل بعض المصطلحات التي تثير ذعرًا في النفوس رغم مضامينها النبيلة، فنتخلى عن مصطلح «تحرير المرأة» الذي جلب اللعنة لقاسم أمين، ونطالب بما نسميه «حقوق المرأة» ونسقط لفظة «الديمقراطية» من قاموسنا، بعد أن صارت كلمة مشبوهة، ونترجمها بكل بساطة بعبارة «حكم الشعب» لنجعلها محببة للنفوس الخائفة. وعلى رأس المصطلحات المشبوهة كلمة «حرية» ولا بد من تدبّر أمرها أيضًا، رغم أنها كلمة جميلة وشاعرية. فالغرب موجود في قلب الشرق اليوم، وهذا يعني أن الانطواء على الذات في عزّه، والاستنفار للهوية والتراث قد يبلغ حالة من التعنت ليست لصالح النساء أو حتى الرجال.

ونخاف أن تسيء لحال المرأة العربية، في الوقت



الحالي، أكثر مما تخدمها، محاولة عدد من الحكومات والمؤسسات الغربية التحريض على إثارة بعض العناوين والقضايا والمطالب، والدفع بالتمويلات السخية لتجمعات نسائية وجمعيات ومراكز بحثية - بدءًا من الأراضي الفلسطينية المحتلة ومرورًا بغالبية الدول العربية - والإصرار المعلن على أن المرأة لا بد أن تخرج من قمقمها إلى رحاب الانفتاح. وكي لا يأكلنا الخوف فنقع في العناد ونزداد تخلفًا أو يسوقنا الجهل فننزلق إلى الدعوة كما تطرح وتقدم جاهزة للابتلاع، ونتحول إلى دمى تحركها خيوط من فوق، يعوزنا وعي بحجم الإحساس بالقهر الذي يسكن نفوس ٢٥٠ مليون عربي، ورغبة في رفع الظلم عن كل متألم، ونداء من القلب لرفع المهانة، يبدأ من الرجل تجاه رفيقة دربه وحبيبته، كي لا يخجل وهو يطالب حاكمه بما لا يقدر أن ينفذه في بيته وعلى أفراد عائلته الصغيرة.

منذ الستينيات علقت المرأة أهمية على تعاطف أوروبا مع قضيتها، وكان أن ترجمت عشرات الروايات الاحتجاجية، واحتلت غادة السمان ونوال السعداوي وليلى بعلبكي وحنان الشيخ وغيرهن جانبًا لا يستهان به من العمل الاستشراقي. لكن بعد خمسين سنة والأمور لا تزال تراوح مكانها، تقول المستشرقة الألمانية أنجليكا نويفرت وهي التي خصصت عمرها لخدمة بنات العرب وأبنائهم: «سئمنا من الكتب التي تشكو فيها المرأة من وضعها التعس». ونعرف جيدًا أن أخبار الزوجات المضطهدات، والأزواج المتوحشين لم تعد سلعة رائجة. أمور كثيرة تغيّرت، في الذهنية الأوروبية، منذ احتفى المستشرقون باستعادة شهرزاد لحنكتها ولسانها في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين، ورأوا في رواياتها إبهار ألف ليلة وليلة، وحكايا جواري هارون الرشيد، فالنظرة إلينا خرجت عن طورها الفنتازي العتيق واستبدلت بها أخبار «الإرهاب» و«العنف». وإن كانت المرأة لا تزال مطلوبة قضاياها في أكشاك بيع الكتب والمجلات، فلأنها جزء من كل، وطرف في لعبة معقدة، تحتاج إلى استعادة براءتها من خلال إدراك النساء أنفسهن لمكانتهن وخطورة دورهن الذي لم يلعبنه بعد.

كتبت الأكاديمية الفرنسية المتخصصة في تاريخ النساء الأوروبيات دونيس ديدرو مؤلفات عدة تظهر الوثبات التي منحتها المرأة للمشروع الأوروبي، وتؤكد الباحثة أن أوروبا كما هي اليوم، ما كانت لتولد لولا مسار أنثوي استثنائي، وهي تجنح في مقالة كتبتها مؤخرًا لأنها تعتبر بكل فخر أن: «أوروبا امرأة». ونتخيل أن هذه العبارة الجميلة ذات الدلالة البديعة من الصعب أن يحتملها، على المدى المنظور، جمهور الذكور العرب الذين سيحتجون لو قيل يومًا العروبة امرأة، ليتصدوا بعبارة يتوحدون حولها رغم اختلافهم على كل شيء آخر:«بااااااااطل .. وأين ذهب الرجال؟».

البعض يعتبر اقتصار دور المرأة على شؤون المنزل «بطالة»!

تحرير المرأة ممن؟

ياسر الزعاترة* . الأردن

* كاتب صحفي .

في زحام السياسة وتعقيداتها، يمكن القول أن المهتمين المسلمين، قد سجلوا عجزًا مؤسفًا عن شرح الأبعاد الرائعة للتشريع الإسلامي في القضايا الاجتماعية وتقديمها للداخل العربي والإسلامي، ومن ثم الانتقال خطوة إلى الأمام باستثمارها في سياق التبشير بالرسالة الإسلامية في مجتمعات غابت عنها تلك الأبعاد فعانت الكثير من الأزمات وما زالت تعاني، فيما هي تجاهد للبحث عن تشريعات تعيد لمجتمعاتها الأمان والدفء المطلوبين.



المصيبة أسوأ من ذلك، فبدلاً من إدراك تلك الأبعاد الرائعة والتبشير بها داخليًا وخارجيًا، حصل أن انبهر كثير من المسلمين بالخطاب الغربي في المسائل الاجتماعية، خصوصًا فيما يتصل بقضية المرأة وتماسك العائلة، حيث أصبحنا نسمع دعاة ورموزًا في الحالة الإسلامية يتكلمون في هذه القضية على نحو ما يفعل الغربيون، في تبعية لا تليق بحملة رسالة عظيمة كرسالة الإسلام.

قبل الدخول في مضامين الرؤية الإسلامية للعناوين الأساسية المطروحة في المسألة الاجتماعية، وعلى رأسها المرأة والأسرة، سنورد هنا جملة من الأخبار والمعلومات التي تعكس بعض الجوانب من حياة الغرب على هذا الصعيد. وهي وإن كانت مرتبطة بزمن ما إلا أنها تلخص أوضاع مجتمع الغرب خلال العقود الأخيرة وصولاً إلى مطالع القرن الجديد.

* عن «المكتب الوطني الفيدرالي للعائلة» في الولايات المتحدة صدر في شهر آب/أغسطس ٢٠٠٢م تقرير حول الأوضاع العائلية عند الأمريكيين. وقد حوى التقرير معلومات مذهلة كان أهمها تلك المتصلة بظاهرة الانتحار. بحسب التقرير، فإن ثلاثة ملايين طفل

ممن تتراوح أعمارهم بين ١٢و١٧ عامًا – نصفهم من الفتيات- قد فكروا في الانتحار خلال عام ٢٠٠٠م، وإن ثلثهم قد حاول الانتحار بالفعل، لكنه نجا بعد تلقيه علاجات سريعة في العيادات الطبية والنفسية.

الجانب المدهش في التقرير بالنسبة للأمريكيين هو ذلك المتصل بحال المسلمين في الولايات المتحدة، فمع أن ظاهرة الانتحار شملت جميع الأديان والألوان والأعراق، فإنها لم تكن كذلك في حال المسلمين الذين وصفهم التقرير بأنهم «خارج ثقافة الانتحار ومحصنون بروادع دينية وأخلاقية واجتماعية تجعلهم في منأى عن أية انحرافات خطيرة، كمعاقرة الخمر وتعاطي المخدرات وممارسة العنف. حتى التدخين، قلما ينتشر في أوساطهم». ويفسر التقرير هذه الحالة



بـ«تماسك العائلة وانصياع الأطفال إلى أوامر ونواهي آبائهم، وإيمانهم بالوازع الديني الذي نشؤوا عليه منذ الصغر».

حدثني صديق كان يعمل طبيبًا في الولايات المتحدة عن محاضرة ألقتها زوجة زميل له في مكان عام حول تربية الأولاد في الإسلام، وحضرتها نساء أمريكيات، ما كان منهن إلا أن واصلن الاتصال بها عبر الهاتف لأخذ المزيد من المعلومات حول وسائل التربية الإسلامية التي تحفظ الأبناء، من دون أن يدركن أن لهذه التربية أجواءها التي لا بد أن تتوفر داخل الأسرة.

تبدأ القصة من مصطلح الأسرة أو العائلة، ذلك الذي بدأ الغرب يعي أهميته على نحو غير مسبوق بعدما أصابه من أمراض اجتماعية فتاكة. وقد افتتح الرئيس الأمريكي بوش بعد صدور التقرير المشار إليه موقعًا على الإنترنت يتضمن إعادة تأهيل لبرنامج عائلي كانت وزارة الصحة الأمريكية قد أطلقته عام ٢٠٠٠م بهدف تطبيق شعار «طفل سعيد، عائلة سعيدة».

* بحسب تقرير تم نشره في جريدة (لوموند) الفرنسية (كانون أول ٢٠٠٣م)، فقد ذكرت إحصائية أجرتها منظمة اليونيسيف حول الحمل غير الشرعي للفتيات القاصرات في الغرب، والإحصائية لم تشمل دول أوروبا الشرقية . . . ذكرت أن مليونًا ومئتين وخمسين ألف فتاة قاصرة تحمل في كل سنة في الدول الغربية، حوالي نصف مليون منهن يجهضن والأخريات يصبحن أمهات قاصرات.

* كشف استطلاع للرأي أجرته مؤسسة «جيفيس» في هامبورج ونشرت نتائجه في شهر يناير ٢٠٠٤م أن أربعًا من بين كل عشر سيدات متزوجات (٤٠٪) في ألمانيا يقمن علاقات غير مشروعة مقابل ٥١٪ من الأزواج.

* في تقرير نشرته صحيفة (لوموند) حول أوضاع المرأة عام ٢٠٠١م ذكر أن كل دقيقة تمر تضرب خلالها ٤ نساء على الأقل في الولايات المتحدة، فيما تغتصب ٧٠٠ ألف امرأة كل عام، وفي الغالب من مقربين منهن. وفي فرنسا تعاني ٢ مليون امرأة من عنف الأزواج وحوالي ٤٠٠ يفقدن حياتهن من جراء عنف الرجل.

* في بريطانيا يولد ٧٠٪ من الأطفال خارج مؤسسة الأسرة. وقد كان لافتًا للنظر تركيز رئيس الوزراء البريطاني (بلير) على «قيم العائلة» في حملته الانتخابية، حتى وصل الأمر حد اعترافه بضرب أبنائه حين يخطئون، وهي اللغة المرفوضة في المجتمع البريطاني، الذي يلقن الأطفال منذ السنوات الأولى رقم هاتف «قسم الشرطة» للاتصال إذا تعرضوا للضرب من آبائهم أو أمهاتهم!!

(بلير) تقدم خطوة أخرى حين بادر إلى إنجاب طفل رابع في حالة غريبة على المجتمع البريطاني، وطالب بأن يعطى الرجل إجازة إنجاب مثل إجازة الأمومة للوقوف إلى جانب زوجته بعد الولادة.

* خلال موجة الحر التي اجتاحت أوروبا صيف عام ٢٠٠٣م توفي حوالي خمسة عشر ألف مسن في فرنسا وحدها. وكلمة مسن هنا قد تشير إلى ذكر في ظاهرها، لكنها تشمل الإناث بالطبع.

أحد المسنين الفرنسيين كان تعبيره رائع الدلالات ومدججًا بالحكمة حين قال: «إن كارثة بهذا الحجم كانت ضرورية حتى يكتشف الفرنسيون حقيقة أنانية مجتمع صنعوه كيلا يكون فيه شأن إلا لمرحلة واحدة من مراحل الإنسان العمرية، وكأن قدر الإنسان أن يعيش شابًا، وشابًا دائمًا».

* في إحدى الصحف الأردنية خلال عام ٢٠٠٢م كتبت سيدة اسمها (سحر أبو غنيمة) مقالاً في سياق الجدل حول قضية (الخلع)، ذكرت فيه كيف كان ابنها وابن أسرة باكستانية في الولايات المتحدة الوحيدين اللذين يعيشان مع أم وأب بين أطفال الصف. أما الباقون فلا يتمتعون إلا بأب أو أم فقط بسبب شيوع ظاهرة الطلاق أو الانفصال، فضلاً عن الإنجاب خارج إطار الزوجية. (طبعًا من دون اعتراض على حق الخلع فهو من الشرع الإسلامي ولكن مع تقييده).

في ضوء ذلك كله، يمكن القول إن حديث المطالبين بحقوق المرأة في الواقع العربي والإسلامي وفق النسق المعمول به في الغرب إنما ينطوي على جهل فاضح بحقيقة الأوضاع القائمة هناك، فضلاً عن عدم إدراك ذلك الفارق بين دور الدولة في المجتمع الأمريكي والأوروبي وعلاقتها بالناس، وبين دورها في معظم دولنا، ولذلك فإن تنفيذ مطالبهم بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات سيؤدي بالضرورة إلى امتهان لكرامة المرأة من جهة، وتفكيك للبنية الأسرية التي هي النواة الصلبة التي تحفظ على مجتمعاتنا أخلاقها وتماسكها، فكيف ذلك؟

في الغرب تتمتع المرأة بكثير من الحرية والمتعة في سنوات الشباب، لكنها ما إن تنقضي تلك المرحلة، حتى تغدو رهينة التجاهل والمعاناة وأوضاع العمل المتعبة في كثير من الأحيان. فالخيانة الزوجية، إذا بقيت متزوجة، تصبح جزءًا من حياتها، أما أولادها فيتركونها حالما يكبرون، وقد يتذكرونها ببطاقة في عيد الأم وقد لا يفعلون، ولا تسأل بعد ذلك عن وحدتها في الشيخوخة. أما في الشرق الأوسط فهي تحصل في الغالب على زوج وحدها، ودفء أسري مع الأولاد، واحترام كزوجة وكأم وحتى كجدة. أما وهي بنت، فهي مصونة، سواء عملت أم لم تعمل. ثمة استثناءات بالتأكيد ولكنها لا تغير القاعدة العامة، وغالبًا ما يكون اضطهاد المرأة نتاجًا لحالات الفقر التي تصيب الرجال والنساء معًا. بل ربما قهرت الرجال أكثر. ولنتخيل الموقف لو قمنا بتطبيق النموذج الغربي في علاقة الرجل بالمرأة، ذلك القائم على الشراكة في الحقوق والواجبات. في هذه الحالة على البنت أن تخرج إلى العمل حال وصولها سن البلوغ، وأن تشارك في المصروف كزوجة،

> ■ كل دقيقة تمر تضرب خلالها ٤ نساء على الأقل في الولايات المتحدة، فيما تغتصب ٧٠٠ ألف امرأة كل عام، وفي الغالب من مقربين منهن. وفي فرنسا تعاني ٢ مليون امرأة من عنف الأزواج وحوالي ٤٠٠ يفقدن حياتهن من جراء عنف الرجل ■

وإذا تذكرنا معادلة السوق الشائعة، حيث الاستغلال البشع للمرأة والرجل معًا، ومعها الأوضاع الاقتصادية الصعبة وشيوع البطالة، فسندرك أية معاناة ستصيب المرأة، وأي تفكك سيصيب الأسرة، وما تأثيرات ذلك كله في أحوال الفقر والبطالة في بلاد تعاني في أكثرها هذه المشكلة أصلاً؟!

حال المرأة عندنا في ضوء ذلك سيكون أكثر بؤسًا من الغرب بكثير، ذلك أن بإمكان الدولة في الغرب، وبسبب قدرتها الاقتصادية، أن توفر عملاً للمرأة، وإذا لم تجد فبإمكانها أن تتقاضى إعانات العاطلين عن العمل، ومن خلال الدولة يمكنها الحصول على مسكن، وبالطبع فإن أغلب دولنا لا يمكنها توفير ذلك حتى لو أرادت بسبب ضآلة الإمكانات. والنتيجة هي فقدان المرأة لامتيازاتها الأسرية كبنت وأخت وزوجة وأم وجدة، فيما لن تقدم لها الدولة ما يتوفر لمثيلاتها في الغرب.

إن النمط الغربي في التعامل مع المرأة لا يناسب واقعنا العربي والإسلامي، لا من زاوية اقتصادية، ولا من زاوية أخلاقية واجتماعية، وهو يضرب إنجازات تتحقق لها، تتمثل في ذلك الدفء الأسري الذي تحصل عليه بنتًا وزوجة وأمًا وجدة، وهو ما تتمناه نساء الغرب، لاسيما حين نستثني سنوات اللذة والشباب.

لنأخذ هذه الشهادة المهمة التي أوردها الباحث المصري شوقي أبو خليل في كتاب له بعنوان «تحرير المرأة ممن؟»، وهي للقاضية السويدية (بريجيدا أولف هامر) أوردتها ضمن دراسة عن مشكلات المرأة الشرقية أعدتها بتكليف من الأمم المتحدة. وفيها أكدت أن المرأة الشرقية في قطاعات كثيرة وبارزة من البلاد العربية التي زارتها أكثر حرية من المرأة السويدية، فالمرأة العربية تمارس وضعًا ينتمي إلى القداسة لا إلى العبودية، وتتسلط على الرجل في جميع أوقات اليوم. أما المرأة السويدية فقد ذاقت الأمرين لكي تنال حريتها ومساواتها بالرجل، ولم يتحقق لها ما تريد إلا بعد أن جردتها قوانين بلادها من صفاتها الأنثوية وحريتها الأنثوية لتجعل منها كائنًا أقرب إلى الرجل.

كيف تقارن رفاهية الفتاة المنحصرة في سن معينة في الغرب بوضعها في مجتمعاتنا الإسلامية، حيث هي محروسة بنتًا وأختًا وزوجة وأمًا وجدة،وحيث تزداد احترامًا وتقديرًا كلما كبرت، فيما كان كل الحنان لها في الصغر، على عكس ما هو حاصل هناك؟

والحال أن من العبث التعامل مع المرأة بوصفها زوجة فقط، فيما هي تعيش الأوضاع الأخرى في ٧٠٪ من الحالات، وبذلك يغدو هدم بنيان الأسرة هو الهدف، وبالطبع تحت دعوى تخليص المرأة من ظلم الرجل، لكأننا أمام معركة محتدمة بين رجل ظالم يريد الإبقاء على زوجة تكرهه وامرأة مظلومة تريد الخلاص بأي ثمن . . هل هذه هي الصورة الحقيقية الغالبة لواقعنا الاجتماعي؟!

انظر في الجانب الآخر، إلى أولئك المسنين الذين تزداد نسبتهم في المجتمع الأوروبي الآخذ في الشيخوخة، وما يعيشونه من تجاهل وحرمان وعقوق، حيث يقضي كثيرون منهم في منازل العجزة أو في شققهم الصغيرة دون أن يدري بهم أحد لولا رائحة الجثث المنتنة. ألا تثير قصة المسنين الفرنسيين مشاعر أي إنسان سوي؟

لنقارن ذلك بما يقدمه الإسلام للإنسان أكان امرأة أم رجلاً في صغره وحيث هو ابن أو بنت، وفي شيخوخته، حيث هو أم أو أب أو جدة أو جد. ونتذكر قول الله عز وجل ﴿ **إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما** ﴾ (الإسراء، ٢٣)

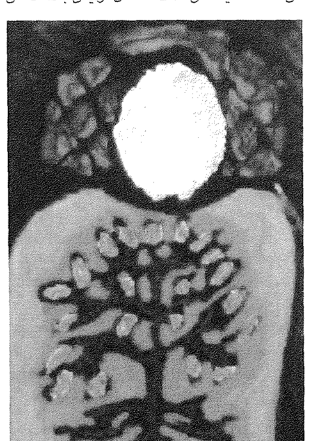
نتذكر ذلك كله في ضوء ما نلمسه من هجمة

في ضوء ذلك كله، يمكن القول إن حديث المطالبين بحقوق المرأة في الواقع العربي والإسلامي وفق النسق المعمول به في الغرب إنما ينطوي على جهل فاضح بحقيقة الأوضاع القائمة هناك

غربية محمومة لنقل مسار المرأة والأسرة لديهم إلى ديارنا، ليس حبًا بنا ولا رأفة بنسائنا ولا من أجل تحديثنا، بقدر ما هو لضرب أسّ تماسك مجتمعاتنا، ممثلاً في هذه البنية الأسرية الرائعة التي لولاها لازددنا فقرًا على فقرنا، ولضاعت الأخلاق وضاع المجتمع. ولما استطعنا أن نصمد في فلسطين أو في العراق. بل في الحالات المشابهة، ناهيك من مواجهة النكبات والويلات.

إن المشكلة مع أنصار «تحرير المرأة» وأدعياء الحداثة المتغربة هي في اعتبارهم أن دور المرأة في الحياة الأسرية لا صلة له بالإنتاج، وإنما هو بطالة بكل ما في الكلمة من معنى، أما نحن فنراه إنتاجًا حقيقيًا حتى من الزاوية الاقتصادية، فضلاً عما يوفره من دفء أسري واجتماعي لا يقاس بالمال. كما يحول دون مزيد من الفقر والبطالة، واستنزاف جسد المرأة في أعمال السوق الحرة التي لا ترحم.

لسنا بالمطلق، ضد عمل المرأة، غير أن هذا العمل ليس ترفًا، أو تقليلاً من شأن عملها الأسري، بقدر ما هو حاجة مجتمعية وأسرية تقدر بقدرها، ولنسأل كم من النساء يعملن لذات العمل، وليس بحثًا عن مساعدة الزوج والأسرة؟ ألسن أقلية، فيما الأغلبية تتمنى أن يكفيها الزوج عناء الخروج إلى العمل كي تتفرغ لتربية الأبناء وتأمين الضروريات وإسعاد الحياة الأسرية من خلال التكافل والتعاون والتساكن وحسن الخلق.



الأسرة هي حصننا الاجتماعي، وأدعياء الحداثة يريدون تحطيم هذا الحصن ليتركونا في العراء، وهو ذات ما يريده الغرب، إلا إذا كان هناك من يعتقد أن مؤسسات العون الأمريكي تسعى إلى النهوض بمجتمعاتنا!!

من المؤكد أن لدى التشريع الإسلامي قدرة رائعة على صناعة مجتمع متماسك ومتآلف يعلي من شأن الأخلاق والقيم الرفيعة، ويحفظ الإنسان جنينًا وطفلاً وشابًا وبالغًا وكهلاً، إلى جانب إعلائه لمبدأ التوازن بين عالم الروح وعالم المادة.

إن هذه العودة أو لنقل محاولة العودة في عالم الغرب إلى «قيم العائلة» والبحث عن أسس جديدة لصياغة مجتمع متوازن يعلي من شأن الأخلاق، إنما تمنح دفعة مهمة لدعاة الإسلام في الغرب والشرق وللمسلمين العاديين كي يتقدموا خطوات إلى الأمام في حملهم لرسالتهم، وتقديمها بوصفها الرسالة القادرة على إنقاذ الإنسان مما هو فيه من شقاء، على رغم ما حققه من تقدم تقني على مختلف الصعد، ومن ثم الانطلاق لإزالة ما يشوب علاقتنا الأسرية من تقاليد بالية لا علاقة لها بالإسلام ومناهضة الظلم بكل ألوانه. ورفض التعسف بكل أشكاله.. فالإصلاح حيثما كان ضروريًا لا يكون إلا من خلال المرجعية الإسلامية وليس من خلال الاقتداء بالغرب حيث تنتهي أسرنا إلى الدمار.

لقد أن الأوان كي تتوقف لعبة الانبهار بكل قيمة يتبناها الغرب أو الشرق، كما حصل مع الاشتراكية أو الرأسمالية أو العولمة إلى غير ذلك، وأن يجري التركيز على روح التشريع وقدرته على التعامل مع معطيات العصر.

أُنتجت ضمن سياسات «وضع الأجندة» وبرؤية لا تحفل بالتمايز الديني والحضاري :

اتفاقية القضاء على جميع أشكال التميز ضد المرأة «CEDAW»

أميمة منير جادو* . رفحاء

اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل

رؤية نقدية لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة CEDAW

Division for the Advancement of Women

إتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة

* أستاذ الحضارة الإسلامية المساعد بكلية التربية للبنات .

شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين اهتمامًا متزايدًا بقضية (حقوق المرأة)، كما تصاعدت حركة واسعة النطاق، تستهدف دفع الاهتمام بالقضايا المتعلقة بها على مستوى العالم، فكان المؤتمر العالمي الأول للمرأة عام ١٩٧٥م، بالمكسيك، كما أعلنت الأمم المتحدة سنة ١٩٧٥م السنة العالمية للمرأة. ومع أهمية القضية أصحبت السنة عقدًا كاملاً للارتقاء بمستويات المرأة، ثم جاء مؤتمر الأمم المتحدة لإزالة جميع الفوارق بين الرجل والمرأة ١٩٧٩م، ثم تبع ذلك المؤتمر الثاني للمرأة عام ١٩٨٠م في كوبنهاجن، ثم المؤتمر الثالث في نيروبي في عام ١٩٨٥م، تحت عنوان «الاستراتيجية التطلعية في قضية المرأة»، وأخيرًا جاء المؤتمر الرابع للمرأة في بكين في سبتمبر ١٩٩٥م، إضافة إلى بعض المؤتمرات (الدولية) الخاصة بقضايا مختلفة لها صلة بالمرأة، مثل: مؤتمر الطفل بنيويورك في ١٩٩٠م، ومؤتمر البيئة والتنمية في ريودي جانيرو في ١٩٩٢م، ومؤتمر حقوق الإنسان بفيينا في ١٩٩٣م، والسكان والتنمية بالقاهرة ١٩٩٤م، ومؤتمر التنمية الاجتماعية بكوبنهاجن ١٩٩٥م، ومؤتمر استنبول للمستوطنات البشرية «habitat» ١٩٩٦م، ومؤتمر الإنسان والثقافة في استكهولم ١٩٩٨م .

وتسعى الأمم المتحدة في خلال تلك المؤتمرات إلى إرساء قواعد كونية، تنظم وتحكم السلوك البشري (الأخلاقي والقانوني) في العالم كله في كل مجالات الحياة: الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها، ويبين ذلك طبيعة الموضوعات التي انعقدت من أجلها كل تلك المؤتمرات، من استهدافها لمظان التوجيه والسيطرة على السلوك الإنساني بصفته الفردية، أو في إطار الأسرة والمجتمع.

ويعود تاريخ العمل على وضع اتفاقية تحدد حقوق المرأة في الأمم المتحدة إلى بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك عبر عدة مراحل:

* في عام ١٩٥٢م أعدت مفوضية مركز المرأة بالأمم المتحدة معاهدة حقوق المرأة السياسية، التي تبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة.

* وفي عام ١٩٦٧م أجازت الأمم المتحدة إعلانًا خاصًا بالقضاء على التمييز ضد المرأة، ودعا إلى تغيير المفاهيم، وإلغاء العادات السائدة التي تفرق بين الرجل والمرأة، مع الاعتراف بأن المنظمات النسائية غير الحكومية هي القادرة على إحداث هذا التغيير.

* وفي عام ١٩٧٣م بدأت مفوضية حركة المرأة بالأمم المتحدة في إعداد معاهدة للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وأكملت إعدادها في ١٩٧٩م .

* وفي ١٩٧٤م صدر الإعلان العالمي بشأن حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والنزاعات المسلحة.

* وفي يوم ١٨ ديسمبر ١٩٧٩م اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الاتفاقية باعتبارها إحدى الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان.

* وفي يوم ٣ ديسمبر ١٩٨١م أصبحت الاتفاقية سارية المفعول بعد توقيع خمسين دولة عليها، طبقًا لأحكام المادة ٢٧ التي تنص على مبدأ نفاذ الاتفاقية بعد شهر من تصديق أو انضمام الدولة رقم عشرين عليها، وكانت تونس هي الدولة العربية الوحيدة التي وقعت على الاتفاقية قبل نفاذها.

وفي هذا الإطار تعد اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (المتن) Convention on the Elimination of all forms of Discrimination Against Women الذي كتبت على هامشه جميع أعمال الأمم المتحدة من مؤتمرات (قمة دولية) في مجال المرأة، لذا

تعتبر الاتفاقية بيانًا عالميًا بحقوق المرأة الإنسانية، إذ تؤكد ديباجتها أن: حقوق المرأة حقوق إنسانية Women Rights are Human Rights، كما تدعو الاتفاقية بصورة شاملة إلى المساواة المطلقة في الحقوق بين المرأة والرجل في جميع الميادين: السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والمدنية، وتعد الاتفاقية بعد المصادقة عليها ملزمة قانونيًا للدول بتنفيذ بنودها. وقد انضمت إلى عضوية الاتفاقية ١١ دولة عربية، وإن تحفظت على بعض البنود، وهي: الأردن والعراق والكويت وليبيا والمغرب وتونس والجزائر ولبنان ومصر واليمن وجزر القمر. ومن الدول الإسلامية التي صادقت على الاتفاقية: إندونيسيا ـ باكستان ـ بنجلاديش ـ تركيا ـ ماليزيا.

وهي ـ أي الإتفاقية ـ لذلك من أهم الصكوك الدولية التي تضم مبادئ أساسية تدعو إلى تمتع المرأة بجميع حقوقها، كما اعتبرت الاتفاقية أن (التمييز) ضد المرأة يشكل إجحافًا أساسيًا وإهانة للكرامة الإنسانية، كما دعت إلى إلغاء جميع القوانين والأعراف والممارسات التي تشكل (تمييزًا) ضد المرأة.

هذا وتعد اتفاقية السيداو بمنزلة قانون دولي لحماية حقوق المرأة، حيث إنه بموجب هذه الاتفاقية تصبح الدول الأطراف الموقعة عليها ملتزمة باتخاذ جميع التدابير للقضاء على التمييز بين الرجال والنساء، سواء على مستوى الحياة العامة فيما يتعلق بممارسة جميع الحقوق: المدنية والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، وفي التمتع بهذه الحقوق، أو على مستوى الحياة الخاصة، وعلى وجه الخصوص في الإطار الأسري.

وتعتبر هذه الاتفاقية نتيجة لسياسات (وضع الأجندة) Agenda Setting، وهو مفهوم يلخص عملية تحديد الأولويات التي ينبغي على مختلف بلدان العالم التفكير فيها والحوار حولها، وذلك من خلال انتقال الموضوعات ذات الاهتمام من قائمة أولويات الحضارة الغربية إلى القائمة العامة لأولويات الشعوب (باختلاف ثقافاتها).

وتتم عملية وضع الأجندة بعدة مراحل:

ـ تبدأ بتكثيف اهتمام وسائل الإعلام، وتسليط الضوء عليها حتى يثور الاهتمام العام بها، فتصل إلى مصاف الاحتياجات الاجتماعية الدولية، ومن ثم يبدأ النقاش العام حولها في مختلف بلدان العالم، ضمن حوارات الأشخاص أو أفراد الجمهور العام، وبذلك تبدأ المرحلة الأولى من مراحل تشكيل الرأي العام الدولي.

ـ ثم تأتي المرحلة الثانية من مراحل صياغة قواعد كونية تحكم السلوك البشري والعالم كله في كل مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية عبر المؤتمرات الدولية للخروج بمواثيق واتفاقات تكون ملزمة للبلدان التي تصدق عليها، ثم يتم الضغط الدولي على مستويين:

* الضغط على الدول التي لها تحفظات على بعض البنود لرفع تحفظاتها.

* الضغط على الدول التي لم توقع عليها أصلاً ليتم التوقيع والتصديق عليها.

وفي هذا الإطار يتم تدويل قضايا المرأة عبر تسييسها، واستخدامها كورقة ضغط على الأنظمة، والدول التي تقاوم النمط الحضاري الغربي، سواء أكانت المقاومة على أسس دينية عقائدية، أم أخلاقية فلسفية، أم اجتماعية اقتصادية.

تقويم عام لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة CEDAW

أولاً: إيجابيات الاتفاقية:

تؤكد هذه (الرؤية النقدية) كثيرًا من الإيجابيات فيحمد لها النص على إجراءات وتدابير تحمي حقوق الإنسان:

مثل المادة (٣) التي تعمل على كفالة تطور المرأة وتقدمها، وضمان ممارستها لحقوق الإنسان والحريات الأساسية.

اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة. تغلب عليها نظرة واحدة للإنسان والكون والحياة. هي النظرة الغربية التي ليس للقيم الدينية أو الخصوصيات الحضارية مكان فيها

ومثل المادة (٦) التي تنص على اتخاذ الدول جميع التدابير لمكافحة جميع أشكال الاتجار بالمرأة، واستغلالها في الدعارة، فيحمد للاتفاقية هجومها على المتاجرة بالنساء، وعلى تجارة الرقيق الأبيض، وإكراه الفتيات على البغاء.

يحمد للاتفاقية النص في المادة (١٠) على ألا يحول دون حق المرأة في التعليم حائل مبني على التفرقة بسبب الجنس أو الدين.

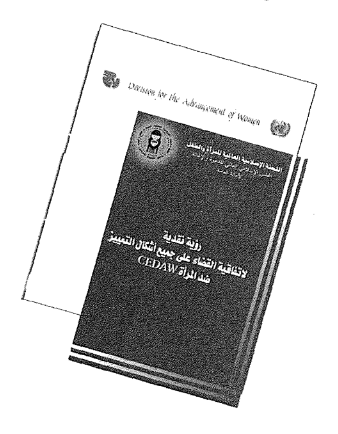
كما يحمد للاتفاقية النص في المادة (١١) على العمل على تساوي حقوق النساء مع الرجال في ميدان العمل، فمن العدل الذي تنادي به هذه الرؤية النقدية استحقاق أجر متساو لعمل متساو.

ثانيًا: مواد وبنود تجاوزت فيها الشريعة الإسلامية الاتفاقية في عطائها للمرأة تأصيلاً لحقوقها وحماية لها:

من منطلق رؤية كلية أعطى الإسلام النساء حقوقًا كاملة في أربعة مجالات:

- **المجال الإنساني:** فاعترف بإنسانيتها كاملة لجعلها والرجل سواء بسواء ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**﴾ [النساء: ١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «النساء شقائق الرجال» وغيرها.

- **المجال الاجتماعي:** ففتح لها باب العمل الاجتماعي من جميع جوانبه.



- **المجال الاقتصادي والقانوني:** حيث أعطاها الإسلام الأهلية الكاملة والمساواة الكاملة مع الرجل على مختلف المستويات.

- **المجال الأسري:** اعتنى الإسلام أيما عناية بالبنت قبل الزواج فأوجب على الأب رعاية ابنته وحمايتها وتعليمها والإنفاق عليها إلى أن تتزوج، وأعطاها حق اختيار زوجها، واشترط موافقة الولي أو علمه عند زواجها لأول مرة مساعدة لها في التأكد من صلاحية الزوج وقدرته على القيام بمسؤولياته، لغلبة عاطفتها وعدم تجربتها الزواج من قبل.

وبعد الزواج أولى الإسلام مؤسسة الأسرة عناية كبيرة باعتبارها الوحدة الأساسية للمجتمع، التي تحقق استقرار وتعاون أفراده، فوضع لها من الأحكام ما يكفل لها ذلك الاستقرار ويحقق مقاصده.

وإن الرجوع إلى الكتب والمراجع الإسلامية التي تحدثت بشأن الأسرة بإفاضة يعتبر خير معين، وكلها أمور دينية بدهية مفروغ منها بالنص القرآني والسنة النبوية، حيث لا يتسع المجال هنا لعرض كل جوانب الزواج والطلاق والمعاشرة.

ثالثًا: سلبيات الاتفاقية:

نقد الإطار العام: الفلسفة الكامنة، والمرجعية، والمفاهيم والمصطلحات:

* حسنًا فعلت الاتفاقية بالنص في المادة (١٧) على مراعاة مبدأ التوزيع الجغرافي العادل، وتمثيل مختلف الأشكال الحضارية، والنظم القانونية الرئيسة في العالم، عند إنشاء لجنة القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، ولكن هذه المادة لم تسر في هذا الاتجاه الإيجابي، فلم تنص في إجراءات انتخاب أعضائها على آلية تحقق مراعاة هذه الاعتبارات، وهذا نقص في هذه المادة ينبغي استكماله أو على الأقل التحفظ عليه من قبل تلك النظم القانونية والأشكال الحضارية في العالم، والتي لم تمثل التمثيل الدقيق بما يراعي خصوصياتها.

الأهم من ذلك هو التناقض القائم بين النص على مراعاة الخصوصيات الحضارية والثقافية

والقانونية، والنصوص التفصيلية التي تكرس معايير نمطية يراد تطبيقها على جميع البشر دون مراعاة هذه الخصوصيات، ولعل هذا هو العيب المحوري في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، حيث لم تفرق بين مستويين كان ينبغي التفرقة بينهما:

- مستوى النص على المبادئ.

- مستوى تحديد الصور والوسائل التطبيقية التفصيلية.

وإذا كان المستوى الأول مناسبًا على مستوى العالمية، فإن المستوى الثاني متنوع بطبيعته، وفقًا للخصوصيات الحضارية والثقافية والقانونية، وتنميطه، واستخدامه على مستوى العالمية فيه إهدار لكل المبادئ المتعلقة باحترام التنوع الديني والثقافي، وسيادة الدول، وحق الشعب في تقرير المصير، والتي نصت عليها المواثيق الدولية، وفي مقدمتها ميثاق الأمم المتحدة - وهو دستور المجتمع الدولي، والذي يعلو جميع المعاهدات الأخرى - حيث نص في مادته (١٠٣) على أنه:

(إذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة، وفقًا لأحكام هذا الميثاق مع أي التزام دولي آخر يرتبطون به، فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق).

وميثاق الأمم المتحدة قد نص على احترام جميع الأشكال الحضارية، وجميع نظم الاعتقاد الديني في العالم، وأن تخرج معاهداته واتفاقياته بما يتسق مع هذا الاحترام، غير أن اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، تغلب عليها نظرة واحدة للإنسان والكون والحياة، هي النظرة الغربية التي ليس للقيم الدينية أو الخصوصيات الحضارية مكان فيها.

وهذا النقد ثبتت صحته عمليًا في إطار الأمم المتحدة ووحداتها المتخصصة. ففي عام ١٩٨٩م بدأ العقد العالمي للتنمية الثقافية، وفي نهاية العقد تبين أن فشل كثير من برامج الأمم المتحدة يعود إلى عدم مراعاة الخصوصيات الحضارية.

أما بخصوص ما تطرحه الاتفاقية من حقوق وواجبات فإنه يغلب عليها سيادة النظرة الغربية التي تحمل مضمونًا لمنظومة الحقوق والواجبات، يختلف عن مضمون منظومة الحقوق والواجبات لدى كثير من حضارات العالم، ومن ثم فإن فرض الرؤية الغربية على الاتفاقية يقلل من إمكانية نجاحها في تحرير نساء العالم مما يعانينه من مظالم.

* لعل أهم عناصر الفلسفة الكامنة خلف اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة CEDAW هي نظرتها للإنسان باعتباره كائنًا ماديًا بسيطًا (غير مركب، وغير متجاوز للمادة) يستمد معياريته من نفس القوانين الطبيعية المادية، ويخضع لنفس الظروف المادية وللحتميات الطبيعية.

ومن ثم فإن الحقوق الإنسانية للمرأة التي تتحدث عنها الاتفاقية هي حقوق لإنسان - عبارة عن امرأة - أية امرأة - يمثل وحدة كمية مستقلة بسيطة، أحادية البعد، غير اجتماعية وغير حضارية، لا علاقة لها بأسرة أو مجتمع أو دولة، أو مرجعية تاريخية أو أخلاقية.

وهناك عدة مفاهيم أساسية تمثل منظومة المفاهيم الحاكمة لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وهي في مجملها تمثل جوهر مفاهيم الحضارة الغربية، ونظرتها للإنسان والكون والحياة، وتصوراتها

للخالق ومساحات الثابت والمتغير في الحياة الإنسانية.

* أما أهم هذه المفاهيم الحاكمة على الإطلاق التي تمثل الفلسفة الكامنة لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة CEDAW فهي :

مفهوم القانون الطبيعي Natural Law: المرتبط بذاتية الإنسان من الناحية الطبيعية، بغض النظر عن فكره ومنهجه وعقيدته، وهذا الحق الطبيعي يطلق عليه (الحرية) وهي كلمة تدل على استطاعة، أي: على حركة مفكرة.

والقانون الطبيعي ليس قانونًا بالمعنى الدقيق، ولكنه مجرد (افتراض) أن هناك قواعد عقلانية منطقية سابقة على وجود الجماعة البشرية، وأن هذه القواعد تلقى قبولاً عامًا من الإنسان، وأنها مرجع القوانين الوضعية ومعيارها، وأنها تحتوي على (حقوق طبيعية) للإنسان، تولد معه وتظل لصيقة به، ومن ثم فهي تحد من سلطة الدولة في علاقتها بالأفراد، في الوقت الذي لا تفرض فيه على الفرد أية واجبات مقابل تمتعه بهذه الحقوق وممارسته لها.

لذلك يكون الإنسان في هذا التصور الكلي مُشرّع نفسه، ضابط حقه، رافضًا أن يكون شرعه مُنزّلاً، أو أن ينبثق من الطبيعة الموجودة، الاجتماعية أو البيولوجية الحسية، إنها طبيعة قيمية، إيمانها الوحيد الإنسان، وليس ما فوق الإنسان، ومصدرها العقل النظري.

والمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة بما يقربها من درجة التماثل أو التطابق التام: تلك المساواة التي تشمل جميع مناحي الحياة ككل أو حد وأساسي، تقوم على رفض حقيقة وجود تمايز في الخصائص أو الوظائف بين الرجل والمرأة.

والفردية: بمعنى النظر للمرأة كفرد، وليس كعضو في أسرة يتكامل فيها الزوجان، ذلك أن الحضارة الأوروبية تقوم على الفرد والفردية، ولذلك ذهب أصحاب تحرير المرأة إلى النظر إليها باعتبارها فردًا وإنسانًا، وهذا ما يتعارض مع نظرة الإسلام الذي وإن اعترف للمرأة بما توجبه إنسانيتها من حقوق، فإنه لا يقوم - أصلاً - على نظرية الغاية الفردية. وله نظرة وسطية متوازنة بين الفردية والجماعية، ويحترم الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، وتظهر في مجال المرأة باعتبارها إنسانًا وأنثى، وأنها والرجل صنوان في الحقوق الإنسانية العامة وفي خطاب التكليف وفي الثواب والعقاب، ووضع قيمًا وضوابط لتنظيم العلاقة

■■ الحقوق الإنسانية للمرأة التي تتحدث عنها الاتفاقية هي حقوق لإنسان. عبارة عن امرأة. أية امرأة. يمثل وحدة كمية مستقلة بسيطة، أحادية البعد، غير اجتماعية وغير حضارية، لا علاقة لها بأسرة أو مجتمع أو دولة، أو مرجعية تاريخية أو أخلاقية ■■

بينهما، وأن تصرفاتهما والعلاقة بينهما تحكمها آداب تكبح جماح الإرادة من الشرود، أو العاطفة النزقة.

وحتمية الصراع وديمومته لتنال المرأة حقوقها:

فالخطاب المتمركز حول الأنثى هو خطاب يؤدي إلى تفكيك الأسرة، ويعلن حتمية الصراع بين الذكر والأنثى، وضرورة وضع نهاية للتاريخ الذكوري الأبوي، وبداية التجريب بلا ذاكرة تاريخية، وهو خطاب يهدف إلى توليد القلق والضيق والملل وعدم الطمأنينة في المرأة، عن طريق إعادة تعريفها، بحيث لا يمكن أن تحقق هويتها إلا خارج إطار الأسرة.

وتمثل تلك الأسس (المسلمات) إفرازًا لبيئة الحضارة الغربية، وهي ذات صلة عميقة بتصورات تلك الحضارة لعناصر الوجود الأساسية والكون والحياة.

* لقد أضفت الاتفاقية على حقوق المرأة التي نصت عليها حماية قانونية لم تضفها اتفاقية أخرى، خصوصًا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨م، والاتفاقيتان الخاصتان بالحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسنة ١٩٦٦م، وهي جميعًا شاملة للرجال والنساء جميعًا.

وينتج عن ذلك أن إعطاء ضمانات قانونية وإجرائية ورقابية لحقوق النساء خاصة، وترك حقوق الرجال دون ضمانات يخل بالمساواة بين الجنسين، بحيث تصبح النساء في مركز قانوني وعملي متميز عن الرجال، وذلك بدعوى المساواة

بينهما، وذلك من ناحيتين:

أ ـ ناحية الضمانات التي أشرنا إليها، وهي عامة شاملة لجميع الحقوق.

ب ـ ناحية النص على حقوق للنساء لم يرد النص على مثيلها للإنسان عمومًا، حتى يتمتع بها الرجال، وعلى سبيل المثال:

* المادة (٧) والتي تنص على مفردات المشاركة في الحياة السياسية العامة للبلد.

* المادة (١٠) والتي تنص على خفض معدلات ترك المدرسة قبل الأوان.

* المادة (١١ فقرة ٢) والتي تنص على توفيرها حماية خاصة في الأعمال التي يثبت أنها مؤذية.

* بالنسبة للمادتين (٢) و (١٦) فلا تجيز متابعة تنفيذ الاتفاقية التحفظ على هاتين المادتين. فقد جاء في البيان الذي أصدرته لجنة الاتفاقية بالأمم المتحدة بمناسبة الذكرى الخمسين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان بتاريخ يوليو ١٩٩٧م، ما يلي:

«تعتبر اللجنة المادتين (١٦،٢) جوهر الاتفاقية، ولا يجوز التحفظ عليهما بموجب المادة (٢٨ فقرة ٢) من الاتفاقية التي تحظر التحفظ، الذي ينافي موضوع الاتفاقية وغرضها، كما أن التحفظ عليهما يعتبر أيضًا منافيًا لأحكام القانون الدولي العام، وأن تعارض المواد (٢، ١٦) مع الممارسات التقليدية أو الدينية أو الثقافية لا يمكن أن يبرر انتهاك الاتفاقية، وأن التحفظ على المادة (١٦) الخاصة بالأسرة ـ سواء أكان لأسباب قومية أم تقليدية أم دينية، فإنه يعتبر منافيًا لموضوع الاتفاقية وغرضها، وبالتالي لا بد من سحبه».

إلا أن ذلك يتناقض تناقضًا تامًا مع ما جاء في كتاب: (التمييز ضد المرأة ـ الاتفاقية واللجنة) الصادر عن الأمم المتحدة، عند الحديث عن المادة (٢٨ فقرة ٢) الخاصة بالتحفظ على الاتفاقية: إن اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة تجيز للدول الأطراف أن تبدي تحفظًا ـ أي إعلانًا رسميًا ـ بشأن أنها لا تقبل أن يكون جزء معين، أو أن تكون أجزاء معينة من المعاهدة ملزمة لها.

وليس لدى اللجنة سلطة تقرير إذا ما كانت التحفظات متنافية أو لم تكن متنافية مع مقصد الاتفاقية وموضوعها، فمسألة التنافي يمكن أن تجيب عنها محكمة العدل الدولية، ولكن لم تطلب أية دولة حتى الآن رأيًا استشاريًا من هذه المحكمة، بشأن توافق التحفظات، أو بشأن مدى ما يجب أن تكون عليه من تحديد.

* وكما تفرض الاتفاقية رؤية واحدة ومنهجًا واحدًا في الحياة تفرض أيضًا مصطلحات ومفاهيم لا يمكن إدراكها من حيث النشأة والاستخدام إلا في سياقاتها الغربية، ومن ذلك مفهوم الأدوار النمطية، بمعنى القضاء على دور الأم المتفرغة لرعاية الأطفال، ودور الأب في الأسرة.

* ومن ثم فإن نقد الإطار العام للاتفاقية يعني رفض ثلاثة أشياء:

ـ الفلسفة الكامنة خلف الاتفاقية والرؤية العامة للإنسان والكون التي تحملها الاتفاقية.

ـ المنهج في الحياة الذي تروج له، بل وتلزم به مختلف الأمم والشعوب.

ـ المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في سياقاتها مثل: الجندر والتمكين والصحة الجنسية، والمتحدين والمتعايشين، حرية التوجه الجنسي... إلخ.

Division for the Advancement of Women

اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل

رؤية نقدية لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة CEDAW

* صادر عن اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ٢٠٠١م.



قوانين حماية المرأة في المواثيق العالمية والشريعة الإسلامية

نوره عبدالله العدوان* . الرياض

*أستاذ المناهج وطرق التدريس المساعد ـ جامعة الملك سعود.

تنطلق كل من الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية في مسألة حماية الأفراد من منطلق حقوق الإنسان، ويستمد كل منهما شرعيته في مسألة الحقوق من مرجعية ذات أصول فكرية وعقدية متباينة.

وتقتضي منا المقارنة عند تناول قوانين حماية المرأة في كل من النظامين الإسلامي والدولي، بيان المنهجية والأسس التي تشكل المنطلقات الرئيسة في التعامل مع التشريعات ذات العلاقة بحماية المرأة، والتي ينبغي الإشارة إليها:

* الحقوق في الشريعة الإسلامية تعتمد (الحاكمية لله) مرجعية شاملة، وتدور الحريات في فلك حفظ مصالح الفرد والمجتمع، بينما تستمد الحقوق في المواثيق الدولية من العلمانية التي ترفض الدين وتسعى لإلغاء أثره نهائيًا في المجتمعات الإنسانية.

* الشريعة الإسلامية تعطي المرأة حقوقًا وتكلفها بواجبات، في حين أن المواثيق الدولية تركز على حقوق المرأة دون ذكر للواجبات، وتنظر إلى المرأة كفرد قائم بذاته، وفي حالة صراع وتنافس دائم مع الرجل.

* المواثيق الدولية تتعامل في تشريعاتها مع المرأة كفرد مستقل عن غيره، أما الإسلام فهو ينظر إلى المرأة والرجل ضمن مؤسسة الأسرة، وينظر إليهما وإلى الأسرة من خلال المصلحة العامة للمجتمع.

* تنطلق المواثيق الدولية من رؤية منهجية مستمدة من فكر الحركة الأنثوية (feminism)، وهي من أقوى الحركات الفكرية التي ترعرعت في ظل النظام العالمي الجديد، وتمارس هيمنتها عبر منظمات الأمم المتحدة ومؤسسات المجتمع المدني، وتسعى لإحداث عمليات التغيير الثقافي والاجتماعي وعولمة القوانين والتشريعات المتعلقة بالمرأة عبر الدساتير والمواثيق الدولية.

* ترفض المواثيق الدولية حقيقة وجود اختلاف أو تمايز بين الجنسين، وتتبنى مصطلح النوع الاجتماعي (Gender) بديلاً لمصطلح ذكر وأنثى، وذلك لإلغاء جميع التشريعات والمفاهيم المترتبة على الجنس، والدعوة إلى تماثل المرأة التام مع الرجل في الأدوار والموارد والمسؤوليات، في حين أن الإسلام ينطلق في تشريعاته من وجود فروق جوهرية بين الرجل والمرأة تحقق لكل منهما وظيفته في الحياة، وتجعل كلاً منهما مكملاً للآخر.

ومن أهم المواثيق الدولية المتعلقة بالمرأة وحقوقها ما صدر عن مؤتمرات الأمم المتحدة الآتية:

* مؤتمر مكسيكو لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلام، المكسيك عام ١٩٧٥م.

اعتمد فيه أول خطة عالمية متعلقة بوضع المرأة على المستوى الحكومي وغير الحكومي في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

* مؤتمر الجمعية العامة للأمم المتحدة: القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، عام ١٩٧٩م. وخرج المؤتمر باتفاقية ملزمة للدول التي توافق عليها إما بتصديقها أو بالانضمام إليها، وقد نصت على إبطال جميع القوانين والأعراف دون استثناء لتلك التي تقوم على أساس ديني، واستبدل بها قوانين دولية.

* المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلام، كوبنهاجن، الدانمارك عام ١٩٨٠م. لاستعراض وتقويم ما أنجز في توصيات مؤتمر المكسيك وتطويرها.

* المؤتمر العالمي لاستعراض وتقويم منجزات الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم، نيروبي عام ١٩٨٥م. ووضع فيه استراتيجيات نيروبي للنهوض بالمرأة.

* المؤتمر العالمي المعني بالمرأة في بكين عام ١٩٩٥م. وقد دعا المؤتمر بصراحة إلى عدد من الأمور التي تخالف الفطرة والشرع، ومنها: الدعوة إلى فتح باب العلاقات الجنسية المحرمة، والسماح بالإجهاض، وتحديد النسل، ومنع الزواج المبكر، وإباحة الزواج اللانمطي (رجل + رجل أو امرأة + امرأة) والدعوة إلى الاعتراف بالشواذ، والتركيز على التعليم المختلط بين الجنسين وتطويره والقضاء على أي فوارق بين الرجل والمرأة.

* مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة: للمساواة والتنمية والسلام، نيويورك عام ٢٠٠٠م. وقد تضمنت وثيقة المؤتمر: الدعوة إلى الحرية الجنسية، والإباحية للمراهقين والمراهقات، والتبكير بها مع تأخير سن الزواج، وأوجدوا مسمى جديدًا للداعرات وهو (عاملات الجنس) وتشجيع جميع أنواع العلاقات خارج إطار الأسرة الشرعية (للرجل والمرأة) وتهميش دور الزواج في بناء الأسرة، والسماح بزواج الشواذ من الجنس نفسه، وفرض مفهوم المساواة الشكلي المطلق بين الجنسين في جميع النواحي، والمطالبة بإلغاء التحفظات التي أبدتها بعض الدول الإسلامية على وثيقة بكين. ويعتبر أهم هدف في هذا المؤتمر هو الوصول إلى صيغة نهائية ملزمة للدول بخصوص القضايا المطروحة على أجندة هذا المؤتمر، والتي صدرت بحقها توصيات ومقررات في المؤتمرات الدولية السابقة تحت إشراف الأمم المتحدة.

وفي مناقشتنا لما يقدمه كل من النظامين الإسلامي والدولي للمرأة من حماية، ينبغي ألا تحجب الرؤية عن العديد من المواضيع المتفق عليها بحكم التلاقي الإنساني العام في المسائل التي لا تمس القضايا الفكرية الأساسية في الغرب، كالمساواة بين الرجل والمرأة في حق الحصول على التعليم والرعاية الصحية والأمن، والقضاء على الأمية والفقر بين النساء، ومحاربة البغاء والاتجار بالمرأة واستغلالها جنسيًا، وضمان مشاركة المرأة في أوجه الحياة العامة، وغيرها العديد من الجوانب الإيجابية المشتركة.

وسوف نتناول فيما يلي أوجه الحماية التي تكفلها الشريعة الإسلامية للمرأة مقارنة بما تقدمه المواثيق الدولية سابقة الذكر:

أولاً: الجوانب الاجتماعية والأخلاقية:

*** العلاقات الجنسية:**

تعد المواثيق الدولية الحرية في العلاقات الجنسية وفتحها بلا ضوابط حقًا من الحقوق الأساسية للمرأة، ومن ذلك الحرية الجنسية والتبكير بها للمراهقات وتأخير زواجهن، ورفع وصاية الوالدين، وتشجيع جميع أنواع العلاقات الجنسية خارج إطار الأسرة الشرعية، وممارسة الجنس دون قيود ولا أطر تقليدية، والاعتراف بحقوق الزناة والزانيات.

أوجه الحماية الممنوحة للمرأة في المواثيق الدولية تطرح حلولاً لمشاكل المرأة تقوم على الفكر الغربي العلماني الذي يهمش دور الدين في المجتمع، ولم تراع هذه المواثيق التباين الثقافي الواسع بين المجتمعات، واختلاف أوضاع المرأة ومشكلاتها من مجتمع إلى آخر، واختلاف الموروث التاريخي والديني

وفي المقابل نجد أن التشريع الإسلامي حرم الزنا، وسن حدودًا شرعية لضبط العلاقة بين الجنسين، وشجع الرابطة الزوجية، وجعلها هي الأساس الوحيد المنظم للعلاقة بين الرجل والمرأة، وأسس لها بحقوق وواجبات تحمي المرأة، وتحافظ على المجتمع من التفكك والانحلال وتعزز التمسك بقيم الطهر والعفاف.

*** نظام الأسرة:**

تعترف المواثيق الدولية بالأشكال المختلفة للأسرة وتشجع نماذج الأسرة اللانمطية، وتهمش دور الزواج في بناء الأسرة، كما تسمح بأنواع الاقتران الأخرى، والتي تتكون من جنس واحد (رجلين، أو امرأتين) وتبيح الشذوذ الجنسي (اللواط والسحاق)، وتطالب بمراجعة ونقض القوانين التي تعتبر الشذوذ الجنسي جريمة.

وقد اعتمدت الشريعة الإسلامية الأسرة الطبيعية فقط، المكونة من الرجل والمرأة بعقد قران له شروط وضوابط، وحرمت اللواط والسحاق والممارسات التي تتنافى مع الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، وأسست الشريعة لحماية المرأة والرجل معًا من الفوضى والانحدار الخلقي وتفشي الأمراض الفتاكة.

*** القضايا الإنجابية:**

دعت المواثيق الدولية إلى تحديد النسل، وطالبت



بإجازة الإجهاض، وتعميم استخدام موانع الحمل والترويج لها، والتباعد بين الولادات، ومنع حالات الحمل المبكر، واعتبرت ذلك حقًا من حقوق المرأة دون موافقة الزوج. واعترفت للمرأة وحدها بحق التحكم في جميع الأمور المتعلقة بخصوبتها، ومنها تقرير عدد أطفالها.

وفي المقابل نجد أن الإسلام ينظر إلى الرجل والمرأة في إطار كيان الأسرة، وينظر لهما وللأسرة في إطار الكيان المجتمعي المتكامل، ويضع أهداف الإنجاب باعتبارها أهدافًا اجتماعية كبرى. والتناسل من المصالح والمقاصد الشرعية الأساسية التي شجع عليها الشرع، ولذا حرم تحديد النسل، وأجاز تنظيمه، وحرم الإجهاض دون عذر طبي، وشجع الزواج المبكر، واعترف للرجل والمرأة معًا بالاشتراك في تقرير الأمور المتعلقة بالإنجاب حماية للعلاقة فيما بينهما، وتأكيدًا لاستمرارها الذي يؤمن الاستقرار النفسي والاجتماعي للمرأة.

*** الاختلاط بين الجنسين:**

تشجع المواثيق الدولية الاختلاط بين الجنسين في جميع أوجه الحياة، وتدعو إلى الاختلاط في التعليم، وفي بيئة العمل، وتعد الفصل بين الجنسين تمييزًا على أساس الجنس، في حين يحرم الإسلام الخلوة بين الرجل والمرأة، ويدعو إلى عدم الاختلاط للمحافظة على العفة، ويفرض الحجاب على المرأة عن الرجال من غير المحارم.

ثانيًا: الأحوال الشخصية

*** الحقوق المالية:**

تنادي الاتفاقيات الدولية بفرض مفهوم المساواة الشكلي والمطلق في الحقوق المالية بين الرجل والمرأة في عقد الزواج وفي أثنائه، وبعد فسخه، وفي رعاية الأبناء. وبالمساواة في الإرث بغض النظر عن الجنس.

وفي ذلك تعارض صريح مع الأحكام الشرعية المنظمة لعقد الزواج، والتي تصب في مصلحة المرأة، ومنها المهر قبل العقد، والنفقة، والقوامة على أمر الأسرة في أثناء العقد، والنفقة على الأبناء بعد انتهاء العقد. والحالات

التي يرث فيها الذكر مثل حظ الأنثيين هي حالات محددة لا تنطبق على جميع الحالات، وأحكام الإرث في الإسلام توفر حماية مضاعفة للمرأة، حيث إن نظام النفقات في الإسلام يوجب النفقة ويلزم بها الرجل لا المرأة، وما يرثه الرجل تستفيد منه المرأة في جميع أحوالها، وذلك عن طريق التكليف الشرعي للرجل بالنفقة على الزوجة أو الأم والأخت والابنة، في حين أن ما ترثه المرأة لا تكلف شرعًا بالنفقة منه على نفسها أو أي من ذوي قرباها.

*** الحقوق الشرعية:**

تمنح المواثيق الدولية المرأة والرجل الحقوق نفسها على قدم المساواة في عقد الزواج وفي أثنائه وعند فسخه، وكذلك في القوامة والولاية على الأبناء.

وفي ذلك تعارض صريح مع التشريعات الإسلامية في مسائل رضا ولي الزوجة عند العقد، وقوامة الرجل على الأسرة، وتعدد الزوجات، ومنع زواج المسلمة بالكتابي، وأحكام الطلاق والعدة، وعدة الوفاة، وحضانة الأبناء. وفي هذه التشريعات تفاصيل جزئية تحقق العدل والحماية للمرأة من أوجه متعددة منها المادي ومنها المعنوي.

*** الحقوق المعنوية:**

تدعو المواثيق الدولية إلى القضاء على العنف ضد المرأة (الجسدي والمعنوي)، وتطالب بإلغاء الحدود الجزائية في الشريعة الإسلامية كحد القتل عمدًا، وحد الزنا، وغيرهما من الحدود، وتصفها بالعنف، وتطالب بإنشاء محاكم أسرية تقاضي الزوج بتهمة اغتصاب زوجته. وفي المقابل تحرم الشريعة الإسلامية معاملة المرأة بقسوة، أو الاعتداء على حقوقها المادية أو المعنوية كحرمانها من النفقة، أو عدم العدل في المعاملة أو عضلها أو التضييق عليها، وقد وردت العديد من الأدلة في القرآن والسنة التي تحث على إيفاء النساء حقوقهن، والرفق بهن، وحسن عشرتهن.

ثالثًا: الحقوق العامة

*** الحقوق الاقتصادية:**

تطالب المواثيق الدولية الحكومات القيام بإصلاحات تشريعية وإدارية لتمكين المرأة من الحصول الكامل على الموارد الاقتصادية مناصفة مع الرجل في التوظيف والتدريب، وتيسير حصولها على القروض الربوية، والدعوة إلى خروجها للعمل بأجر للحصول على استقلالها الاقتصادي وذلك للتخلص من تبعيتها للرجل، والتقليل من عمل المرأة المنزلي، واعتبار ذلك عملاً ليس له مقابل، ومن ثم فهو من أسباب فقر المرأة، وتطالب الزوج بدفع أجر مقابل عمل المرأة المنزلي، وهو غير مكلف بالنفقة على المرأة. في حين أن نظام النفقات في الشريعة الإسلامية يكلف الرجل بتحمل جميع الحقوق المالية كالمهر والنفقة، وللمرأة الحق في مقاضاته عند التقصير في أداء هذه الحقوق، وجعلت خدمتها في منزل الزوجية من حسن العشرة ولا تلزم بها، وأعطتها الحق في أخذ مقابل مادي من الرجل عند الرضاعة، وأباحت لها العمل خارج منزلها عند تحقق الحاجة إليه، ويضمن الإسلام للمرأة حق التصرف في أموالها الشخصية.

*** الحقوق السياسية:**

تدعو المواثيق الدولية الحكومات والمنظمات لاتخاذ



جميع الإجراءات لتحقيق مشاركة المرأة في جميع الأنشطة السياسية، ومنها حق التصويت للمرأة، وحقها في الانتخاب، والدعوة إلى تمثيلها تمثيلاً منصفًا على جميع المستويات في المجالس والهيئات، وحقها في أن تتولى جميع المناصب بما فيها رئاسة الدولة، ويمكن الشرع الإسلامي المرأة من المشاركة في النشاط السياسي كالبيعة والانتخاب والشورى، ولا تتولى الولاية العامة عند معظم الفقهاء.

*** الحقوق الصحية:**

تنص المواثيق الدولية على أن يكون الإجهاض حقًا من حقوق المرأة، وتيسر حصولها على هذا الحق عندما تريد إنهاء حملها، وتدعو إلى إنشاء مستشفيات خاصة به، وتبيح قتل الأجنة داخل الأرحام بحجة أنه حمل غير مرغوب فيه، وتدعو إلى إلغاء الجزاءات المتعلقة بذلك، وتدعو إلى السلوك الجنسي المأمون، والاعتراف بالعلاقات الجنسية المحرمة المسببة للأمراض، وتجعل علاج الأمراض المنقولة جنسيًا جزءًا لا يتجزأ من خدمات برامج الصحة الإنجابية التي تلزم الحكومات بتوفيرها. في حين أن الشريعة الإسلامية بتحريمها الزنا والشذوذ تحمي المجتمع من الأمراض التي تنتقل عن طريق هذه العلاقات المحرمة، وتفرض الوضوء والطهارة والغسل، وتحرم قتل الأجنة وعمليات الإجهاض.

*** الحقوق الاجتماعية:**

تطالب المواثيق الدولية بالقضاء على الأدوار النمطية للمرأة، وهي أدوار المرأة المتعلقة بالإنجاب، وأدوار ربة البيت المتفرغة لرعاية أطفالها، وتطالب كذلك بتعديل الأنماط الاجتماعية والثقافية للقضاء على العادات القائمة على فكرة تفوق أحد الجنسين، وتدعو إلى اتخاذ جميع التدابير المناسبة بما في ذلك التشريعي منها لتغيير أو إبطال القائم من القوانين والأنظمة والأعراف التي تشكل تمييزًا ضد المرأة.

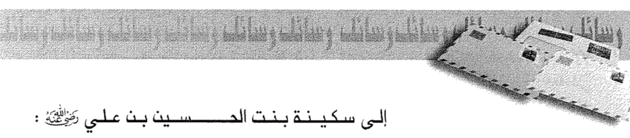
والإسلام يساوي بين الذكر والأنثى في النوع، ويفرق بينهما في الجنس، ويجعل لكل منهما وظائف ومهام تتفق مع أدوار كل منهما في الحياة، ولا يعني ذلك أن هناك جنسًا أفضل من الآخر، بل يعني أن كليهما يتميز على الآخر في بعض الجوانب، ويقدر الإسلام الأمومة ويمنح الأم مرتبة تفوق مرتبة الأب، ويجعل التقوى معيارًا للتفوق، ويعطي المرأة حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمشاركة في النشاط الاجتماعي مع توفر الحشمة والوقار.

ونلخص في الختام أن أوجه الحماية الممنوحة للمرأة في المواثيق الدولية تطرح حلولاً لمشاكل المرأة تقوم على الفكر الغربي العلماني الذي يهمش دور الدين في المجتمع، ولم تراع هذه المواثيق التباين الثقافي الواسع بين المجتمعات، واختلاف أوضاع المرأة ومشكلاتها من مجتمع إلى آخر، واختلاف الموروث التاريخي والديني والوضع الاقتصادي، ثم إن المشكلات التي نجمت عن تطبيق القيم الغربية، وما وصل إليه حال المرأة في الدول الصناعية المتقدمة في ظل الإباحية الجنسية والتحرر من القيم والأخلاق، وتفكك الأسرة وانحلالها، لهو دليل قاطع على فشل النموذج الغربي في صلاحيته ليكون نموذجًا يُحتذى في توفير الحماية للمرأة.

في المقابل تنطلق الحماية في الشريعة الإسلامية من تقييد الحريات وتجعلها تدور في فلك حفظ مصالح الفرد والمجتمع حماية لأفراده، وتجعل الحكم لله مرجعية شاملة بما تحويه من أحكام للمرأة والمجتمع ككل، تنظم من خلالها العلاقات وتحقق الحماية والأمن في جميع جوانب الحياة مادية كانت أم معنوية. ■

المصادر

- العبدالكريم فؤاد (قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- كمال الدين أحمد، المرأة والإسلام والنظام الدولي الجديد، مركز دراسات المرأة، الخرطوم، السودان.
- هيئة الأمم المتحدة، الوثائق الدولية على رابط www.un.org/arabic/documents.
- الكردي، أمين (آراء الحركة الأنثوية الغربية من وجهة نظر إسلامية) رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العقيدة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.
- إبراهيم، عواطف، موقف الإسلام من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، مركز دراسات المرأة، السودان.



إلى سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنه :

لقد سكنت مخيلتي وفؤادي

أكن التقدير من أعماق قلبي لكل سيدة تكافح في سبيل أمتها كفاحًا صادقًا وصحيحًا، وفي عالم اليوم هناك الكثيرات منهن، إن شاء الله، ولكن السيدة التي سكنت مخيلتي وفؤادي منذ بدأت مشواري العلمي كانت ولا تزال ورغم مرور القرون، هي السيدة سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

وفي هذه العجالة، فإنني أذكر سبب اختياري وأنقل بعضًا مما ذكره أحد الأساتذة، وهو الأستاذ عبدالمنعم الهاشمي، الذي قال: «إنها أم للجرأة والثقافة والصون والعفاف، وهي أم تعرف كيف تجد للعقل سبيلاً في حياتها، تتجاوز عقدة الخوف والضعف. وأنها كانت أمًا غير كل الأمهات، وقد عركتها المحن، وخيم على صباها الحزن والخوف والقسوة والهلع، لكنها خرجت من كل هذا عالمة ناصحة باسمة، قيل إنها كانت تسخر من نفاق بعض رؤوس المجتمع حولها، ولكن لم نلحظ من دواخلها أثرًا لحقد أو ضغينة أو أثرًا لكره أو هزيمة، بل ظلت قوية النفس، ناظرة إلى الأمام بأمل شديد وبوعي كبير».

كانت السيدة سكينة تهتم بالعلم والعلماء ومخالطتهم، فقد قال عنها علي مبارك في الخطط التوثيقية: «كانت السيدة سكينة تميل إلى الفكاهة والمزاح، وتخالط الأجلة من قريش، ويجتمع إليها الشعراء».

ولقد عرف عن السيدة سكينة أنها تزوجت عدة مرات، وكانت تحتفظ بعصمتها في عقد القران، وتضع على زوجها شروطًا من بينها السكن قريبًا من صديقة أثيرة لديها. وعندما أنجبت من زوجها مصعب بن الزبير ابنتها، أراد أن يسمي الطفلة اسمًا قريبًا من اسمه، لكن السيدة سكينة رفضت الانصياع لإرادته، وأطلقت عليها اسم جدتها، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على مدى قدرة المرأة في ذلك العصر على ممارسة جميع حقوقها الشرعية في الحياة. ولقد أطلق على السيدة سكينة اسم «البرزة»، فقد كانت بارزة في النساء، وكانت أديبة ناقدة حكمت بين الشعراء، كما كانت تعقد مجالس الأدب والمناظرة في بيتها. فهي شخصية فذة ذات صيت واسع، قد صنعته بدماثة خلقها ولطفها وثقافتها وحبها للشعر والعلم.

ولقد اخترت السيدة سكينة لأنني وددت أن أقول لها إنك مثال للمرأة العالمة الطاهرة، الصبورة والجليلة رضي الله عنك وأرضاك.

هيفاء بهاء عزي

منها وإليها

«اكتبي رسالة مختصرة إلى أي امرأة تختارينها في هذا العالم.. وستنشرها «المعرفة» في ملفها عن المرأة».

هكذا طلبنا من مجموعة من الكاتبات والصحفيات.. وهكذا جاءت رسائلهن، رغم محدودية عددها فإنها اتسمت - تلقائيًا - بتنوع جميل لم نكن نتقصده.

ماذا قالت المرأة للمرأة؟

ومن هي المرأة التي اختارت أن تكتب لها؟

المعرفة



إلى د .حياة سندي :

تذكري أنك ذات يوم أنرت حياتي

أستاذتي الفاضلة.. تحية وسلامًا..

أتذكر ذلك اليوم جيدًا، كنت أمسك جهاز التحكم في يدي، وأنتقل به من قناة إلى أخرى، وفجأة توقفت عند إحدى القنوات العربية، وأنا أراها تتحدث عبر برنامج ثقافي، عن فتاة سعودية تطلبها وكالة ناسا الأمريكية للفضاء للعمل معها!

لم أستطع أن أصدق، فتاة سعودية! أجل، فهذه الفتاة، التي تدرس في جامعة كمبريدج العريقة، ساهمت في تطوير جهاز هو عبارة عن مجس حيوي اسمه MARS. والذي يمكن أن يستفاد منه في أبحاث عديدة تهم الإنسان، مثل الطب وعلم الأدوية، وصولاً إلى أبحاث الفضاء.

وعبر البرنامج، رأيتك، فتحول الإعجاب إلى احترام، وتحولت الدهشة إلى إكبار، فقد بدوت لي شابة سعودية محافظة، محجبة، تجمع بين الحياء المحمود، والثقة العالية بالنفس، ثم كان أن عبرت بوفاء كبير بأن حلمك أن تعودي إلى الوطن يومًا، وأن تنشئي في جدة مدينتك ومدينتي، مركزًا للأبحاث مماثلاً لتلك التي تعملين بها الآن في بريطانيا، فبلغ احترامي وإعجابي بك مداهما. فما أجمل الاعتزاز بالدين والهوية، وما أجمل الوفاء للأوطان، خصوصًا أن فيها بيت الرحمن.

يومها قررت في أعماقي أن تكوني ملهمتي، وأن أحاول ما استطعت أن أجتهد علني أنجح يومًا في أن أحقق مثلك فتحًا علميًا أو ثقافيًا، أثبت من خلاله أن المرأة السعودية قادرة على التفوق.

فتذكري دومًا، أنك ذات يوم، أنرت حياة شابة أخرى، وفتحت لها نافذة الأمل لتحلم بمستقبل أجمل.

فشكرًا لك والله يرعاك.

مرام عبدالرحمن مكاوي

إلى د .سعاد الصباح :

نثرك وقوافيك من الأشياء المستحيلة

(ذات مساء مشتعل بالرتابة والبحث عن الأشياء المستحيلة) هذا الإهداء سطرته لي الصديقة الكاتبة وفاء الطيب، على كتاب (هل تسمحون لي أن أحب وطني؟) للشاعرة سعاد الصباح، حين علمت بولهي بكل ما تكتبه تلك الشامخة بقوافيها، المنقوش اسمها على جدار العالم العربي، ولأن حياتنا كالقافلة محملة بالبشر، تحمل أناسًا وتضع آخرين، فلا يتبقى غير الذين تركوا بصماتهم في حياتنا، أو الذين نفخر بخطواتهم. فتلك الشاعرة أراها اختارت دربًا للمضي وليس للعودة، حين أشهرت قلمها دفاعًا عن أنوثتها وبلادها حتى ترجمت حبها للوطن إلى واقع نتلمسه في كتاباتها، ونستشعره في وجداننا، تلك الشخصية قبعت في ذاكرتي منذ مطالعتي لأول كتاباتها وحتى اللحظات التي أفتش فيها بشق الأنفس عن تلك الكتابات، فأسطر لها رسالتي قائلة: هل تصدقين يا سيدتي أن نثرك وقوافيك من الأشياء المستحيلة ككلمات وفاء؟ فحتى الآن لم أجد لك كتابًا على رفوف مكتبة بوطني، وإنني قد جعلت من وسائل البحث والتقصي وصايا للقادمين والمغادرين من خارج الوطن وإليه ليبحثوا عن (أميرة من القبيلة) فرحت ألتقط من مبعثرات الصحف والمجلات والشبكة العنكبوتية علني ألملم فتافيت لامرأة.

بثينة إدريس

إلى المرأة الغربية :

أعيش عزًا لم تدركيه

لن أحدد رسالتي هذه بشخص معين، بل بتلك السيدة الغربية التي تسعى جاهدة إلى إصلاح ما تظن أنه فاسد، السيدة التي تقضي أيامها ولياليها تفكر، تحلل، تناظر وتقنن، اعتقادًا منها أننا كنساء سعوديات، نقبل العيش في محيطها. لتلك السيدة أكتب، للتي تريد تعميم فكرها وأسلوب حياتها، ولو بالإكراه، لمن اعتقدت أن حالها أفضل، أو أننا مقيدات وأسيرات في مجتمعنا، لها دون غيرها أكتب، وأقول إن فاقد الشيء لا يملك إعطاءه، فحياتك اليومية هي في عرفنا سجن مظلم، معاناتك نرفض معايشتها، وحقوقك التي امتلكتها بعد طول عناء تجاوزناها نحن بمراحل عديدة، بفضل من الله سبحانه، ولو وجد فينا نقص وهو أمر ممكن، فلن نسعى إلى علاج يرجعنا إلى الوراء، ويذلنا بعد عز، لن نقبل أن نقف موقع قدمك، لن نقبل أن يكون مظهرنا الخارجي مفتاح قبولنا الاجتماعي، هل نقبل أن يعلن أحد المسؤولين عن التوظيف أن جمال المرأة أهم العناصر التي يجب توفرها في المتقدمة للعمل. هذا ما أعلنه مدير مكاتب التوظيف في نيويورك، فقد قال إن الجمال أهم صفة يجب توفرها في المتقدمات للعمل، معقبًا على ذلك بقوله:«إن كل مهارة أخرى يمكن أن تكتسبها المرأة بمرور الوقت، أما الجمال فإما أن تحصل عليه من البداية، وإما..)!! ولن يفكر أحد خبرائنا في تبرير عمليات تجميل النساء إرضاء لنزوات صاحب العمل، كما صرح أحدهم في بريطانيا عام ١٩٩٨م بقوله:«إن المرأة التي تنفق ألفي جنيه استرليني في عملية تجميل تستثمر أموالها جيدًا، فهي تعرف أنها ستكسب من الوظيفة أضعاف هذا المبلغ»!! ولن نقبل أن نعامل كالقاصرات، فيحجر على ممتلكاتنا الخاصة!! ألم ينص القانون المدني في فرنسا ولعهد قريب «أن القاصرين هم الصبي والمجنون والمرأة»، ألم تكوني ممنوعة في فرنسا بلد الأناقة والعطور من فتح حساب بنكي خاص بك، ألم يبق هذا حالك إلى عام ١٩٦٨م، ألست تعانين إلى اليوم فروقات شاسعة وظالمة من محيطك العملي، ألا تقدّر أمريكا وغيرها من الدول التي تنتهج منهاجها الرجل الذي يملك مؤهلاتك نفسها، ويقوم بعملك نفسه، تقديرًا معنويًا وماديًا يفوقك بكثير، لا لذنب اقترفته يداك، بل لكونك امرأة، لا أكثر ولا أقل!!

أنا يا سيدتي لا أعامل في بلادي كالقاصر، أنا في بلادي لا أجبر على تغيير ملامحي إرضاء لرب العمل، أنا في وطني أنال مقابل عملي كما ينال الرجل الذي يملك مؤهلاتي نفسها، ويقوم بالعمل نفسه. أنا يا سيدتي أعيش عزًا لم تدركيه، ولم تذوقي طعمه، وحسبي أن أستشهد بكلام (كوستاف لوبون) الرجل الذي نال منك الحظوة، ومن قومك التقدير، الرجل الذي تحدث عن موقف الإسلام مني كامرأة، فأنصف الدين الذي تدين به بلادي، وتعيش تحت رايته، ولا نقبل له بدلاً، الدين الذي نأمل أن تدركي بفطنتك سموه وعظمته، فتنصفيه - على أقل تقدير - بدل الهجوم عليه، وعلى هذا الوطن الذي ارتضاه دستورًا، لقد قال (كوستاف لوبون):«إن الإسلام كان ذا تأثير عظيم في حال المرأة في الشرق، والقرآن قد منح المرأة حقوقًا إرثية بأحسن مما في أكثر قوانيننا الأوروبية».

ولأن استقلالك المادي يا سيدتي، أمر جاهدت وقدمت الكثير للحصول على القليل منه، اخترت التوقف معك عندما وصل للنساء السعوديات وغيرهن في المملكة العربية السعودية، الوطن الذي ارتضى الإسلام دستورًا، الوطن الذي لن نقبل له ولدستوره بدلاً.

أميمة أحمد الجلاهمة



إلى د .سعاد الفاتح :

تقلدتُ منصبك.. وكلماتك تنير لي الدرب

كنت أول عميدة لكليتنا عند إنشائها في الرياض عام ١٣٩٠هـ. وكنت حريصة على أن تكون البداية قوية كما قيل لي.

وعندما التحقت بالكلية، أعجبت بتواصلك مع الطالبات ابتداء من حرصك على إجراء المقابلة الشخصية بنفسك لكل طالبة، لمعرفة اهتماماتها ومستوى ثقافتها، ثم متابعتك المستمرة من خلال اللقاءات الفصلية والمواسم الثقافية.

كما أعجبت بحرصك على أن تجمع الطالبة بين العلم والدين وحسن الخلق، وكنت حازمة في غير قسوة، لا تأخذك في الحق لومة لائم.

وما زلت أذكر كلماتك وأنا طالبة في الفرقة الأولى، عن اتباع الهوى ووسوسة الشيطان، أذكر أن ذلك اللقاء كان نقطة تحول في حياتي، تغيرت بعده اهتماماتي ونظرتي إلى الحياة. وعلى الرغم من انتهاء عقدك وعودتك إلى بلادك وأنا ما زلت طالبة في الفرقة الثالثة فإن صدى كلماتك وتوجيهاتك ظل ملازمًا لي طوال سني دراستي.

وبعد حوالي ثلاثة عقود من الزمان، تقلدت المنصب نفسه في الكلية نفسها، واستشعرت عظم الأمانة وضخامة المسؤولية، فكانت كلماتك وتصرفاتك المختزنة في الذاكرة، مشاعل تنير لي الدرب وتساعدني على الوصول إلى الهدف الذي نسعى جميعًا إلى الوصول إليه، وهو النهوض بمستوى الفتاة السعودية، لتحصل على أعلى الشهادات العلمية في ظل شريعتنا السمحة

وفقك الله أينما كنت، وجزاك الله عنا خير الجزاء.

فاطمة محمد العبودي

إلى والدتي . . حصة المعجل :

هل حققت جزءًا من أمنياتك؟

في سن الثالثة والعشرين أصبحتِ أرملة مكلفة برعاية خمسة أطفال صغار لم يتجاوز أكبرهم التاسعة من عمره، في مدينة تبعد عن «الرياض» مئات الكيلو مترات سكن أهلها، بيد أنها فضلت البقاء في مدينتها، وفي المسكن - الذي انتهى زوجها من بنائه ثم رحل - تحتوي صغارها، وتضمهم إلى صدرها، وترعاهم بنفسها دون تدخل من طرف ثان.

الفتاة في زمننا الحالي وفي هذه المرحلة العمرية بالذات لم تفكر بالزواج بعد، أو هي تتهيأ للزواج، قلقة حيال ولوج بوابته، وتحمل مسؤولية الزوج والبيت ومتطلبات الحياة الزوجية.

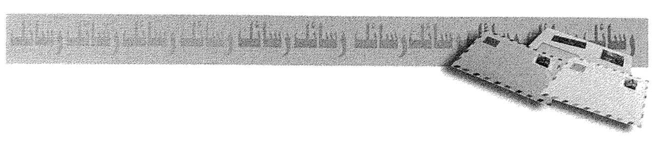
بينما كانت تلك الأرملة في سنها تسهر على رعاية خمسة صغار صاروا الآن رجالاً ونساء تفاخر بالتفافهم حولها بعد أن حققوا لها شيئًا من أمانيها أو هكذا أظن.

فهل حققت لها، أنا ابنتها، جزءًا من أمانيها فيّ؟

والدتي (حصة المعجل) يا من ربيت ثلاث جوار أنا إحداهن، فوجبت لك الجنة كما أخبر بذلك الصادق الأمين، ما مستوى رضاك عني؟ وأنا أتلمس رضا الله من رضاك، وأتطلع لمجازاتك رغم عجزي عن بلوغ المرام، في حين أني أرنو إلى بصيص رضا من نافذة صدرك المشرعة على الدوام.

ما أسعدني بك وأنت تسابقيني في قراءة زاويتي في الجزيرة وتحدثيني بشأنها، وتترقبين موعد صدور باكورة إنتاجي القصصي بلهفة. لإحساسي أن في مسابقتك ولهفتك مساحة رضا عني يطمئن صدري، وأتطلع لأن تتسع مساحة الرضا أكثر فأكثر لأحظى برضا الله، عسى أن أظفر بالجنة وإياك.

هدى فهد المعجل



إلى د .ثريا عبيد :

ننتظر بشغف الإجابة عن هذه الأسئلة

في حياة كل رجل وكل امرأة شخصية يكن لها التقدير والاحترام، ولذلك قمت باختيار شخصية نسائية عالمية أرغب في توجيه رسالة إليها، وهي الدكتورة السعودية (ثريا عبيد)، وكيل الأمين العام للأمم المتحدة (كوفي عنان)، والمدير التنفيذي لصندوق السكان بالأمم المتحدة.

وليس بخاف على أحد المكانة والتقدير اللذان تحظى بهما هذه الشخصية في العالم، خصوصًا في المملكة العربية السعودية.

فالمنصب الذي تتبوؤه الدكتورة ثريا عبيد، يتطلب كفاءة علمية عالية، وخبرة متمرسة لما تتمتع به تلك المنظمة (الأمم المتحدة) من مكانة دولية ولما تؤديه في العالم من أدوار سياسية وإنسانية، إلى جانب ما تؤديه هيئة من أهمّ هيئاتها وهي (اليونسكو) في المجالات الثقافية والاجتماعية على مستوى دول وشعوب العالم.

ولذلك كل امرأة مثقفة وطامحة في العالم لا بد أنها تحمل العديد من الأسئلة لتطرحها على تلك الشخصية العالمية النسائية، ولا سيما المرأة السعودية والمثقفة السعودية على وجه الخصوص التي تفتخر كثيرًا، لكون هذه الشخصية العالمية هي ابنة بلدها (المملكة العربية السعودية).

كما انتهز هذه الفرصة العظيمة والنادرة،

* كيف خطت خطواتها إلى العالمية؟ وهل كان هناك من يدعمها في ذلك؟

* وما أهم الصعوبات التي واجهتها في مشوارها إلى العالمية؟

* كيف يتعامل معها المحيطون بها، على اختلاف جنسياتهم، لكونها امرأة عربية ومسلمة و(سعودية) على وجه الخصوص؟

* هل كانت لأحداث ١١ سبتمبر انعكاسات سلبية عليها، بحكم منصبها وجنسيتها فتعامل بعضهم معها بشيء من الخلط والإساءة؟ أم كان هناك تجاوز لذلك الحدث والتعامل كان بنضج وبموضوعية وعقلانية؟

* ما انطباعها عن المرأة السعودية؟ وماذا ينقصها؟ وماذا تتمنى لها؟

* كيف ترى واقع المرأة السعودية اليوم، خصوصًا في ظل التطورات الأخيرة؟

* كيف تنظر إلى مستقبل المرأة السعودية؟

* بماذا تنصح كل امرأة طموح تتوق إلى العالمية؟

لا شك أن كل امرأة مثقفة وطموح تتوق إلى معرفة الإجابة عن تلك الأسئلة، وتنتظرها بشغف شديد، وكثيرات من خلال ذلك سيتمكن من أن يضعن أقدامهن على أول الطريق إلى العالمية في المستقبل القريب.

لأطرح كل ما يدور في خلدي وفي خلد الكثيرات من أسئلة، على هذه الشخصية التي تعد مثلاً أعلى وقدوة لكل امرأة طموح في المملكة.

لبنى وجدي الطحلاوي



شيء مما قلته عن تعليم الفتاة (١)



محمد بن أحمد الرشيد
وزير التربية والتعليم

من عادتي أن أراجع نفسي فيما أقوله أو أعمله، وأعيد النظر فيه وأعدله إن كان هناك ما يوجب ذلك. ولقد رغبت أن أكرر بعضًا من كلام لي سبق أن تحدثت به عن تعليم الفتاة. ويسرني أن أتلقى آراء القراء الكرام فيما يرونه تعديلاً، أو تنقيحًا أو تسديدًا.

قلت: لقد مضت على بلادنا عصور لم يكن حظ الفتاة فيها من التعليم شيئًا مذكورًا، وكان الاهتمام بالتعليم في مجمله اهتمامًا محدودًا، ولكن النهضة التي هيأ الله للبلاد أسبابها، ووفق ولاة الأمور إلى رعايتها، والبذل في سبيلها، قد أتاحت لنا أن يصبح لدينا مؤسسات علمية وتعليمية راقية، لا تقل عن نظيراتها عند نظرائنا: وأن ننفرد بنظام متكامل لتعليم الفتاة يبدأ من الحضانة وينتهي إلى الدراسات التخصصية العليا التي تحصل الفتاة عند إتمامها على أرقى الدرجات الجامعية العالية.

وإذا كان هذا الواقع الذي نعتز به، ونحمد الله تعالى عليه، قد اقتضى جهدًا كبيرًا، وإبداعًا في التخطيط والتنفيذ، قام به الرواد الأوائل للتعليم - ولتعليم البنات خاصة - فإن الآمال التي نريد بلوغها - بإذن الله - تدعونا إلى إعطاء المزيد من العناية، وبذل الكثير من الجهد حتى تجني الأجيال الصاعدة من بناتنا ونسائنا ثمرات أكثر نضجًا، وأوفى فائدة، وأبقى أثرًا، وأعم نفعًا.

والذين يريدون لهذه البلاد دوام استقرارها، وثبات بنيانها، يدركون تمام الإدراك أننا لا يصلح آخرنا إلا بما صلح به أولنا، وأن معين تعاليم ديننا وسنة نبينا فياض لا ينضب بما يصلح، ويصح أن تقام عليه كل نهضة صحيحة وكل تقدم مشروع.

وليس أغلب الجديد الذي يكتشفه الباحثون والدارسون في الغرب المتقدم، أو في الشرق الآسيوي اللاحق به في مجالات العلم والمعرفة وفي قيم الثقافة والأخلاق، إلا قديمنا الذي تركه جلنا أو كلنا. ولقد طوفت في كثير من أركان الأرض زائرًا للمؤسسات التربوية، ومشاركًا في تقويم كثير منها، ومتعلمًا مما عند أهلها فلم أكد أجد شيئًا جديدًا نافعًا ليس له في تراثنا أصل صحيح، وليس له في ديننا نسب صريح، فأدركت - بل ازددت إدراكًا - وتيقنت - بل ازددت يقينًا - أن تراثنا هو - في الغالب - جديد كل زمان، ومنتهى ما يكتشفه كل مخلص جاد، فجددت دعوة نفسي وإخواني وأخواتي إلى الارتواء منه والغوص في أعماقه واستخراج مكنون دره لنقيم من ذلك - وفق حاجات عصرنا - صرحًا صالحًا لتعليم الفتاة وتربيتها وتثقيفها. والوفاء بهذا المطلب يقتضي أن نحدد حاجات العصر تحديدًا دقيقًا حتى يكون في وسعنا أن نضع خطط بلوغ الآمال من هذا التعليم وأن ننفذها.

وأنا أعتقد أن بغيتنا من تعليم الفتاة، كبغيتنا من تعليم الفتى، يجب أن تكون إصلاح الدنيا وصلاح الآخرة. وإصلاح الدنيا يعني عمارتها كما أمر الله تعالى: ﴿ **وهو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ «هود: ٦١»، وصلاح الآخرة يكون بطاعة الله عز وجل

والوقوف عند معالم الأمر والنهي الربانيين حيثما كان هناك أمر أو نهي، ثم بالاجتهاد لتحقيق الرقي والتقدم البشريين بكل سبيل مشروع أو موافق للشرع. وإذا أردنا أن نطبق هذا النظر على تعليم الفتاة فإنه يجب - في تقديري - أن يتجه إلى تحقيق مهمتين أساسيتين:

أولاهما: تمكينها من رعاية بيتها أو أطفالها أكمل رعاية وأحسنها لتكون جديرة بتحمل مسؤولياتها التي نص عليها حديث رسول الله ﷺ: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»[1].

وثانيهما: تمكينها من إتقان عمل مناسب تمارسه عند الحاجة الفردية أو الأسرية أو المجتمعية، وقد أوصى بذلك رسول الله ﷺ في شأن الجارية المملوكة فقال: «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»[2]، ولا شك أن الشأن في البنت أقوى وأكبر منه في الجارية المملوكة، وإذا كان تعليم الجارية المملوكة مندوبًا بهذا الحديث أو مستحبًا، فإن الندب أو الاستحباب يكون أكبر في ابنة الرجل منه في جاريته.

ولهذه القضية بشقيها معالم أحب أن أذكر منها ما يأتي:

أولاً: أنه يجب أن تستثمر المرأة وقتها كله، وأن تُشجَّع - من خلال برامج تعليمها ومن خلال ما تبثه الوسائل المؤثرة في الإنسان في الإعلام المرئي والمسموع والصحافة وغيرها - على أن تكون عنصرًا منتجًا ومفيدًا للمجتمع، ولا ترضى لنفسها البطالة في أي مرحلة من مراحل حياتها، ولا في أية حالة من حالاتها، وما زاد من وقتها عن حاجة بيتها يُستثمر في عمل نافع، وجهد مفيد لها ولأسرتها ولمجتمعها وأمتها. ويكفي لتصويب هذا النظر قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ «النحل: ٩٧».

ثانيًا: مسؤولية الوالد في النفقة على بناته، والزوج في النفقة على زوجته لا تسقطان بتعليم المرأة عملاً مفيدًا منتجًا فـ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ «النساء: ٣٤». ولكن تعليم المرأة ما تحسن عمله أو صنعه يقوي من كيانها المعنوي وقدرتها على تحمل أعباء الحياة ومشاقها ويعينها - حين تحتاج - على تقلب الأيام وتغير أحوال الحياة.

ثالثًا: يجب أن يتجه تعليم الفتاة - أصلاً وأساسًا - إلى تعليمها ما يعينها على أداء فروض الكفاية النسائية سواء تلك التي هي ألصق باختصاص المرأة - شرعًا أو عرفًا - أم تلك التي هي من اختصاص الرجال، ولكن الظروف الاجتماعية تجبر النساء - في بعض الأوقات - على القيام بها، ويكفي أن أضرب بعض الأمثلة على النوع الأول، فمن ذلك: تعليم النساء، وتطبيب النساء، وتمريض النساء، وحضانة الأطفال الصغار وتعليمهم، ورعاية اليتامى والأحداث المشردين، وغير ذلك من مجالات الخدمة الاجتماعية التي تتقنها وتحسنها النساء أضعاف ما يتقنها الرجال.

رابعًا: يجب علينا ونحن نضع برامج لتعليم الفتاة وتطويرها أن نضع برامج أيضًا لتطوير نظرة المجتمع إلى دور المرأة في تحمل المسؤوليات وبناء الوطن، بحيث نؤكد مبدأ التضامن الاجتماعي في تهيئة الأسباب التي تعين المرأة على الوفاء بمسؤولياتها الأسرية والاجتماعية، وذلك إعمالاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾ «التوبة: ٧١»، ولقول رسول الهدى ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى». متفق عليه[3].

خامسًا: برنامج تعليم الفتاة يجب أن يأخذ في حسبانه أن يكون إعدادها العلمي والعملي لممارسة الأعمال التي تلائم طبيعتها البدنية والنفسية، وتجنبها المنافسة على الأعمال التي يحظرها الشرع عليها أو التي تصان المرأة - لما جبلت عليه من رقة ولطف - عن الاشتغال بها، كالأعمال التي تقتضي جهدًا بدنيًا أو نفسيًا مؤلمًا، أو قسوة وشدة ترهق مشاعرها.

وبعد هذا الحديث فإنه ينبغي أن نضع في أذهاننا الأساسيات التي لا يجوز أن تغيب عنا حين التقويم ثم التطوير والتنفيذ، ومن أهم هذه الأساسيات في نظري الأمور الآتية:

* أقدمت حكومة المملكة - وفقها الله - منذ

زمن على أمر له نتائجه الإيجابية، هو فتح المجال أمام المرأة للتعليم، وما دامت المملكة قد أخذت بالمقدمات فلا بد أن تكون قد استعدت عند ذلك للأخذ بالنتائج الحسنة بإذن الله.

* تقوم سياسة المملكة على أنه لا تراجع في شأن التعليم، بل إن العمل جاد ومستمر في السعي إلى تطويره وتحسين أساليبه، والتخلص من نقاط ضعفه إن وجدت، وجعله عاملاً أساسيًا في التنمية لا عبئًا عليها، وليس من حق أحد أن يفكر الآن في الحد من افتتاح المدارس والمعاهد والجامعات، أو تقليص عددها، أو تحجيم برامجها، بل على الجميع العمل لتوسيع مجالات التخصصات بما يتفق وطبيعة المرأة وميولها.

* لا سبيل للحديث عن تعليم المرأة وتحديثه دون الحديث عن مجال العمل بالنسبة لها، فهل تحقق المرأة عزتها وطموحها من مجرد اكتساب العلم «العلم للعلم»؟ أم أنها تسعى للعلم والعمل به والمساهمة في تنمية المجتمع؟ أم أنها تريدهما معًا؟

وإذا كانت المملكة قد خطت خطوات هائلة في تعليم المرأة من منطلق العلم للعلم في معظم الحالات، أو العمل الذي لا يثور في شأن صلاحية المرأة له أي تساؤل، فإنه يحسن الآن النظر من أفق جديد أوسع وأرحب إلى مسألة عمل المرأة لتحقيق ما يرجى منها من فائدة فردية، واجتماعية، ومع درء ما قد يخشى وقوعه نتيجة لبعض التجاوزات من أمور لم نعتدها في مجتمعنا - وليتذكر إخواننا الخائفون من خروج المرأة للعمل في أدب واحتشام والتزام بتعاليم الدين واجتناب الاختلاط بالرجال - أن بقاء المرأة في فراغ بيتي موحش، لا يمنع من وقوع مفاسد نأسف لها جميعًا، ونكتم أنباءها لئلا تشيع قالة السوء في مجتمعنا، وأن العمل الجاد المثمر قد يقلل من كثير مما يقع ونعرفه ومما لا نعرفه.

* يكون توظيف المرأة في مجالات تصلح للعمل فيها بمؤهلاتها وقدراتها وصلاحيتها مراعيًا طبيعتها وحدودها ولا يكون هناك اختلاط مناف للشرع بسبب العمل.

ومع أن الأولوية لجهد المرأة ووقتها يجب أن يكون لرعاية أطفالها وبيتها، وأن أي عمل تقوم به بجانب ذلك ينبغي ألا يكون فيه ابتذال للمرأة على أي نحو كان، فإن الرأي الذي ينادي بأن المرأة لم تخلق للعمل وأن دورها في الحياة مقصور على قيامها بالأعمال المنزلية رأي لا يقوم على أساس صحيح، لا من الدين ولا من العلم، وهو ينافي الواقع التاريخي للبشرية في مختلف عصورها وأطوارها.

ثم إنه لا سبيل إلى عزل مجتمعنا عن غيره من المجتمعات، إذ تطورت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة تطورًا مذهلاً، وأصبحت ميسرة لكل الناس على مختلف مستوياتهم الثقافية وأعمارهم ومقار سكنهم، ولأن المجتمع يتأثر بكل ما يجري حوله في المجتمعات الأخرى، فإن علينا أن يكون تأثيرنا أفعل، وحجتنا أقوى، ولن يتحقق ذلك إلا بمشاركة رجالنا ونسائنا في عمل هذا التأثير عن اقتناع، وباندفاع، ساعين لإزالة أسباب ما يفسد الصحة النفسية، التي هي الشرط الأساسي لسلامة المجتمع، مشاركين جميعًا في الحياة الاجتماعية السليمة بصورة صحية طبيعية، متعاونين في تحقيق النماء الثقافي والاقتصادي من خلال التوظيف الكامل في مؤسساتنا العامة والخاصة لكل القوى البشرية المؤهلة من مواطني المملكة لتكون كلها مسهمة في الإنتاج والعطاء لخير البلاد.

وليأذن لي القراء أن أقرر أنه لا ينبغي أن يكون في مسلكنا ما يوحي بنقص في ثقتنا بالرجل تجاه المرأة من جهة، أو يوحي بسوء نظرته إليها، إن الحقيقة الكامنة في مشاعرنا وما تفرضه علينا شيمنا فضلاً عما ندين الله به من معتقدنا الإسلامي أن كلاً من الرجل والمرأة يغار أحدهما على الآخر ويحترمه ويوقره.

هذا بعض مما سبق لي الإدلاء به، وللحديث بقية، إن شاء الله، والله الموفق.

المراجع

١- رواه البخاري برقم ٨٩٣، ومسلم برقم ١٨٢٩، وأبو داود برقم ٢٩٢٨، والترمذي برقم ١٧٠٥، وهذا لفظ البخاري.

٢- رواه البخاري برقم ٢٥٤٧، ومسلم ١٥٤.

٣- رواه البخاري برقم ٦٠١١، ومسلم برقم ٢٥٨٩، وهذا لفظ البخاري.

زهيرة عابدين «١٩١٧ - ٢٠٠٢»

الحكيمة.. طبيبة كل الناس

محمد الصاوي - الإسكندرية

يُقبض العلم بموت العلماء، فهل يقبض الخير بموت الأخيار؟ ليت الأمر لا يكون هكذا، غابت عنا أم الأطباء، د.زهيرة عابدين، بلغت الشاطئ الآخر بسلام بعد سباحة في بحار العلم والعمل الخيري، عن عمر بلغ أربعة وثمانين عامًا. فلعلها نالت حظها من قول المصطفى ﷺ : «فعن أبي بكرة أن رجلاً قال يا رسول الله من خير الناس؟ قال من طال عمره وحسن عمله، قال فأي الناس شر؟ قال من طال عمره وساء عمله» (مسند احمد). وهي واحدة من نوادر البشر الذين نالوا الإجماع (نعم الإجماع) على ما حازوه من رفيع الشرف والمجد والسمو الإنساني. ولعل والديها قد نالا نصيبهما الوافر من قول المصطفى ﷺ :«لا يكون لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة» (الترمذي). وقوله ﷺ :«من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» (الترمذي). رحم الله أباها حسين باشا عابدين، الذي أدبها بأدب الإسلام، فنعم التأديب كان.

منذ عقود وقبل أن يشيع بين المرتزقة الكلام عن (تمكين المرأة) عرفنا أنموذجًا للمرأة، مثلاً للذين آمنوا، امرأة تسمى زهيرة عابدين. أرسلها أبوها، خريج الحقوق في فرنسا، وعضو مجلس الشيوخ، إلى مدرسة تضم بداخلها كنيسة، حيث تطلب الراهبات من الأطفال جميعًا تأدية الطقوس، فشعرت الطفلة زهيرة بالانقباض، وقررت ألا تعود إلى تلك المدرسة أبدًا. فأرسلها الوالد إلى مدرسة السَّنية، حيث لم تجد مكانًا للصلاة!! وعندما طلبت زهيرة من ناظرة المدرسة أن يخصص مكان نظيف لأداء الصلاة، اكتشفوا أن إحدى الحجرات المهمة لم تكن سوى مسجد مغلق، فأعادوا إليه دوره ورسالته، تعلمت الفتاة زهيرة كما كانت الفتيات يتعلمن في مطلع القرن العشرين، لكن مسكة من نور فاضت على عقلها، ففاقت مثيلاتها، فتعلمت وعلّمت وأنشأت دورًا للعلم في كل مكان حلّت به.

عندما زارت إندونيسيا سنة ١٩٥٦م راعها تهافت فقراء المسلمين وأثريائهم على دخول مدارس أنشأها المنصرون، برغم الشروط التي يندى لها جبين الأحرار، ويخجل المرء من ذكرها، والأمر في جنوب السودان أدهى وأمر، وعندما زارت الأرجنتين تألمت؛ لأن سبعًا وثلاثين مدرسة إسلامية في سان باولو لم يتبق منها غير مدرستين.

يقول أحد عارفي فضلها: يستحيل أن أحصي المشروعات الخيرية التي أقامتها، أو المؤسسات التي أنشأتها، أو الهيئات التي أدارتها. كم أنشأت من مدارس (نعم بصيغة الجمع)، ومستشفيات، وملاجئ لليتامى، ودورًا للمسنين والعجزة، كثيرًا ما أوصت وشددت الوصية بأن تظل أعمالها الخيرية بعيدة عن الدعاية والأضواء، لدرجة أن اسمها لم يكن شائعًا إلا لدى العاملين في الحقل الطبي. كان شاغلها الأول أن يتقبل الله جهدها لديه في الملأ الأعلى.

زارها أحد الأساتذة وهي على فراش الموت، ففوجئ بها تحدثه في شأن مشروع خيري جديد، وبالروعة قول الرسول الأعظم ﷺ وعلى آله:«عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل» (مسند أحمد). وهي نفسها كانت دائمًا تردد: (لا شيء يستحق العمل من أجله في هذه الحياة الدنيا بعد الفرائض سوى فعل الخير، وتعمير الكون، وخدمة المحتاجين).

زهيرة عابدين قدمت التطبيق العملي لمؤسسة العمل الخيري، بمعنى تنظيم أعمال البر وتفعيلها بوساطة مؤسسات، لئلا يرتبط النشاط بأشخاص يموت بموتهم كل نشاطهم.

كرمتها الحكومة في مصر بجائزة الدولة التقديرية، ووسام الدولة الذهبي، وكرمت اسمها أكاديمية العلوم الاجتماعية في أمريكا، فأنشأت كرسيًا أكاديميًا أطلقت عليه كرسي زهيرة عابدين، وكرمها عارفو قدرها من أطباء مصر، فمنحتها نقابة الأطباء لقب «أم الأطباء»، وهو اللقب الذي نلمح فيه السبق الزمني والسبق إلى العطاء، بما في كلمة الأم من ظلال التضحية والتفاني والإخلاص. صارت أمًا للأطباء بعد أن أثبتت أنها أم حقيقية لحشود من المرضى والضعفاء

والمعوزين. وهي التي ذاقت معنى اليتم بفقد أمها وهي في الثالثة من عمرها. هذه اليتيمة أنجبت من الأبناء أربعة، ثلاثًا من البنات، وابنًا، كلهم قد حصل على الدكتوراه في تخصصه. (ما رأي جنرالات تنظيم النسل؟). أنجاها الله عندما سقط بها المصعد الكهربائي من الطابق السادس. ولم تصبها غير كسور أجبرتها على أن تتكئ على عصا، فعاهدت ربها أن تساعد كل مصاب.

الأولى دائمًا

ولدت في القاهرة في ١٧ من يونيو ١٩١٧م. حصلت على البكالوريا (الثانوية العامة) ١٩٣٦م، وكانت الأولى على مستوى مصر كلها. التحقت بطب القصر العيني، وكانت الطالبة الوحيدة التي تتمسك بزيها الشرعي. وتم تعيينها أول عضو في هيئة تدريس من النساء في كلية الطب. صحبت زوجها في بعثته العلمية إلى لندن، فحصلت بدورها على الزمالة من جامعة لندن، وهي الدرجة التي لا ينالها سوى ١٠٪ من المتقدمين لها. وفي حفل التكريم الذي أقيم في الكلية الطبية الملكية في لندن وجهت السؤال إلى السكرتير العام: «أريد أن تصارحني برأيك الشخصي، أيها أفضل من الناحية المنطقية، ومن الناحية العلمية والطبية.. شرب الخمر أو الامتناع عنه؟ فكان الجواب يا أستاذة: يا ليت لنا حرية الاختيار أو السيطرة الكاملة على أنفسنا».

حصلت على الماجستير والدكتوراه في طب الأطفال، ثم حصلت في جامعة القاهرة على لقب (أستاذ كرسي طب المجتمع)، فلها أكثر من مئة بحث علمي جديد، واعتبرت من مؤسسي علم الطب الاجتماعي في العالم، ورائدته في العالم العربي.

كما كانت أول طبيبة يسمح بتعيينها في هيئة التدريس بالجامعات المصرية، فهي أول طبيبة عربية مسلمة تمنحها كلية الأطباء الملكية في لندن سنة ١٩٤٨م درجة الزمالة، وتكاد تكون الوحيدة. سجل التاريخ الطبي اكتشافها لنوع الميكروب السبحي المسبب لمرض روماتيزم القلب عند الأطفال. مُنحت الدرع الذهبي لكلية طب القصر العيني بمناسبة مرور مئة وخمسين عامًا على تأسيسها. وهي الطبيبة الوحيدة التي نالت الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية من إنجلترا على مستوى العالم كله سنة ١٩٨٠م. وهي العربية المسلمة الوحيدة التي منحت جائزة «إليزابيث نورجال» العالمية من النادي النسائي الدولي ١٩٩٢م باختيار أربع مئة عضو ممثلين لخمسين دولة، لتمنح الجائزة أول مرة لسيدة من خارج أمريكا وأوروبا الغربية، وجاء في حيثيات المنح «إنها أسطورة، بمعنى معجزة، قلما تتكرر».

وهي التي أنشأت مع المؤسسين سنة ١٩٨٦م كلية دبي الطبية للبنات، ووضعت مناهجها، وعكفت على إدارتها عميدة لها سبع سنوات، نالت خلالها تقديرًا عالميًا، وتمسكوا بها عميدة شرفية مدى حياتها، تقول عن اهتمامها بتطوير التعليم الطبي: «في عام ١٩٦٢م دعاني الأستاذ مونكريف الأستاذ في جامعة لندن، ورائد صحة الطفل بها، إلى دراسات عليا أعدها بعض أساتذة طب الأطفال من جامعات مختلفة في آسيا وإفريقيا. وكان موضوع التعليم الطبي في الشرق والغرب ومتطلباته من أول أهداف هذه الدراسات. واستدعت هذه الدراسات أن نجوب البلاد، فمررنا بكليات الطب في شتى بلدان إنجلترا، ولمسنا عن قرب أسلوب التعليم ومناهجه، كما زرنا بعض كليات الطب في إفريقيا وآسيا، كان كل ذلك قبل أن تأخذ هذه المشكلة أبعادًا جديدة في البحث والنقاش على الصعيد العالمي».

عطاء وأمومة

لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل، ومن ذوي الفضل الذين عرفوا قدرها المستشار الدكتور محمد

* الأولى في الثانوية العامة على مستوى مصر عام ١٩٣٦م.
* أول عضو في هيئة التدريس من النساء في كلية الطب.
* لها أكثر من ١٠٠ بحث علمي.
* أول طبيبة عربية مسلمة تمنحها كلية الأطباء الملكية في لندن درجة الزمالة سنة ١٩٤٨م.
* الوحيدة التي منحت الدكتوراه الفخرية في العلوم الطبية من انجلترا على مستوى العالم سنة ١٩٨٠م.

شوقي الفنجري، الذي أذاع شيئًا من فضائل زهيرة عابدين ، لتكون نبراسًا لمن أراد حسن الأسوة. فمما قال عنها: أسست عام ١٩٥٧م جمعية أصدقاء مرضى روماتيزم القلب للأطفال، ومن خلال هذه الجمعية والجهود الذاتية أنشأت عدة مشروعات أذكر منها:

* مركز القلب والروماتيزم بالهرم، ومن خلاله قامت بالتعاون مع وزارة الصحة، بحملة واسعة النطاق لمكافحة مرض روماتيزم القلب، أسفرت خلال عشرين عامًا عن انخفاض نسبة حالات القلب الشديدة الوطأة في مصر من ٥٠٪ إلى أقل من ٤٪، وهو إنجاز نال تقدير العالم أجمع.

* أنشأت معهد صحة الطفل ذا الطوابق العشرة بميدان المساحة بالدقي، وامتلأ هذا المعهد حاليًا بخدمات صحية واجتماعية وثقافية متعددة، بما لا يمكن إعطاؤه حقه من التقدير، إلا من خلال تفقده والوقوف على مختلف أنشطته وخدماته، فهو صرح صحي واجتماعي وثقافي.

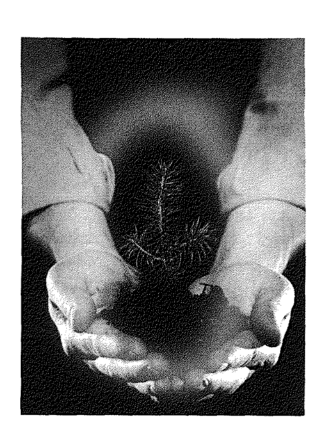
* أنشأت منذ ١٩٦٢م دورًا للطلبة الجامعيين المعوزين والمغتربين، وأخرى للطالبات الجامعيات المغتربات من خارج القاهرة، الهدف منها العناية بالشباب ذكورًا وإناثًا، وذلك صحيًا ونفسيًا وثقافيًا، لتهيئة جيل يحمل رسالة الخير للمجتمع، وقد أتت هذه الدور أكلها بفضل الله؛ فأخرجت أفواجًا من الشباب الواعي المجد في كل مكان بمصر والخارج.

* أنشأت منذ عام ١٩٧٢م مجموعة مدارس الطلائع الإسلامية، ما كان فاتحة المدارس الإسلامية في مصر والخارج، والتي أكدت في لائحتها الأساسية اهتمامها الخاص بالتربية والأخلاق المستمدة من إيمان صادق بالله قوامه الحب والعطاء.

* اهتمت منذ عشر سنوات بمشروع كبير للقطاء اليتامى، فأنشأت في مدينة ٦ أكتوبر صرحًا لإيواء أكثر من مئة طفل، يقدم لهذه الفئات مختلف الخدمات الإنسانية والاجتماعية.

ويضيف الفنجري: ترجع معرفتي بها خلال السنوات العشر الأخيرة من حياتها، إلى استعانتها بي في تحرير عدة وقفيات خيرية لمصلحة استمرارية مؤسساتها، وهذه كلمة وفاء لذكراها العطرة، إذ كان يضايقها، بل وترفض بشدة، أي إشادة بشخصها أو تحية لجهودها، وذلك لأنها ما ابتغت في جميع أعمالها سوى وجه الله وحده، لولا أن إسلامنا يلزمنا ويحتم علينا إعلان العمل الصالح، وتكريم أصحابه ليكونوا قدوة وأسوة طيبة للآخرين.

رحم الله تلك المرأة المسلمة العالمة بالله، وألهم أخواتها



وحفيداتها أن يكنّ أوفياء لنهجها القويم، نهج «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» (من حديث مسلم).

أخشى أن يظن بعض الناس أن هذه السيدة لم تجد ما يملأ فراغ حياتها، كلا! لقد نشرت في المجلات العلمية المتخصصة مئة وعشرين بحثًا (فلينعم المتثائبون بممارسة هواية التثاؤب). وعندما سئلت كيف تدرّس في الجامعة وتكتب بحوثًا علمية وترعى الجمعيات الخيرية وتربى أولادها، وتهتم ببيتها؟! أجابت: «إذا فهم المسلم جيدًا أن كل دقيقة من حياته سيسأل عنها يوم القيامة، ستتحول حياته إلى عمل متواصل».

وهي لم تسع إلى تكريم من أحد، بل إن حكومة بلدها عندما التفتت إليها ومنحتها جائزة الدولة التقديرية، قبلت الجائزة وتبرعت بقيمتها لطلابها المتفوقين. أليس من حق زهيرة عابدين أن تحمل الوسام الشعري:

ونحن أناس لا توسّط بيننا

لنا الصدر دون العالمين أو القبر

دعتها جامعة الملك عبدالعزيز في جدة في الموسم الثقافي سنة ١٣٩٨هـ. فبدأت محاضرتها هناك بالقول:«أقر بأنني لم أحقق ما حققت إلا بدافع من إيماني بالله يدفعني دفعًا، وتعاليم ديني

توجهني، وشحنة من حب ما يرضي الله سبحانه وتعالى تملأ نفسي، فلا فتور ولا يأس لأن الغاية كانت دائمًا ربي، وإظهار فضل الدين الحنيف فضل تراث الآباء والأجداد الذي غفلنا عنه في زماننا هذا فأصبنا بالهزال وغشينا الهوان بعد عزة وكرامة».

وعن رحلاتها الكثيرة حول العالم قالت: «كنت دائمًا حريصة على أن أقرن الجانب الطبي ببحوث استكشافية عن حال الإسلام والمسلمين من سكان هذه البلاد، كنت أيضًا حريصة على تعرف أحوال الشعوب عمومًا واستكشاف أسباب أي نهضة علمية أو ازدهار حضاري». وفي تلك المحاضرة قالت: إن مجموعة من قيم الإسلام تقف وراء التفوق العلمي والاقتصادي في الغرب، منها: العمل الجاد «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، ومنها مراعاة النظام في كل شيء «إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج»، ومنها توحيد الكلمة والصف ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [سورة الأنفال]. فمن أولى بهذه البضاعة؟!

تطوير التعليم الطبي

عندما تصدق النيات يأتي التيسير ويكون التوفيق ﴿إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ [سورة النساء]. وقد هيأ له للخير رجلاً سديد الرأي



صحيح الهمة صادق العزم، صدق فيه قول القائل:

إن كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فإن فساد الرأي أن تترددا

فضيلة الحاج سعيد آل لوتاه من سراة دبي، وسيدة عملت في تعليم الأطباء أربعين عامًا هي الدكتورة زهيرة، وزوجها الدكتور محمد عبدالمنعم أبوالفضل أستاذ الكيمياء الإكلينيكية، تحدثا طويلاً عما يريده الشيخ للتعليم الطبي في بلاد الإسلام، وأنه بصدد تأسيس كلية طب للبنات في دبي. ترددت السيدة قبل أن تشرع في التنفيذ، كانت تثق في رجاحة فكر الشيخ، لكنها عليمة بتفاصيل التخطيط وبمعوقات التنفيذ وبمشكلات الإدارة وبمتطلبات التطوير، فزادت مخاوفها، لكن شاءت إرادة الله أن يولد المشروع مباركًا بفضل إخلاص العاملين عليه.

تولى الشيخ سعيد أمر الإنشاءات، وحملت الدكتورة زهيرة عبء التخطيط للمناهج، وانتقاء أعضاء لهيئة التدريس، من ذوي الكفاءة والكفاية، ونصت على أن أول الأهداف التي تبتغيها الكلية هي: «تربية جيل من المسلمات على الخلق القويم والمبادئ السامية، المستقاة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله القدوة والأسوة. ثم الخدمة لمن يحتاج إليها، خصوصًا النساء، ثم تأهيل الطبيبات المسلمات للمهمة المتوقعة منهن تأهيلاً راقيًا، ليعملن في مرضاة الله ابتغاء أجر العاملين، الذين قال الحق فيهم ﴿**أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى**﴾ [سورة آل عمران]. ونشرًا للعلم الذي فرض الإسلام طلبه على كل مسلم ومسلمة، وأثنى على طائفة من خلقه، فقال: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ [سورة فاطر]. وكانت دبي مكانًا مختارًا لإعفاء الطالبة المسلمة من مخاطر الاغتراب في طلب العلم.

الطب محراب للإيمان

دستور الأخلاق في الإسلام يسع الناس جميعًا، وآداب المهنة من خلال تعاليم الإسلام تشمل الطبيب كما تشمل المصرفي والمعلم والسائق والخادم والصانع والتاجر والسفير والخفير، وكانت الآداب الإسلامية لمهنة واحدة، من مفاخر التعليم الطبي الذي مارسته كلية دبي. وآداب الإسلام تبدأ بإزالة التناقض بين سلوك الطلاب وأساتذتهم وبين مثل الإسلام العليا. يستوي في ذلك السلوك في المعمل والمسجد والمشرحة والمستشفى والشارع والمنتزه. وإن أولى الناس بخشية الله طبيب علّمه الله ما في جسم الآدمي من بدائع خلقه. صحيح أن المجتمع يحتاج من الطبيب علمه الطبي، لكنه بجانب ذلك يحتاج إلى طبيب يتحلى بالرحمة وتقدير المسؤولية إلى حد التضحية أحيانًا، وهذه أمور يجب

ألا تغيب عن مؤسسات إعداد الأطباء. فالطبيب يتخذ قرارات بشأن صحة المريض، وبشأن أسلوب حياته أيضًا، بل إن كثيرًا من قرارات الأطباء ترتكز على خلفية فقهية، فلا يتصور جهل الطبيب بقضايا الفقه بحال. في ميدان التعليم يمكننا أن نستعير من غيرنا المعدات والأجهزة وأساليب الإدارة، لكن يبقى ما لا يمكن استعارته: «فلسفة النظام التعليمي» لأن نقل دم من فصيلة غير متوافقة يعني ببساطة جريمة قتل.

والطبيب كالمعلم قُضي عليهما أن يظلا تلميذين مدى الحياة، فإن تخلفت معلومات الطبيب عن التطورات المستحدثة في مجاله فإن خطرًا جسيمًا يحيق بمرضاه وبمسيرته المهنية كطبيب.

واجهت الدكتورة زهيرة المعادلة الصعبة: الرغبة في الارتقاء بمستوى الخريجات، وفي الوقت نفسه التقليل من سنوات الدراسة الأساسية قبل الحصول على الدرجة العلمية، وكذلك الحد من الامتحانات التحريرية والنظرية. ومع أن مدة الدراسة في كلية دبي الطبية أربع سنوات وتسعة أشهر، فإنها متمشية مع التطور الحديث ومع ما حددته أولى الكليات المتطورة في إنجلترا (كلب طب نوتنجهام). وقد خصصت سنة تدريب بعد ذلك أسوة بالكلية المذكورة. وكانت الدكتورة زهيرة حريصة على استقدام أكثر من أستاذ زائر وممتحن خارجي لتقويم الطالبات.

تحدثت السيدة بلسان عربي مبين في كلمتها في حفل افتتاح كلية دبي الطبية للبنات ١٩٨٧م بصفتها عميد الكلية، وقالت إنها حملت عبء التخطيط والتنفيذ والإدارة، وسعت إلى تلافي عيوب التعليم الطبي في الماضي. لإنشاء كلية طب حديثة. وذكرت ما علّق به أستاذ بريطاني زائر قائلاً: «عجيب أمر هؤلاء الطالبات! لقد لمست راحة نفسية وهدوءًا غريبًا، فمع قرب موعد الامتحانات! لم أجد أي مظهر لخوف أو جزع!». أما عن مستوى التحصيل مقارنًا بالعالم فقال عميد كلية الطب في ليستر ببريطانيا: لقد خططت برامج التعليم الطبي في هذه الكلية بذكاء، بحيث تغطي كل مستلزمات هذا التعليم. وإذا استمرت الكلية على هذه الحال فسوف تتخرج طبيبات يفوق مستواهن نظيراتهن في ليستر، أعرق الكليات الطبية في بريطانيا.

الخبر الموصول

في أبريل ١٩٩٨م أنشأ مجلس أمناء أكاديمية (جامعة) العلوم الإسلامية والاجتماعية - ومقره في ولاية فيرجينيا - قسمًا (كرسيًا أكاديميًا) باسم زهيرة عابدين «أم الأطباء».

وعندما سئلت كيف تدرّس في الجامعة وتكتب بحوثًا علمية وترعى الجمعيات الخيرية وتربى أولادها ، وتهتم ببيتها ؟! أجابت : «إذا فهم المسلم جيدًا أن كل دقيقة من حياته سيسأل عنها يوم القيامة ، ستتحول حياته إلى عمل متواصل»

جاء في حيثيات قرار الإنشاء أنها رائدة الطب الاجتماعي في العالم الإسلامي، وتقوم جهود القسم على فلسفة التناول الحضاري للإسلام، ويتم العمل من خلال مجموعة محاور، منها:

*محور المراجعة الناقدة الاستقصائية للخطاب العربي الحديث والمعاصر بشأن المرأة،

* ومحور الدراسات المسحية النقدية لقضايا المرأة في التراث الإسلامي،

* ومحور الندوات والمؤتمرات، ومحور نشر المطبوعات، ومحور إعداد وتدريب الكوادر البحثية. كل ذلك في إطار مرجعية القرآن الكريم والسنة الثابتة والمقاصد العليا للشريعة والاجتهاد. ولا بد هنا من إشارة إلى أن القسم لا يتلقى دعمًا من أية جهة، سوى وقف خاص به. وتحمل رسالة كرسي زهيرة عابدين وحدتان للدراسة والمتابعة باسم «جمعية دراسات المرأة والحضارة»، أحدهما «رواق زهيرة» في مصر، وله نشرة غير دورية باسم «المرأة والحضارة»، صدر عددها الأول في ربيع سنة ٢٠٠٠م، والآخر «رواق الفهرية» في المغرب.

الابتلاء بالتفاهة

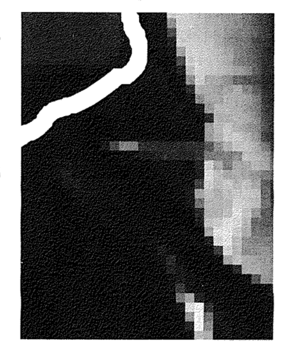
عجب لأناس أحسبهم من العقلاء، يتحدثون عن الإسلام على أنه شيء من الماضي، شيء ينتمي للتاريخ، وما أدري إلام ننسب سيرة أستاذة الطب التي اختارت جوار ربها بعد عامين من بداية القرن الحادي والعشرين؟!

وعجبت لأناس وهبوا أعمارهم لإثبات أن الإسلام مضاد للتمدين، مقاوم للتقدم، معاد للحرية، مؤكد للتخلف، قامع للإبداع، قاهر للمرأة! وعجبي أشد لمن جعلوا غطاء رأس المرأة هو

المبتدأ والمنتهى! ونسأل: أليس من حقوق المرأة حقها في أن ترتدي الزي الذي تراه معبرًا عن هويتها، حافظًا لكرامتها؟ أم أن الكرامة صارت فقط استدرار المعونات والحماية من الغرب؟ ألا يعد من باب تحرير المرأة تحريرها من سطوة تقديس الغرب؟

يتكلم السفهاء بكلام من قبيل: الخروج عن تقاليدنا الهندامية المتعارفة لدى العموم، والبروز بلحاف يكاد يكتسي صبغة الزي الطائفي! المنافي لروح العصر، وسنة التطور السليم والتعبير من خلال ذلك عن سلوك شاذ يتنافى مع ما يفرضه قانون الوظيفة العمومية من واجب التحفظ وعدم التفرد والتميز من عموم المواطنين.. إلى آخر هذا الطنين الذي يشبه نقيق الضفادع. وكأن غطاء النساء رؤوسهن هو السبب في فشل الحكومات في تحقيق التنمية! ويقول السفهاء: «إن الإسلام لا يعترف بالآخر». ويخفون في أنفسهم علمهم بأن الإسلام هو الرسالة الوحيدة التي تعترف بغيرها من الرسالات، وغيرها لا يعترف إلا بنفسه!

زهيرة عابدين تحررت من سجن الدنيا، لكن لم ينقطع عملها، فقد تركت الصدقات الجارية، والعلوم التي ينتفع بها، وآلافًا من الأبناء من تلاميذها وتلميذاتها. «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء».. (من رواية مسلم)



فلمثل هذا فليعمل العاملون.

الطب والمجتمع

الطبيب والمعلم كلاهما يتعامل مع (الإنسان). والمريض ليس مجرد كائن يحمل فيروسًا، إنه (إنسان). وقد ترجع علته إلى فقره أو جهله أو سوء معاملته أو افتقاره إلى السكينة (الإيمان). فليس من الصواب أن يتملص المعالج من جوانب المسؤولية، ويحصرها في تحرير وصفة بمواعيد الحقن، وعدد أقراص المضادات الحيوية مثلاً.

لقد عشت دهرًا لا أعرف للطبيب اسمًا إلا كلمة (الحكيم)، إلى أن شاعت كلمة (دكتور). والحكيم هو من يجمع إلى العلم سعة الأفق وحسن التقدير وشمول النظرة والبراعة في حل المعضلات والانشغال بالقضايا الكبرى. وكانت كلمة حكيم توحي بأن الطب (رسالة) كالتربية. كثير من أمراضنا المتفشية سببها الانحرافات السلوكية، أو انعدام دورات المياه العامة في الشوارع والميادين. (لن أذكر الأغذية المسرطنة، والأسمدة بنكهة الفشل الكلوي، والتهاب الكبد الوبائي، واللحم المستورد الذي تعافه البهائم).

من هنا جعلت الدكتورة زهيرة نصب عينيها المجال الذي ارتبط بها وارتبطت به «الطب الاجتماعي» بلورت زهيرة عابدين عبر مسيرتها السابقة رؤية متكاملة لمفهومي المرض والصحة، بحيث يمكن القول إن رؤيتها للمرض اتسمت بالتكامل، بوضعه في سياقه الاجتماعي والتعليمي والأسري.

من هنا كان سعيها الحميد في المؤسسات التي أقامتها، من المستشفى الخيري ومركز النقاهة والتأهيل والخدمات البيئية (الريفية والحضارية) والمدارس الخاصة، ودور الطلبة والأيتام والمسنات. كما أحيت فقه الأوقاف الخيرية على أعمال البر، بعدما كاد هذا التصرف المالي ينسى في مجتمعنا، فأوقفت من خالص مالها وقفًا لرعاية اليتيم. وأوقفت قبيل وفاتها وقفًا لتعليم أطفال البوسنة والهرسك. ليتنا نكف عن الثرثرة حول التمويل الأجنبي للعمل الأهلي، وننظر في مواريثنا وركائزنا الإيمانية.

شتان بين الإسلام، وبين الذين يريدون للمرأة أن تنسلخ من ثقافة التراحم والتواد. كلامهم عن التمكين للمرأة في التحليل النهائي ليس سوى إثبات حقها في تقاضي أجر مالي، وحقها في الخلع أو التطليق، وحقها في الظهور العلني في المحافل الهلامية، وقبل كل شيء خلع ستر الله عنها. فلتخرس كل ألسنة السوء عن اتهام المسلمة المحتشمة ودليلنا الحي بإمضاء زهيرة عابدين.

النسخ الاحتياطي

منى الخضيري . الرياض

لا يعني النسخ الاحتياطي أن تنسخ حاسبك الشخصي إلى حاسب آخر، بل أن تحافظ على معلوماتك وإعداداتك الشخصية من الضياع في حال حدوث أي أمر طارئ، لا سمح الله.

لبعض الأشخاص، النسخ الاحتياطي أمر ضروري للغاية، وهم يقومون بتجريب كل جديد على شبكة الإنترنت، أو حتى لمعلمي الحاسب الآلي الذين يخسرون الكثير من الوقت عند إعادة تهيئة أجهزة الحاسب في مدارسهم، الآن نرتاح قليلاً ونتبع الخطوات القادمة، ونحفظ جميع إعداداتنا ومعلوماتنا التي نخشى عليها من الضياع في حال استقبال أي فيروس يدمر البيانات، أو حتى بعد العبث بالإعدادات من قبل الطلاب أو الأطفال.

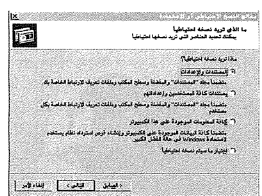
لذا ننصح بعد شراء جهاز حاسب جديد، أو حتى إعادة تهيئة الحاسب القديم، أن نقوم بعمل النسخ الاحتياطي لاستعادة البيانات والإعدادات عند الحاجة، لكي تكون خالية من أي ملفات تجسس أو ملفات تخريبية.

في البداية اذهب إلى قائمة ابدأ واختر جميع البرامج، ثم البرامج الملحقة ثم أدوات النظام، عندها قم باختيار النسخ الاحتياطي.

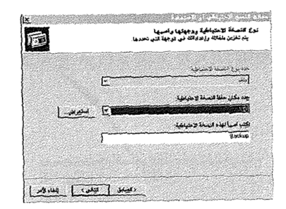
ستظهر رسالة الترحيب، قم بالانتقال للتالي، عندها ستظهر رسالة تسألك إذا ما كنت تريد نسخ الملفات و الإعدادات احتياطيًا، أو استعادة الملفات و الإعدادات، وبما أنها المرة الأولى لنا، نختار نسخ الملفات و الإعدادات وننتقل إلى التالي .



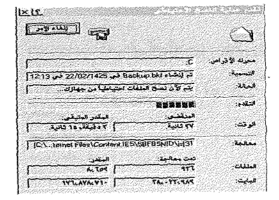
الآن سيقوم النظام بالسؤال عن ماهية الطريقة التي نريد أن ننسخها احتياطيًا، إما المستندات والإعدادات، وتشمل المفضلة والمستندات الخاصة بك فقط، أو جميع مستندات وإعدادات جميع المستخدمين على هذا النظام، أو نسخ جميع المعلومات على الكمبيوتر، أو أن تقوم باختيار البيانات التي تريد نسخها بنفسك.



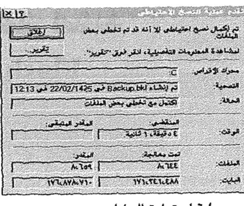
فلنفترض أننا اخترنا الاختيار الأول، ننتقل إلى التالي، والذي سيقوم بسؤالنا عن المكان الذي نريد أن نحفظ فيه هذه البيانات، وعادة ما نقوم بحفظها في مكان آمن كقرص إضافي أو قرص مرن، أيضًا نمنح هذه البيانات اسمًا لتسهيل الوصول إليها لاحقاً.



عندها ستظهر رسالة إكمال معالج النسخ الاحتياطي، ننهي الرسالة لكي نبدأ بالنسخ. ستأخذ العملية عدة دقائق أو تزيد على حسب حجم البيانات التي يتم نسخها.

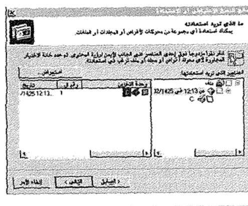


ستظهر بعد انتهاء العملية رسالة تبلغنا بانتهاء عملية النسخ.



عملية استعادة البيانات :

نقوم بالخطوات السابقة من قائمة ابدأ حتى تظهر الرسالة التي تسألنا، إذا ما كنا نريد عمل نسخ احتياطي أو استعادة البيانات، بالطبع نختار استعادة البيانات، ونحدد موقع الملف في الجهاز عن طريق الاستعراض و نبدأ بالاستعادة.



أفكار و حيل

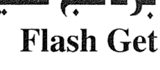
إلغاء رسائل التبليغ عن الاخطاء

لمستخدمي ويندوز XPبالتأكيد قد تمر عليهم رسائل تسأل إذا ما كانوا يريدون إرسال رسالة تبليغ إلى مايكروسوفت للإعلام بالأخطاء التي تواجههم مع البرامج التي يستخدمونها، لإيقافها اتبع الخطوات التالية:

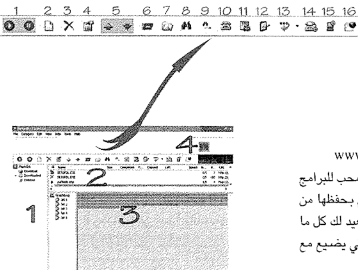
- اتجه إلى ابدأ.
- وقم باختيار لوحة التحكم.
- عندها قم باختيار النظام.
- خيارات متقدمة.
- الإعلام عن الأخطاء.
- تعطيل الإعلام عن الأخطاء، ويفضل ترك خيار الإعلام في حال حدوث أخطاء فادحة.



برنامج مفيد



Flash Get



النسخة : ١.٦٠

الحجم : ١.٧٣ ميغا

موقع التحميل: www.amazesoft.com

برنامج يجب ألا يخلو منه جهاز أي محب للبرامج والإنترنت، حيث يحمي البيانات التي نقوم بحفظها من الإنترنت في حال انقطاع الاتصال، فهو يعيد لك كل ما فقدته بعكس طريقة التحميل اليدوية التي يضيع مع انقطاع الخط جميع ما بدأت بتحميله.

عند رغبتك في تحميل أي ملف من الإنترنت، خصوصًا الملفات ذات الحجم الكبير، وتخشى أن ينقطع اتصالك بالإنترنت، ويتوقف التحميل و تضطر إلى إعادة التحميل من البداية، قم بتحميل هذا البرنامج الرائع واستخدمه لتحميل ملفاتك بأمان، بحيث يمكنك قطع الاتصال في أي وقت والعودة للتحميل من نقطة التوقف بشكل آمن حتى ولو بعد مرور وقت طويل.

عند الرغبة في تحميل أي ملف بوساطة البرنامج فقط قم بالضغط على رابط التحميل، وسيعمل البرنامج على تحميله تلقائيًا ويضعه في مجلد خاص به في /:C Downloads يمكن الرجوع إليه في أي وقت عن طريق اختيار المهام Jobs اختيار فتح الدليل الذي تم التخزين فيه، وسيفتح لك المجلد وبه جميع ملفاتك التي قمت بتحميلها سابقًا.

إن لم يعمل البرنامج أو حدثت مشكلة في رفض التحميل فقم بالتأكد من تثبيت البروكسي الخاص بمقدم الإنترنت لديك، وذلك عن طريق أدوات Tools ثم خيارات Options وتثبيت البروكسي.

عند الانتهاء من التحميل ستتغير النافذة الصغيرة التي تظهر على الشاشة إلى شعار البرنامج لتوضح أنه تم الانتهاء من التحميل بنجاح.

وهنا شرح بسيط لواجهة البرنامج :

* يوجد في الخانة (١) الملفات الجاري تحميلها، بالإضافة إلى الملفات المحذوفة والملفات التي تم تنزيلها على الجهاز.

* وفي الخانة (٢) الملفات التي يتم تحميلها حاليًا أو حتى التي قمت بإيقافها ومعلومات عنها من سرعة التحميل وعنوانها والوقت المستغرق وغيرها.

* الخانة (٣)عداد التحميل.

* نافذة صغيرة تظهر على الشاشة تبين تسلسل تحميل كل ملف بالنسبة المئوية.

أما بالنسبة إلى الخيارات الموجودة لدينا في واجهة البرنامج كالتالي:

* بدء أو إيقاف التحميل.
* تحميل ملف جديد.
* حذف.
* خصائص الملف الذي يتم تحميله وموقعه على الشبكة، والدليل الذي سيتم التحميل إليه على الجهاز.
* تحريك الملفات للأعلى والأسفل.
* فتح الملفات التي انتهى تحميلها.
* للانتقال المباشر إلى الدليل الذي يتم التحميل إليه.
* بحث.
* إعادة البحث.
* خصائص شبكة الاتصال.
* الخصائص الافتراضية للتحميل.
* خيارات منها البروكسي وتوقيت التحميل و غيرها.
* التقييد بحدود السرعة وهي للذين لا يرغبون في أن يستهلك البرنامج في التحميل الكثير من طاقة الجهاز.
* عند الضغط على الزر (٤) سيتم قطع الاتصال بالإنترنت عند الانتهاء من التحميل، وهي مفيدة للذين يبتعدون عن أجهزتهم خلال التحميل.
* إغلاق الجهاز عند انتهاء التحميل.
* مستكشف المواقع التابع للبرنامج.

كذلك نحب أن نوضح أن البرنامج يدعم عدة لغات، ويمكن تفعيل الأصوات التنبيهية عند حدوث مشكلة في التحميل أو انتهاء التحميل.

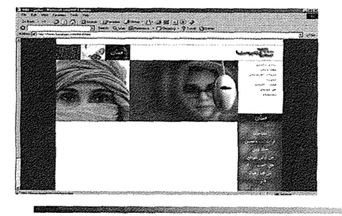
مواقع مميزة



بوابة المرأة

www.womengateway.com

موقع عربي يهتم بالمرأة العربية وهمومها، يستحق الزيارة للاطلاع على آخر المستجدات التي تهم المرأة.■



بناتين

www.banateen.com

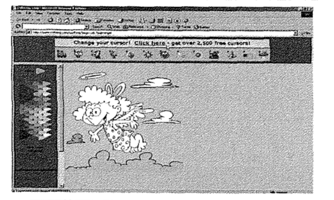
موقع خاص بالفتيات مقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: عقلك، وروحك وجسمك.■



PC magazine

www.pcmag-arabia.com

النسخة الإلكترونية من مجلة الكمبيوتر الشهيرة، النسخة العربية منها، يمكن الاستفادة من المواضيع المطروحة بها.■



تلوين

www.coloring.com

موقع للتلوين على الشبكة، يساعد الأطفال على تنمية مواهبهم، مع إمكانية طباعة الصور والتلوين بأقلام الألوان الحقيقية، يفيد معلمة التربية الفنية.■

هل المناهج التعليمية قادرة على حل الصراع العربي الإسرائيلي؟

المصدر : مجلة أرابين بيزنس . مايو ٢٠٠٤م
الكاتب : جون أريش
ترجمة : أحمد أبو زيد محمد

يستمر الصراع في الأرض المقدسة على أشده في ظل عدم وجود حل سياسي في الأفق. ومع ذلك، تحاول جماعة من المعلمين الفلسطينيين والإسرائيليين أن يغيروا المواقف التقليدية للطرفين من خلال التعليم، فهل يكتب لهذه التجربة النجاح؟!

في أثناء سيره بمدينة بيت جالا بالضفة الغربية في فلسطين تساءل أيمن، سائق التاكسي البالغ من العمر ٤٥ عامًا، بمنتهى الفضول عن السبب الذي جعل آخر ركابه يطلب منه توصيله إلى إحدى المدارس المسيحية بالمنطقة، خصوصًا أنها تقع في حارة رثة تشرف على موقع سياحي شهير في بيت لحم. وتقع مدرسة «تاليثاكومي» في منطقة مكتظة بالمباني، ورغم أن مظاهر الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي الدائر تختفي أحيانًا، إلا أن شوارع المدينة تتزين بين حين وآخر بعبارات تذكر بالاحتلال الإسرائيلي مثل «الاحتلال يقتل».

وتعتبر منطقة بيت جالا من الأماكن التي تثير فضول المرء واستغرابه. فمن جانب هي منطقة فلسطينية، ومن جانب آخر، غالبية سكانها من العرب المسيحيين. وقد كانت المنطقة هادئة ومسالمة نسبيًا حتى وقع حصار كنيسة المهد في عام ٢٠٠٢م. وسرعان ما وقعت المنطقة في خضم الصراع بين المقاتلين الفلسطينيين والجيش الإسرائيلي المصمم على حماية شعبه مهما كانت قسوة الوسائل المستخدمة.

في ظل هذه الأجواء، لم يكن مفاجئًا إلى حد ما أن نرى الجذور والأسس التي أدت إلى قيام تقارب تعليمي بين الطرفين الكائنين في هذه المدينة. فمنذ عام ٢٠٠٢م، أصبحت مدرسة «تاليثاكومي» واحدة من ست مدارس فلسطينية وواحدة من ست مدارس إسرائيلية تستخدم كتابًا تاريخيًا جديدًا يدعم المنهج الذي يتم تدريسه. يقول فالهيلم جول، المدير الألماني للمدرسة: «بعد توقيع اتفاقيات أوسلو، كان هناك أمل في تحقيق السلام، فأسسنا في عام ١٩٩٨م اتصالاً بيننا وبين معهد الشرق الأوسط لأبحاث السلام بهدف تدريس طلابنا التاريخ الإسرائيلي على أن يتعلم الطلاب الإسرائيليون أيضًا التاريخ الفلسطيني».

وحسبما يذكر فالهيلم جول، فإن إصدار الكتاب كان في حد ذاته بمنزلة معركة. فالمعلمون من كلا الجانبين عبروا بجدة وصرامة عن وجهات نظرهم التي كشفت عن الهوة القائمة بين المنظورين. وفي النهاية، وبالتحديد في عام ٢٠٠٢م، تم طباعة الخمسين صفحة الأولى من الكتاب، والتي حملت عنوانًا مفاده: «تعلم الرواية التاريخية للقضية من وجهة نظر كلا الطرفين»، وصور هذا الجزء باللغات العربية والعبرية والإنجليزية.

وقسمت كل صفحة من صفحات الكتاب بشكل أنيق إلى قسمين يتضمنان الرواية الإسرائيلية والفلسطينية المتعلقة باللحظات الحرجة والحاسمة منذ صدور وعد بلفور حتى قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨م. وبمقدور الطلاب أيضًا أن يضبطوا تعليقاتهم في سطور قليلة في وسط الصفحة.

وسواء أكان الأمر يتعلق بالاستقلال الإسرائيلي أم بالنكبة الفلسطينية، فإن الطلاب، الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ عامًا و١٥ عامًا، يستطيعون أن يكتشفوا بأنفسهم ما الذي درسه لهم كل مجتمع طوال سنين. ويضيف السيد جول: «على الرغم من وجود بعض علامات الاستفهام على نص الكتاب، فإن مجرد إصداره في المناخ الحالي يعتبر بمنزلة انتصار كبير. وإذا لم يكن السياسيون قادرين على التوصل إلى حل النزاع، فإنني أعتقد أن التوصل إلى حسم حقيقي للصراع يمكن أن

يتم فقط إذا نجحت في جمع الشعبين معًا، وبينت لهم منذ الصغر وجهة نظر الطرف الآخر».

ويلقي الكتاب الضوء على حجم التباين والاختلاف القائم بين الطرفين. ولنأخذ مثلاً وجهتي النظر المتعلقتين بإعلان بلفور. يصف المنظور الإسرائيلي الإعلان بأنه قضية جانبية تافهة في جوانب عديدة. «ففي ذروة الحرب العالمية الأولى، حاولت بريطانيا أن تحظى بمساندة لجهودها الحربية من قبل المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة واليهود في روسيا، فصدر وعد بلفور بهدف كسب التأييد اليهودي».

في الوقت نفسه، نجد المنظور الفلسطيني - في الكتاب - لإعلان بلفور أكثر صراحة ومباشرة، حيث يصور المسألة على أنها تحرك انتهازي من قبل الجانب اليهودي. «ويعتبر وعد بلفور مكسبًا سياسيًا للحركة الصهيونية على حساب العرب والمسلمين، الذين يملكون أصلاً الأرض المقدسة».

وتجلس سالة، البالغة من العمر ١٤ عامًا، في منتهى الانتباه واليقظة، في الوقت الذي تستعرض مدرستها بعض فقرات الكتاب.

ويعتبر الكتاب المذكور مجرد كتاب إضافي للمنهج الذي يتم تدريسه أصلاً للطلاب. وحتى عام ٢٠٠٠م، كان منهج الفلسطينيين يعتمد تمامًا على الكتب الدراسية الأردنية وذلك في الصفة الغربية، ويعتمد على الكتب الدراسية المصرية في قطاع غزة، وحينما سألنا سالة عن رأيها في الكتب الدراسية، أظهرت حماسًا حذرًا في الإجابة. ففي الوقت الذي ذكرت أنها تشعر بأن الكتب الجديدة تساعدها على فهم أكبر لما يدور في ذهن وتفكير الإسرائيليين، عبرت عن قناعاتها بأن الأمر قد تأخر كثيرًا إلى حد أنه أصبح عديم الجدوى الآن. «فالحرب ماثلة أمام أعيننا كل يوم دون تغيير، فما الذي يمكن أن يعلمه لنا كتاب تاريخ في النهاية؟»».

ومن الطبيعي أن مشروعًا يلمس مشاعر جيل المستقبل في المنطقة سيواجه قدرًا شديدًا من التدقيق وإنعام النظر فيه. ففي الوقت الذي يحاول فيه المشروع النظر إلى جانبي القضية، تظل هناك وجهات نظر أخرى داخل كل مجتمع. ووفقًا لما ذكره أحد منسقي المشروع، ويدعى سامي عدوان، فإن الروايات المذكورة في الكتاب ليست موجهة لتعكس طبيعة المجتمعات ذاتها للطلاب. والكتاب لا يسد الهوة القائمة، وإنما يهيئ الفرصة فقط لفهم مصدر رأي الطرف الآخر الذي يستقي منه قناعاته. ويضيف عدوان: «بعض الناس ذكروا أن روايتنا للأحداث صحيحة، بينما رأى آخرون أنها مليئة بالدعاية، لكنها على الأقل تفتح عقول وأذهان الناس للتفكير».

وقد طغت المعركة على الأيديولوجية على كتب المدارس الثانوية في كلا المجتمعين فمنذ عام ٢٠٠٠م، حاولت السلطة الفلسطينية تدريجيًا وقف استخدام الكتب الدراسية المصرية والأردنية واستبدلت بها كتبًا ذات مسحة فلسطينية. وجاءت هذه الدعوات بعد سنوات من النقد من جانب إسرائيل، حيث ذكرت أن الكتب الدراسية التي يستخدمها الفلسطينيون تحرص على معاداة السامية والكراهية والعنف.

وحتى كتب التربية الوطنية الجديدة تواجه أيضًا الانتقاد من قبل إسرائيل، حيث عجزت خريطة المنطقة - في كتاب - عن ذكر إسرائيل، بينما ذكرت أن عاصمة فلسطين هي القدس. وتتميز أي إشارة لإسرائيل بالغموض والضبابية. وفي الوقت الذي يذكر المعلمون الفلسطينيون أن هناك حاجة إلى أن تغرس هذه الكتب مفهوم الاعتزاز الوطني (القومي) في أطفال المستقبل، نجد المعتدلين والمحافظين الإسرائيليين على حد سواء يقفون صفًا واحدًا في مواجهة ومعارضة هذه الأفكار في الكتب الدراسية الفلسطينية.

وقد أصدر يوسي بيلين، مهندس اتفاقيات جنيف الأخيرة للسلام بيانًا وصف فيه الكتب الدراسية بـ«غير المناسبة» ، إلا أن وزير التعليم السابق المعتدل، يوسي ساريد، أحد المناصرين لتبني موقف أقل صهيونية في الكتب الدراسية الإسرائيلية، رفض التعليق على القضية. وهنا تكمن المشكلة، ففي الوقت الذي يتواصل انتشار هذه الكتب الدراسية، تواجه كتب السرد التاريخي الجديدة، التي تحاول إظهار جانبي الصورة، ضغطًا سيئًا.

وقد صرح أحد أعضاء حزب شاس للصحفيين قائلاً: «لا أعتقد أننا ملزمون بدعم أي جهة ترغب في قتلنا، وهو وبالضبط ما ترغب السلطة الفلسطينية في

تحقيقه. لماذا يضطر أطفالنا إلى قراءة الأكاذيب الفلسطينية؟».

والحقيقة أنه قبل وصول أرئيل شارون، رئيس وزراء إسرائيل الحالي، إلى السلطة، كانت هناك رؤية معتدلة وعالمية للتاريخ الإقليمي بدأت تزحف وتتسلل إلى المناهج الإسرائيلية، بل إن الأدب الفلسطيني بدأ يظهر في كتب النصوص الإسرائيلية، وكان أحد الأمثلة لذلك ممثلاً في شعر الشاعر الفلسطيني محمود درويش. إلا أنه مع تولي وزير التعليم الحالي، ليموت ليفنور، منصبه، انقلبت هذه السياسة. فأحكم الزمام على الاثنتي عشرة مدرسة المشتركة في المشروع التاريخي الثنائي السرد، ورغم عدم معارضة أي وزارة للتعليم لاستخدام كتاب معهد الشرق الأوسط لأبحاث السلام، فإن أيًا منها لم يصادق على استخدامها.

وقد فرض حجاب من السرية على المدرسين الإسرائيليين والفلسطينيين الذين يدرسون في الـ١٢ مدرسة المشتركة. وعلى جانبي الجدار العازل، دفعت التوترات المعلمين إلى الانزواء، وذلك في ظل تحذير الوزارتين في كلا الجانبين من تدريس هذه الكتب.

وزعم أحد المعلمين الإسرائيليين، الذي اشترط عدم الكشف عن اسمه، أنه في الوقت الذي ساعدت تلك الكتب على زيادة الوعي بوجهات نظر كل طرف، كان الطلاب لا يوافقون عليها غالبًا، أو لا يبدون بمنتهى البساطة أي اهتمام بالاستماع إلى الجانب الآخر من القصة. ويتفق مدير مدرسة تاليثا كومي، السيد جول، مع هذا الرأي، لقناعته بأن سنوات الريبة والشك بين الطرفين لن تختفي بين ليلة وضحاها.

ويضيف جول قائلاً: «إن كلا الطرفين يساندان وجهات نظرهما، وأستطيع أن أتفهم هذا الموقف، حيث إن ذلك هو التصرف الطبيعي الذي تفعله في وقت الصراع. وقد كانت هناك قصة مشابهة لذلك في ألمانيا، حيث لم ندخل التاريخ الألماني ـ الفرنسي في منتصف الخمسينيات والستينيات إلا بعد مضي عشرة إلى عشرين عامًا من نهاية الحرب العالمية الثانية».

ومع ذلك، يظل الأمل قائمًا. ورغم أن المرء قد يتوقع السلبية العلنية من جانب أولياء الأمور تجاه الأمر، فإن السيد جول والمعلم الإسرائيلي يتفقان على أن الجيل الأكبر كان متسمًا بالبرجماتية (الواقعية العملية) في هذه القضية. وقد صرح أحد الآباء في أثناء انتظاره خارج مدرسة تاليثاكومي لابنه الطالب البالغ من العمر ٨ سنوات، قائلاً: «آمل أن يكون هناك نهاية للصراع، لكن هذا الأمر لن يتحقق في زمني. لكن بالنسبة لأطفالي، ما زال هناك أمل أن يشهدوا نهاية لهذا الصراع، ولكي يتحقق هذا، لا بد من أن نتفهم وجهة النظر الأخرى، وإذا كان في هذا دعم لبرنامج المدرسة، فليكن».

وبوجه عام، من الواضح أن الانتفاضة الجارية، وتصميم إسرائيل على شطر المجتمعين ـ ببناء الجدار العازل ـ لحماية نفسها لن يؤدي إلا إلى مزيد من التوجس والحذر على أقل تقدير. ورغم ذلك، فإن إطلاق كتاب ثان لمعهد الشرق الأوسط لأبحاث السلام في نهاية شهر مارس قد يكون ـ على حد قول سائق التاكسي أيمن في أثناء خروجه من بيت جالا ـ أمرًا طيبًا، وجيدًا للغاية، لكن المهمة أيضًا صعبة للغاية. ■



ندوة العولمة وأولويات التربية :

النظم التربوية العربية تتفاعل مع العولمة ولكن.. مظهرياً!

محمد سالم *- الرياض



عقدت في رحاب جامعة الملك سعود، وبتنظيم من كلية التربية ندوة (العولمة وأولويات التربية)، في مطلع الشهر الماضي برعاية وزير التعليم العالي د . خالد بن محمد العنقري، وبحضور مدير الجامعة. وقد بلغت الأعمال المقدمة للندوة أكثر من ثمانين بحثًا وورقة عمل، عُرض منها أربعة وأربعون بحثًا وورقة عمل، خلال ثماني جلسات، إضافة إلى حلقة نقاش حول (الأولويات التربوية في عصر العولمة) شارك فيها الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، و د.حمود بن عبدالعزيز البدر، أمين عام مجلس الشورى، والشيخ د.عبدالله بن صالح العبيد، رئيس اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان، و د.صالح بن سليمان الوهيبي، أمين عام الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وأدار هذه الحلقة د.عبدالله بن محمد الفيصل، مدير جامعة الملك سعود. ثم عقدت جلسة ختامية تضمنت عرض التقرير النهائي والتوصيات .

وقد شارك في فعاليات الندوة أساتذة الجامعات والمهتمون بقضايا التعليم من داخل المملكة العربية السعودية، ومن خارجها، كما شارك فيها عمداء كليات التربية في الوطن العربي الذين جاؤوا للمشاركة في الاجتماع السادس للعمداء الذي استضافته جامعة الملك سعود . التقرير التالي يلقي الضوء على ما قُدم من بحوث ودراسات وأوراق عمل . وما أمكن استنتاجه مما قدم .

* كلية التربية - جامعة الملك سعود .

العولمة ومشكلة التربية في العالم الإسلامي بين الصورة التضليلية لمشروع الانبعاث الحضاري وحقيقة قهر الآخر

د.علي براجل

يتناول هذا البحث المعركة الحضارية المعقدة التي يعيشها العالم العربي والإسلامي في ظل واقع حضاري ملتهب بنيران أسلحة الصراع الأيديولوجي والتطوير التقني. ويسلط الضوء على حقيقة(العولمة) وما تخفيها من أضرار ومخاطر في محاولة لتفريغ العالم الإسلامي من مضمونه. ويتناول البحث خطورة الوضع الذي يتمثل في جعل المنظومات التربوية للدول العربية المقترضة تابعة أو فروعًا لمؤسسات التعليم الغربي. فعن طريق ضغوط هذه المؤسسات وشروطها تفرض أولويات التطوير التربوي دون مراعاة لذاتية مجتمعاتنا أو الخصوصية أو الهوية. ويقدم البحث تصورًا لجعل التربية أداة قوية لترسيخ الوعي لبناء نظام تربوي قوي ينافس المنظومات التربوية العالمية في ظل التطور الحضاري والتقني.

نحو منظور جديد لدعم الأخلاق في الفكر الإسلامي المعاصر في ظل العولمة

أ.د. عبدالمجيد عمراني

تحاول هذه الدراسة مناقشة التصورات والتنبؤات المستقبلية نحو منظور جديد للتوافق بين الأخلاق الدينية وفكرة العولمة، وتطرح الدراسة عددًا من الأسئلة للنقاش في ثلاث نقاط: حول إذا ما كانت الحضارة الغربية هي التي فرضت علينا فكرة العولمة، وإذا كان ذلك كذلك فإن الأخلاق ستصبح معولمة في المستقبل أو ستبقى محل دعوة إلى عالميتها. ثم من الذين سيقودون الأخلاق المعاصرة في الحضارات مستقبلاً. وما المنهج الإيجابي البديل أخلاقيًا الذي ندعو إليه ؟ وأخيرًا تناقش الدراسة مصير الأخلاق الإسلامية في ظل العولمة الجديدة، وتصور الآخرين لأخلاقنا الإسلامية. وتؤكد الدراسة أن العولمة مفروضة على المجتمعات البشرية، ولهذا تدفعنا إيجابياتها إلى التنبؤ المستقبلي بعولمة الأخلاق الدينية وبداية التاريخ الجديد لفلسفة الأخلاق، والعالمية الجديدة المبنية على مناهج موضوعية أساسها المعاملة والتفاهم بين الشعوب.

حفظ الهوية الإسلامية ونشرها في ظل العولمة . . . رؤية تأصيلية في ضوء الكتاب والسنة

د.محمد البشير

يعالج هذا البحث قضية حفظ الهوية الإسلامية ونشرها في ظل العولمة، فتطرق إلى بيان مفهوم الهوية والعولمة، وجوانبها العلمية والعملية، وحقيقة العلاقة بينهما التي تتسم بالتأثير والتأثر، ثم انتقل إلى بيان خصائص الهوية الإسلامية التي تميزها عن الهوية السماوية المحرفة والهويات الأرضية، وأثبت بعد ذلك الآثار الحضارية المتعددة التي سجلها التاريخ الإنساني للدين الإسلامي في ظل التمسك بهذه الخصائص. وقد توصل البحث إلى ضرورة صياغة مشروع لحفظ الهوية الإسلامية والتعريف بها في ظل العولمة، ويبدأ ذلك بإصلاح دور وسائل التربية التي تتمثل في البيت والمدرسة والمسجد والمجتمع، وتضافر الجهود المختلفة لتحقيق تلك الأهداف.

فلسفة التربية في عصر العولمة (قراءة نظرية من منظور إسلامي)

د. إبراهيم شوقار

يتعرض هذا البحث بمنهج تحليلي، للتحديات التربوية في هذا العصر من خلال فلسفة التربية في عصر العولمة، وقد تم عرض ومناقشة الموضوع من خلال أربعة محاور أساسية: في المحور الأول اشتمل على موضوع العولمة والتفاعل الاجتماعي بين الشعوب مؤكدًا أن العولمة لا محالة قادمة. وفي المحور الثاني يتعرض البحث لمفهوم التربية ومهمتها في الإسلام. أما المحور الثالث فقد عالج جانبين: جانب يتعلق بأبعاد العولمة وأثرها على التربية في العالم الإسلامي. والجانب الثاني يتناول العناصر التي تشكل العولمة. وفي المحور الرابع والأخير يتناول البحث مقومات فلسفة التربية في عصر العولمة حيث تم النظر إلى هذه المقومات من منظور عقدي، ومن منظور أخلاقي قيمي، ومن منظور علمي معرفي، ومن منظور اجتماعي.

التربية الخلقية بين الإسلام والعولمة

د. سليمان بن قاسم العيد

بينت الدراسة أن الإسلام عني بالتربية الخلقية عناية شديدة باعتبارها جزءًا من هوية الأمة، وقدمت أحاديث نبوية وآيات قرآنية تدل على عناية الإسلام بالتربية الخلقية. ثم بينت هدف العولمة من التربية الخلقية حيث تعد الفرد ليعيش مع غيره ويستمتع بهذه الحياة الدنيا فقط على عكس التربية الخلقية الإسلامية التي تهدف إلى ما هو أبعد من ذلك. ثم قدمت الدراسة لمعوقات التربية الخلقية، والتي منها وجود قواعد وضوابط تنظم تلك الأخلاق، ومنها الدوافع والموانع، والقدوة الخلقية المثلى، والتي تتمثل

في شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، مضافًا إلى تلك المقومات التي تناولتها الدراسة موافقتها الفطرة البشرية. وتخلص الدراسة إلى أن التربية الخلقية الإسلامية تمتلك المقومات العالمية والأهداف السامية وإذا أدرك المسلمون ذلك كانوا دعاة بأخلاقهم قبل أن يكونوا دعاة بأقوالهم.

العولمة الثقافية وأثرها على الهوية

د.خالد بن عبدالله القاسم

حاولت هذه الدراسة الإجابة عن عدة أسئلة حول: العولمة، والهوية، والآثار السلبية للعولمة على الهوية وعما إذا كان لها آثار إيجابية على الهوية، ثم قدمت تصورًا لسبل التعامل مع العولمة بما يحفظ الهوية، وكذلك سبل الاستفادة من العولمة للحفاظ على الهوية. وخلصت الدراسة إلى ضرورة الانفتاح على الآخرين والاستفادة من فرص العولمة والتقدم العلمي والتقني، وتطور ثقافتنا وتحسين أوضاعنا. إضافة إلى تطوير مشروع الإسلام الحضاري المتكامل، وإعادة بناء الوحدة الإسلامية على أساس شرع الله تعالى، وإعادة بناء وصياغة النظم التعليمية والتعاون ما بين الدول العربية والإسلامية في مجال التعليم وذلك من أجل التحصينات الثقافية لأمتنا الإسلامية.

التعامل الإسلامي للتربية الفنية مع العولمة

د.غادة مصطفى إسماعيل

يهدف البحث إلى إيضاح دور التربية الفنية الإسلامية في التواصل الثقافي العولمي، والكشف عن كيفية مجابهة التغير الثقافي للمجتمع من خلال إحدى مؤسساته الاجتماعية، والكشف عن دور الفنون الإسلامية ومحتواها الحضاري في تحديد هوية اجتماعية تجابه التغير الثقافي العولمي. وقد جاءت نتائج البحث مؤكدة ضرورة الاهتمام بالجانبين: المقصود وغير المقصود في التعامل التربوي لتواصل الأخلاقيات الإسلامية من خلال الأنشطة الفنية المختلفة، باعتبار التواصل الثقافي الإعلامي جزءًا لا يتجزأ من التربية الأخلاقية الحديثة في عصر العولمة، فيمكن أن تجابه التربية الفنية المقصودة أو النظامية - إلى حد ما - ما يسود المجتمع من تواصل أخلاقي مغترب عن الحضارة الإسلامية من خلال الاهتمام بالقيم الأخلاقية الإسلامية كتواصل حضاري بشكل أكبر في عصر اغترابي من خلال الأنشطة، ومؤكدة على أن للأخلاق التربوية الإسلامية دورًا إيجابيًا في صياغة تربية فنية حديثة قادرة على مجابهة سلبيات العولمة.

العولمة واليات تطوير المناهج . وانعكاساتها على طرق وأساليب التدريس - اتجاهات جديدة في التدريس وبناء المناهج

أ. عبدالكريم بن صالح الحميد

يهدف البحث إلى إبراز الآثار المختلفة للعولمة وخصوصًا على آليات تطوير المناهج المختلفة، وانعكاس ذلك على طرق وأساليب مختلفة للتدريس مما يؤدي إلى ظهور اتجاهات جديدة في التدريس وبناء المناهج. ويرى البحث أن المنهج الدراسي في ظل العولمة يجب أن يراعي العديد من الاعتبارات المهمة والتركيز على دور التدريب في مواجهة المشاكل المحلية بالإضافة إلى متطلبات السوق العالمية. كما يؤكد أن المدخل الترابطي لدراسة المعرفة يشكل أهمية قصوى لأن جميع فروع المعلومات تترابط وتتشابك بعضها مع بعض أو تعطي النظرة الكلية للعلوم وتكامل المعرفة وترابط عناصرها وتداخل مكوناتها مما أدى إلى ظهور اتجاهات جديدة في التدريس وبناء المناهج.

فاعلية برنامج تثقيفي عن العولمة على سلوك طلاب كلية المعلمين في بيشة

د.رياض عارف الجبان

هدفت هذه الدراسة إلى تعزيز وعي طلاب كلية المعلمين في بيشة بظاهرة العولمة، وزيادة إدراكهم لدور التربية والتعليم في مواجهة تحدياتها، والحفاظ على الهوية الوطنية الإسلامية. ولتحقيق ذلك تم تصميم برنامج تثقيفي وفق تقنية نظامية بالرزم التعليمية، طُبق على عينة من طلاب كلية المعلمين في المستوى السادس. وقد حقق الطلاب كسبًا في السلوك المعرفي، كما حققوا فاعلية إتقانية. وقد مارس الطلاب أنشطة متنوعة تتعلق بظاهرة العولمة ودور التربية والتعليم في مواجهة آثارها . وقد توصل البحث إلى مجموعة من المقترحات تساعد على تعزيز الوعي بقضايا العولمة لدى الطلاب والمعلمين والإسهام في مواجهة آثارها السلبية.

دراسة تحليلية تقويمية لمناهج الحديث والثقافة الإسلامية الثانوية في المملكة العربية السعودية في ضوء مفاهيم العولمة وقيمها

د.محمد محمد سالم

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل وتقويم مناهج الحديث والثقافة الإسلامية في المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية للوقوف على مدى قدرة هذه المناهج في وضعها الحالي على مواجهة العولمة بمفاهيمها وقيمها.. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: ضعف مناهج الحديث والثقافة الإسلامية في المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية في وضعها الحالي على مواكبة العولمة بمفاهيمها وقيمها، في حين لم يبين البحث وجود تأثير مباشر للعولمة بمفاهيمها وقيمها في المناهج، وأن هناك مجموعة من المعايير قد تحققت في مناهج الحديث والثقافة الإسلامية في المملكة العربية السعودية تبرز قيمة الأسرة وضرورة الحفاظ عليها، ودور التربية الإسلامية في تأصيل الشخصية الوطنية، وتؤكد قيمة التراث العربي الإسلامي، وتنمي قيمة الإحساس بالآخرين ورعايتهم، وتبث قيم التسامح بين الطلاب، وتؤكد حقوق الإنسان في الإسلام.

الشبكة العالمية للمعلومات والنظرية البنائية

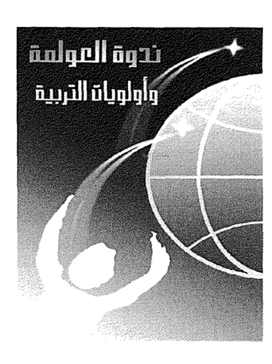
د.صالح العطيوي

يناقش هذا البحث عددًا من العناصر الرئيسة المرتبطة بدرجة قوية، وذات أهمية بالغة في عصر العولمة والواجب معرفتها والإلمام بها حتى تتمكن من صنع بيئة تعليمية تناسب تلك الظاهرة، حيث إن ظاهرة العولمة تتطلب كوادر تتمتع بالخبرات والمعارف اللازمة التي تمكنها من العمل في أي مجتمع في هذا العالم. وقد بين البحث أن بيئتنا التعليمية تفتقر إلى جميع العناصر الرئيسة في عصر العولمة، والتي تساهم في نشأة الأفراد القادرين على العمل بكفاءة في ظل العولمة. ويرى البحث ضرورة التخطيط لتطوير المؤسسات التعليمية، وتطبيق أساليب التعليم والتعلم التي تساهم في تطوير قدرات المتعلمين على تحليل المعلومات ويحقق النهضة للبلاد.

إدارة مهارات التفكير في سياق العولمة: المعتقدات الإبستمولوجية وتفكير التفكير والتفكير الناقد كنماذج

أ.د.محمد أبوزيان تيغزة

هدفت هذه الدراسة إلى المعالجة التحليلية لثلاثة أنواع من النشاط العقلي تم انتقاؤها من خريطة القدرات العقلية المركبة، وهي أولاً: الاعتقادات أو المعتقدات الإبستمولوجية أو الإبستمولوجيا الذاتية أو الفردية أو الشخصية، وثانيًا: تفكير التفكير أو ماوراء التفكير، أما ثالثًا: فالتفكير الناقد. وقد استخدمت الدراسة المنهج النظري التحليلي النقدي لمعالجة الموضوع. وقد استخلص الباحث باستعمال التحليل العاملي



الاستكشافي ستة عوامل أو أبعاد للتفكير الناقد هي: بعد التقويم - بعد المعرفة - بعد فهم قواعد المنطوق - بعد القدرة على التفسير - البعد الوجداني - بعد الحساسية تجاه المشكلات. وتؤكد الدراسة أن أهمية الاعتقادات الإبستمولوجية في سياق العولمة تنبثق من كونها تمثل البنية المعرفية العميقة لتفكير الفرد.

المدرسة وتوطين ثقافة المعلوماتية نموذج التعليم الإلكتروني

أ.د. محمد شحات الخطيب، و أ. حسين عبدالحليم

تقدم هذه الورقة نموذج تجربة مدارس الملك فيصل في التعليم الإلكتروني، والذي يهدف إلى متابعة المستجدات على مستوى التقنيات والاتصالات واستغلالها لتطوير عمليتي التعليم والتعلم، وتطوير مهارات استخدام التقنيات لدى المعلم والمتعلم وتنمية مهارات الاتصال (المادي والثقافي)، وزيادة المصادر العلمية للمواد الدراسية كمًا ونوعًا، والتحضير والاستعداد للتعامل والتفاعل الإيجابي مع المستجدات التقنية والحياتية، وغرس القيم الأخلاقية والاتجاهات الإيجابية لاستغلال التقنية لخدمة الإنسانية. وتبين الورقة أن تطبيق التعليم الإلكتروني يتدرج بعدة مراحل ابتداء بالتجهيز وإقامة البنى التحتية، ثم التوسع في التجهيزات وفي تدريب المعلمين وصولاً إلى تطبيق وتعميم التجربة والارتباط بمدارس وجامعات ومراكز داخل البلاد وخارجها.

العولمة وأثرها في التربية والتعليم في الوطن العربي ، الإيجابيات والسلبيات

د.حسن أبوبكر العولقي

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم العولمة وواقع العولمة في الوقت الحالي، وتحديد إيجابيات العولمة وسلبياتها من واقع ما كتب ويكتب عنها والتعرف على واقع التربية والتعليم في الوطن العربي ونقاط القوة والضعف إضافة إلى تحديد آثار العولمة المحتملة في التربية والتعليم في الوطن العربي. وقد استعرضت الدراسة آراء ووجهات نظر متعددة عن العولمة، وقدمت تشخيصًا متوازنًا لواقع العولمة حاليًا وللقوى المحركة للعولمة، وللقوى المضادة لها. وقد توصلت الدراسة إلى نقاط واضحة ومحددة لإيجابيات العولمة وسلبياتها وللآثار المترتبة على التربية نتيجة العولمة.

المنظور العولمي لتقنية الاتصال والمعلومات : مدى جاهزية الجامعات السعودية للتغيير

د.بدر بن عبدالله الصالح

هدفت هذه الورقة إلى إثارة النقاش والحوار حول عدد من القضايا المرتبطة بتبني تقنية الاتصال والمعلومات في التعليم عمومًا والجامعات السعودية على وجه الخصوص. وقد تناولت الورقة محورين أساسين هما: الأول تأثير هذه التقنية في التعليم العالي، والثاني أسئلة موجهة للجامعات السعودية حول مستوى جاهزيتها للتغيير، وتبني بيئات التعليم الإلكترونية الجديدة. وقد وضحت الورقة مستوى جاهزيتها من خلال شرح العلاقة بين مكوناتها الثلاثة وهي: التغيير وتطوير المنظمة والتطوير المهني لهيئة التدريس، وكذلك الافتراضات الرئيسة التي يقوم عليها التعليم الإلكتروني عن بعد. وخلصت الورقة إلى أن التوصل إلى إجابات عن الأسئلة التي أثارتها الورقة تؤدي إلى استثمار الجامعات لهذه التقنية في برامجها إن هي أرادت.

دور المدرسة في مواجهة مخاطر العولمة على الشباب

أ.د.ثناء يوسف الضبع

هدفت هذه الورقة إلى عرض دور المدرسة في مواجهة آثار العولمة على الشباب في العصر الحديث الذي يتسم بالتقدم التقني، والانفجار المعرفي والانفتاح الثقافي، والمتغيرات السريعة في العديد من المجالات المادية والتقنية والاقتصادية والثقافية، مما يستوجب من المؤسسات التربوية متابعة هذا التطور ودراسة أثره في السلوك والقيم والمنظومة المعرفية والثقافية في هذا العصر. وقد قدمت الورقة تصورًا لدور المدرسة في مواجهة مخاطر العولمة، وكيف يمكن لها الحفاظ على قيم المجتمع الإسلامي السامية، وإرشاد الطلاب وتوجيههم إلى التوافق مع المتغيرات التقنية والتعامل مع أدوات عصر العولمة.

المدرسة وتحديات العولمة : التجديد المعرفي والتكنولوجي نموذجًا

د.فهد بن سلطان السلطان

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم تصور مقترح عن أولويات التجديد التربوي للمدرسة في ظل التحديات التي يفرضها نظام العولمة، والتي يجب أن ترتكز على ركيزتين أساسيتين هما: التجديد المعرفي، والتجديد التقني والتكنولوجي. كما قدمت الدراسة بعض المقترحات حول تشجيع المعلمين على الابتكار والتجديد في عمليات التعلم والتعليم، وتوفير البرامج التدريبية التي تساعدهم على التحول من كونهم ناقلين للمعرفة إلى مشاركين ومطورين لها، قادرين على التفاعل المستمر مع تحولاتها. كما دعت الدراسة إلى إعطاء مزيد من الصلاحيات والمرونة للمدارس في الجوانب المالية والإدارية، وإلى تقليل النزعة المركزية لإدارات التعليم، وتشجيع المدارس لإقامة برامج تتعلق بإدخال التقنية وأنظمة المعلومات.

دراسة عاملية عن مشكلة الاغتراب لدى عينة من طالبات الجامعة السعوديات في ضوء عصر العولمة

أ.د. ثناء يوسف الضبع و أ .الجوهرة فهد آل سعود

هدف هذا البحث إلى دراسة مشكلة الاغتراب لدى عينة من طالبات جامعة الملك سعود في ضوء متغيرات عصر العولمة والمعلوماتية، وما قد ينجم عنه من تأثر الطالبات وإحساسهن بمشاعر الاغتراب. ولتحقيق هدف البحث تم إعداد أداة لقياس الاغتراب لدى الطالبات وقد تصدر الإحساس باللامعنى قمة مصادر الاغتراب لدى الطالبات، ثم الإحساس بالعجز الاجتماعي، والانعزالية، وضعف المشاركة الاجتماعية، والإحساس بالغربة الاجتماعية، والحزن، والنفعية، ونقص المعايير، والتباعد الثقافي. وقد تم تفسير هذه العوامل في ضوء متغيرات العصر ومتطلبات العولمة وضغوطها خصوصًا على الدول النامية والعالم العربي والإسلامي.

معالم المشروع التربوي العربي في مسار العولمة (بحث في فاعلية التأصيل وآليات التفعيل)

أ.د. أحمد حساني

تهدف هذه الورقة إلى تشخيص الواقع التربوي العربي تشخيصًا موضوعيًا بمعزل عن أي نزعة ذاتية أو عاطفية في ظل اهتماماتنا الحضارية الحالية لمواجهة التحديات الكبرى والمعوقة، وهي التحديات الناتجة عن الخطاب التربوي المنجز عالميًا لتحقيق الأهداف الاستراتيجية للعولة بكل جوانبها الاقتصادية والثقافية والتربوية. وقد حاولت الورقة الإجابة عن عدد من الأسئلة حول كيفية التعامل مع المد التربوي للعولمة، وكيفية توظيف جميع المرتكزات الفاعلة في أنظمتنا التربوية الحالية، واستثمارها استثمارًا واعيًا لترقية المشروع التربوي العربي العالمي، إضافة إلى كيفية عولمة الرصيد التربوي للحضارة الإسلامية بوصفها حضارة عالمية بطبيعتها.

العولمة وحتمياتها التقنية والحصانة الثقافية

أ.د.علي أحمد مدكور

هذه الورقة بينت أن ثقافة عصر العولمة وحتمياتها التقنية التي تقوم على مبدأ (اللحاق أو الانسحاق) توجب فتح النوافذ لتقبلها، ولكن دونما تأثير في الهوية ومعالم الشخصية العربية. وترى الورقة الحاجة إلى (أسلمة) (وعروبة) الوضع العربي الحالي دون نفي للآخر أو عدم التعامل معه. وتؤكد الورقة الحاجة إلى عالم يعاد بناؤه على أسس إيمانية ربانية وسلوكيات أخلاقية مغايرة لما هو عليه الآن. كما تؤكد الورقة الحاجة إلى التحول من ثقافة الحتمية التقنية إلى ثقافة الخيار التقني، والتقنية البديلة، والتقنية من أجل الإنسانية، إضافة إلى تطوير تقنية المعلومات بحيث ترد العلم إلى أخلاقيات الدين.

الثقافة الكونية الجديدة

أ.د. ريما سعد الجرف

تهدف هذه الدراسة إلى ضرورة طرح مقرر في الثقافة الكونية لكل صف من صفوف المرحلتين المتوسطة والثانوية، يهدف إلى مساعدة الطلاب في هاتين المرحلتين على فهم العالم كمجموعة من النظم البشرية والسياسية والاقتصادية والتقنية والبيئية والاجتماعية والطبيعية المتصلة والمعتمدة بعضها على بعض، وعلى التعرف على ثقافة وعادات الشعوب الأخرى وأوجه الشبه والاختلاف بينها، وتحليل المنظمات الدولية ودراستها، والتركيز على



الصلات المتبادلة بين البشر، وتعريف الطلاب بالقيم الإنسانية والمشكلات والتحديات والقضايا المعاصرة التي تتخطى الحدود بين الدول. وتقدم الدراسة تصورًا لأهداف المقررات الكونية، ومحتواها من الموضوعات الكونية وطريقة تصميمها، والطرق والأنشطة والمصادر التعليمية التي يمكن استخدامها في تدريسها.

الأولويات التربوية في عصر العولمة

أ.د. عبدالرحمن بن سليمان الطريري

هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف الرؤى والأفكار والمفاهيم التي توجد لدى عينة من أفراد المجتمع العربي السعودي حيال العولمة في عدد من الجوانب منها: المفهوم السائد حول العولمة وأهدافها، والأساليب والعوامل الكامنة وراء ظهور العولمة، والآثار الإيجابية والسلبية للعولمة، وكيفية التعامل معها. وقد بينت نتائج الدراسة اتفاق العينة في ترتيبهم لمفاهيم العولمة وأهدافها وأسبابها وآثارها وأساليبها، وطرق مواجهتها والتعامل معها، ولم توجد فروق بين مجموعات العينة إلا عند ترتيبهم للأسباب والآثار. ولذا ترى الدراسة ضرورة تضمين العولمة ضمن المواضيع التي تدرس لطلاب الجامعة سواء في مرحلة البكالوريوس، أو في مرحلة الدراسات العليا، إضافة إلى تكريس فكرة أن الإسلام كنظام حياة شامل يمكن أن يكون بديلاً عن العولمة.

التجديد في فلسفة التربية العربية لمواجهة تحديات عصر العولمة (رؤية نقدية من منظور مستقبلي)

أ.د.السيد سلامة الخميسي

تهدف هذه الدراسة إلى تعرف كيفية مراجعة التربية العربية فلسفتها وأهدافها حتى تكون مؤهلة لمواجهة تحديات عصر العولمة في إطار الخصوصية الثقافية والتوجهات المستقبلية. وتؤكد الدراسة عددًا من الغايات التي لابد أن تفي بها التربية هي: إكساب المعرفة، التكيف مع المجتمع، تنمية الذات والقدرات الشخصية، وأضاف عصر المعلومات إلى هذه الغايات بعدًا تربويًا آخر هو «ضرورة إعداد إنسان العصر لمواجهة مطالب الحياة في عصر العولمة». وتناقش الدراسة مدى استيعاب التربية المعاصرة هذه الغاية المستحدثة، وتضمينها في فلسفتها حتى تكون هاديًا ومرشدًا في سياساتها واستراتيجياتها وخططها وبرامجها وطرائقها.

دور التربية في مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادي والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة

أ.د.أحمد علي كنعان

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على التحديات التي تعيق التربية في الوطن العربي، وكيفية مواجهتها هذه التحديات، وعلى رأسها الاستلاب الثقافي والهيمنة الأجنبية في ظل العولمة الجديدة، وهيمنة القطب الواحد على الثقافات العالمية، وبيان كيفية التصدي لها من خلال تعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة، حيث تعد هوية الأمة منبعًا أساسًا لفلسفة المجتمع التي تستمد مقوماتها من تلك الهوية. ويخلص البحث إلى تأكيد الهوية العربية الإسلامية، ويدعو إلى مواجهة التحديات المختلفة، وتعزيز الانتماء القومي لأبناء الأمة العربية من خلال عدد من المقترحات، ثم يدعو إلى التركيز على التربية المستقبلية، وتنمية الهوية الحضارية للأمة، والمحافظة على أصالتها قوميًا وإنسانيًا، باعتبارها مصدر إبداع وعطاء وتفاعل مع مختلف الثقافات العالمية.

رؤية حديثة لأدوار المعلم المتغيرة في ضوء تحديات العولمة

د.علي حمود علي

تهدف هذه الورقة إلى مناقشة مفهوم العولمة من منظور تربوي ثقافي اجتماعي وتأثيراتها وكيفية التعامل معها، والتحديات التي تواجه تربية المعلم في عصر العولمة، وذلك بالنظرة الفاحصة لمتطلبات العصر واستشراف آفاق المستقبل. إضافة إلى تعرف أهم الاتجاهات الحديثة في نظم تربية المعلم للمجتمع المسلم. وقد تعرضت الورقة إلى ذكر بعض المنافع وبعض الأضرار التي يمكن أن تترتب على ظاهرة العولمة لتساعد على تحديد رؤية حديثة لأدوار المعلم في ضوء تحديات العولمة، وتعرضت الورقة إلى تناول بعض مظاهر هذا العصر الذي سمي (عصر الاغتراب) والحافل بالمتناقضات. فالمجتمعات الحديثة التي حققت التقدم المادي الهائل عانت في أثناء تطورها السريع غياب المعايير الأخلاقية. ولهذا تؤكد الورقة أن العصر الحالي يحتاج إلى تربية غير تقليدية تؤدي إلى الوقوف على التحديات التي تواجه تربية المعلم سواء في أثناء اختياره أو إعداده أو تطوير أدائه في أثناء الخدمة.

تصور مقترح للمقومات الشخصية والمهنية الضرورية لمعلم التعليم العام في ضوء متطلبات العولمة

د.السيد محمد أبو الهاشم

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف أهم المقومات الشخصية والمهنية الضرورية لمعلم عصر العولمة، وذلك من خلال الإجابة عن عدد من الأسئلة حول: مفهوم العولمة وعلاقتها بالتعليم، وإمكانية وضع آلية لتنفيذ التصور المقترح للمقومات الشخصية والمهنية الضرورية لمعلم التعليم العام في ضوء متطلبات العولمة. ومن خلال ما توصلت إليه الدراسة من نتائج يتضح أن الدور التربوي الفعال للمعلم من خلال ماتحمله العولمة من متطلبات عديدة يفرض على المتخصصين في التربية وعلم النفس أن يعيدوا النظر من جديد في مكونات المنظومة التربوية، وخصوصًا دور المعلم. وتقوم الآلية المقترحة من الدراسة على أربع ركائز أساسية هي المعلم الذي نريده، وأداة التطبيق، والطريقة، والنتائج المتوقعة.

العولمة ورؤية جديدة لدور المعلم في ضوء صراع الدور وأخلاقيات التدريس

د.منال عبدالخالق جاب الله

هدفت هذه الورقة إلى تقديم تصور لدور المعلم في ضوء صراع الدور، وأخلاقيات التدريس في عصر العولمة بما يفرضه على المعلم من تحديات ومهام، آخذة في الحسبان التفرقة بين إجراءات العولمة مثل فتح الحدود وتيسير تدفق الخدمات والسلع بغير قيود، وإنشاء شبكات الاتصال العالمية ومؤسسات التجارة العالمية، وبين مذهب العولمة بمعنى القيم

الحاكمة التي تبث من خلال العمليات السياسية والفكرية والثقافية والأحداث والأنشطة الحياتية. وقد حاولت الورقة أن تجيب عن سؤال محدد حول: هل بإمكان المعلم أن ينهض بدور جديد يحقق من خلاله تحديًا حقيقيًا وجذريًا لمؤسساتنا التربوية والثقافية في عصر العولمة؟

الأدوار الحضارية الجديدة للمعلم ودواعي التجديد في فلسفة التعليم

د.عبدالعزيز برغوث

تناقش هذه الورقة إشكالية الأدوار الحضارية الجديدة للمعلم ودواعي التجديد في فلسفة التعليم، ولهذا قسمت الورقة إلى مدخل عام يتضمن: الإطار المنهجي العام لدراسة دور المعلم وفلسفة التعليم في ضوء العولمة والمعلوماتية الحديثة. أولاً: ما دواعي تجديد فلسفة التعليم والدور الحضاري للمعلم ؟ ثانيًا: الأدوار الحضارية للمعلم: الشروط والآفاق. وتؤكد الورقة أن رسالة المعلم أصبحت اليوم أكثر من أي وقت مضى ذات أبعاد حضارية مصيرية شاملة. وبالتالي فإعادة النظر في الأدوار الحضارية للمعلم أمست من الواجبات الكبرى للقيادات التعليمية والتربوية والاجتماعية والسياسية بصورة عامة.

مدى إلمام الطالبة المعلمة بكلية التربية -جامعة الملك سعود- بمفهوم العولمة ومتطلباته

د.سلوى عثمان، و د.فاتن مصطفى

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف مدى إلمام الطالبة المعلمة في كلية التربية، جامعة الملك سعود بمفهوم العولمة ومتطلباتها، وتعرف المعايير التي يجب أن توضع في الحسبان عند بناء برنامج إعداد للمعلمة في ضوء مفهوم العولمة ومتطلباته. ولتحقيق هدف الدراسة تم تطبيق استبانة تضمنت مفاهيم العولمة ومتطلباتها على طالبات المستوى السابع تخصص العلوم الشرعية والتربية الفنية. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابة الطالبات تخصص العلوم الشرعية و التربية الفنية لصالح العلوم الشرعية في مدى إلمام الطالبات بمفهوم ومتطلبات العولمة، ثم توصلت الدراسة إلى تحديد بعض المعايير التي يمكن الاستفادة منها عند بناء برنامج إعداد المعلمة.

نحن والعولمة

د. نصر الدين بن غنيسة

تناقش هذه الورقة الإشكالية التالية: هل مصير علاقتنا



مع الآخر آيلة إلى الصراع لا محالة أم أن هناك سبيلاً آخر يمكن أن نسلكه نحن والآخرون من أجل تعايش سلمي ألا وهو سبيل الحوار ؟ وتخلص الورقة إلى أن العلاقة المتشابكة بين العولمة وهويتنا الإسلامية لن تحول دون تواصل إيجابي مع هذه العولمة من خلال الوقوف الجاد والعلمي في ظل عولمة لم تجد من حطب تغذي به نار فتنتها سوى موضوع صراع الحضارات والهويات، وطبيعة صورة الآخر في مخيلة الأنا، وصورة الأنا في مخيلة الآخر. وذلك من أجل تجاوز ثقافة الانطواء على الذات التي يغلب عليها شعور بعقدة التفوق وفي الوقت نفسه تجاوز ثقافة الارتماء في أحضان الآخر المتفوق يعتريه شعور بالدونية.

عولمة اللغة أم لغة العولمة

د.إبراهيم بن محمود حمدان

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على مواصفات الخطاب العربي الذي نطل به على العالم من خلال نظرة توفيقية واقعية تنبثق من وجهات النظر المتباينة. وكشفت الدراسة أن العولمة ليست مشكلة عابرة يجاب عنها بنعم أو لا : إذ لاينبغي أن نحصر أنفسنا بين رفض العولمة أو قبولها، بل تقتضي الحكمة أن نتعامل معها بشفافية ووعي وكياسة، ولغة واقعية تضمن هامشًا لخصوصياتنا الثقافية ومنظومتنا القيمية. كما أظهرت الدراسة أهمية إعادة النظر في أساليب صناعة الثقافة، وآلية إعداد الأجيال، فما

كان للعولمة أن تفتك بنا وتخترق ثقافتنا لولا الخواء الثقافي الذي تعيشه الأمة. وترى الدراسة أن منظومة القيم الدينية هي الطريق للخروج من شرنقة الاتباع لنبدأ مسيرة الإبداع.

عولمة أفكار الشباب في المؤسسات الأكاديمية . دراسة على عينة من الطلاب والطالبات

أ.د.إبراهيم بخيت عثمان

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف تأثر الطلاب والطالبات بأفكار العولمة التي تروج لها وسائل الإعلام المختلفة، ولتحقيق هذا الهدف تم تصميم أداة لقياس التأثر بأفكار العولمة، تم عليها استكمال الشروط المنهجية للصدق والثبات، وطبقت على عدد من الطلاب والطالبات في المرحلتين الثانوية والجامعية في السودان. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن الطالبات أكثر تأثرًا بثقافة العولمة من الطلاب، وأنه لا توجد فروق بين الطالبات في التأثر بحكم التخصص، كما لا توجد فروق بين الطالبات في التأثر بحكم المرحلة، كما أشارت النتائج إلى وجود فروق بين الطلاب في التأثر بحكم التخصص. ووجود فروق بينهم كذلك في التأثر بحكم المرحلة الدراسية.

قراءة نفسية في ملف العولمة

د.صلاح الدين محمد عبدالقادر

تهدف هذه الورقة إلى تقديم قراءة نفسية في ملف العولمة كمحاولة لتشخيص وتفسير انتشار أنموذج العولمة تفسيرًا يستند إلى مفاهيم ونظريات علم النفس، وكذلك الكشف عن الاستراتيجيات والآليات النفسية التي تستخدمها العولمة في التأثير على الهوية الثقافية. وقد توصلت الورقة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أن هناك شبه إجماع على أن المقصود من مفهوم العولمة هو الأمركة، وأن السلوك الإنساني خاضع بشكل أو بآخر للتشكيل تبعًا للمعادلة (مثير - استجابة)، وأن العولمة تسعى إلى الترويج الإعلامي لمفاهيم (القرية الكونية، وثقافة العولمة، والعقل العالمي). وتشير الورقة إلى أن للعولمة تأثيرًا سلبيًا في الهوية الثقافية، وتشير أيضًا إلى أن التربية هي خط المواجهة الأول لتفادي آثار العولمة.

نظرات في العولمة

د.سعود بن سلمان آل سعود

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم رؤية متكاملة لا تقتصر على جانب دون آخر، سعيًا إلى الظفر بإجابات مقنعة، وحلول جدية واقتراحات بناءة، وصياغة محكمة لتلك المشكلة المعاصرة، من خلال منهج استقرائي تحليلي نقدي يتصدى لتجلية حقيقة العولمة من منظور إسلامي علمي موضوعي في مباحث ثمانية تناولت مشكلة المصطلح والغموض المحيط به، والقضايا التي أفرزتها العولمة مثل: نظرية نهاية التاريخ، ونظرية صدام الحضارات، والكشف عن البعد الاقتصادي في الهيمنة العولمية على العالم النامي، وإبراز البعد السياسي للعولمة في إلغاء سيادة الدولة، والطابع الاستعماري في الفكر العولمي، ومخاطر التذويب الثقافي وفقدان الهوية، وبحث دلائل الفلسفة اللادينية، والغاية اللاأخلاقية للعولمة، إضافة إلى الموقف الإسلامي من العولمة.

ماذا يقرأ شبابنا في عصر العولمة

أ.د.ريما سعد الجرف

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف الاهتمامات القرائية لدى طالبات الجامعة من حيث المجلات التي يقرأنها، والموضوعات التي تجتذبهن في المجلات، وموضوعات القراءة التي تقرؤها طالبات المرحلتين المتوسطة والثانوية في كتب القراءة داخل المدرسة. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن ٧٧٪ من طالبات الجامعة يقرأن المجلات النسائية الترفيهية. وأظهرت نتائج تحليل موضوعات كتب المطالعة المقررة على المرحلتين المتوسطة والثانوية أن الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تشكل ١٠٪ من موضوعات الكتاب، وأن موضوعات التاريخ الإسلامي تمثل ٢٩٪، والموضوعات العامة ١٣٪، وقصص التراث العربي القديم ١١٪. ويظهر من النتائج اهتمام الطالبات بقراءة المجلات والموضوعات التي تركز عليها وتروج لها القنوات الفضائية، والتي تهدف إلى تسطيح ثقافة الشباب وصرف انتباههم عن قضايا الأمة.

أثر العولمة في تمويل وتنظيم إدارة المؤسسات التعليمية في الوطن العربي

د.زايري بلقاسم

يحاول هذا البحث تحليل ومعالجة مختلف انعكاسات مظاهر العولمة وأبعادها على تمويل وتنظيم إدارة المؤسسات التعليمية، ومن ثم على نوعية وأداء قطاع التعليم، ثم يعرض أهم الاستراتيجيات والسياسات الواجب اتخاذها وخصوصًا في الوطن العربي الذي لا يعيش بمعزل عن هذه التطورات، وذلك لتبني ماتراه أسلوبًا إيجابيًا، وتلافي ماتراه أسلوبًا سلبيًا داخل مؤسساتنا التعليمية. ويوضح البحث أشكال

ونماذج عديدة لتأثير العولمة في سياسات العلم والتقنية وبالتالي على إدارة المؤسسات العلمية والتعليمية وتخطيطها وتمويلها في العديد من الدول الصناعية والدول النامية. ويقدم البحث تصورًا لترقية دور مؤسساتنا التعليمية في ظل المتغيرات الدولية، وتحسين أداء السياسات التعليمية ومستوياتها.

جامعات البلدان النامية في عهد العولمة : أمل البقاء بين التحديات المستمرة والأزمات الحادة

د. محمد مقداد

تحاول هذه الورقة تسليط الضوء على التحديات والأزمات التي تواجه الجامعات في البلدان النامية، كما تركز على الاستراتيجيات التي يمكن استخدامها لمواجهة تلك التحديات، والخروج من تلك الأزمات، والعمل بالتالي على تفعيل الجامعة. وقد أشارت الورقة إلى التحديات التي تتمثل في: القدرات التي تحاول الجامعة بناءها في شخصية الفرد، وأعداد المتعلمين المتزايدة، وأعداد الخريجين العاطلين عن العمل، والأزمة المالية، وأزمة الثقة، ثم أزمة الاتجاهات السلبية نحو التعليم العالي التطبيقي والحرفي، حيث إن هذا النوع من التعليم غير مرغوب فيه. وأوضحت الورقة أن الجامعة لايمكن التعويل عليها في إخراج البلدان من دوائر التخلف مما يترتب على ذلك من أزمة ثقة.

الإدارة المدرسية الذاتية : هياكل جديدة للمدارس في عهد العولمة

د.علي رضا نجار

تهدف هذه الورقة إلى تقديم نموذج لإعادة هيكلة الإدارة المدرسية في الألفية الجديدة (الإدارة المدرسية الذاتية)، هذا النموذج في التعليم يؤكد تنمية الطلاب خلال عملية العولمة في التعليم. وتشير الورقة إلى أن إعادة هيكلية المدرسة أصبح اتجاهًا دوليًا رئيسًا لإصلاحها. وأنه خلال العولمة بمساعدة تقنية المعلومات والاتصال، يمكن أن تجلب المدرسة أنواع المصادر والمواد المختلفة والأصول الفكرية من المجتمع المحلي والأجزاء المختلفة من العالم لمساندة التدريس والتعليم المتميزين في كل فصل، ولكل معلم، ولكل طالب.

الإدارة التربوية في عصر العولمة

د. سهام محمد كعكي

حاولت هذه الورقة إيجاد إجابات قائمة على منطق العلم لعدد من الأسئلة عن: كيفية مواجهة الإدارة التربوية لعصر العولمة ؟ وكشف واقع الإدارة التربوية في عصر العولمة في المملكة العربية السعودية، وكيفية تفاعل الإدارة التربوية مع العولمة، إضافة إلى كيفية تقديم آليات لتحديث الإدارة التربوية في عصر العولمة وقد توصلت الورقة البحثية إلى أن الإدارة التربوية في عصر العولمة في المملكة العربية السعودية مطالبة بالعمل على تفعيل دورها التربوي بما يتناسب مع التطورات العلمية الحديثة، وذلك يلزمها تحديث السياسات واللوائح التنظيمية، وإعادة النظر في الهيكل التنظيمي، وتوصيف الوظائف وتصنيفها بما يلائم احتياجات عصر العولمة والتوعية الإدارية بكيفية التفاعل الواعي مع عصر العولمة.

تربية العولمة وعولمة التربية : رؤية استراتيجية تربوية في زمن العولمة

أ.د.عبدالرحمن بن أحمد صائغ

تناولت هذه الورقة علاقة العولمة بالتربية من خلال بعدي (تربية العولمة و عولمة التربية)، يركز الأول على قدرة التربية على الاستجابة لتحديات العولمة السياسية والاقتصادية والتقنية والحضارية التي تواجهها الأمة العربية، بينما يركز البعد الثاني على قدرة استيعاب التربية لمفاهيم العولمة واتجاهاتها وتوظيفها لبناء نظام تربوي متطور يمتلك مقومات المرونة والمنافسة على الساحة

الدولية. ثم قدمت الورقة مفهومًا شاملاً للمواطنة كرؤية استراتيجية للتربية العربية في زمن العولمة، تمثل في مجملها إطارًا إجرائيًا تتحدد فيه أهم الملامح الأساسية لتربية المستقبل القادرة على الاستجابة لتحديات العولمة الداخلية والخارجية التي تواجهها الأنظمة التربوية العربية.

نحو مشروع حضاري للمؤسسة الأكاديمية

د.ياسر إسماعيل راضي

يهدف هذا البحث إلى إيجاد مشروع حضاري يكفل لمؤسساتنا التعليمية حصانة علمية رصينة وأمنًا ثقافيًا في مواجهة العولمة. ولتحقيق هدف البحث تم تحديد أربعة محاور أساسية هي: المحور الأول تضمن التعريف بالمشروع وفيه تم تحديد المصطلحات والمفاهيم الأساسية. والمحور الثاني: تضمن أهداف المشروع وفيه تصور لتأهيل وإعداد المؤسسات التعليمية على الوجه الذي يحفظ للأمة الإسلامية كيانها العلمي. والمحور الثالث: وتضمن عوامل تحقيق المشروع وفيه وضع خطة مقترحة على مستوى الإقليم الإسلامي الواحد وعلى مستوى الدولة الإسلامية وفق ثقافتنا الأصيلة المستقاة من الكتاب والسنة. أما المحور الرابع فتضمن معوقات المشروع وفيه تم وضع تصور لبعض المعوقات التي تواجه المشروع وكيفية الحل.

النظام التعليمي في المملكة العربية السعودية وتحديات العولمة

د.صالح بن علي أبوعراد

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على ماهية العولمة وحقيقتها وأهم معالمها، وتعرف الكيفية التي يمكن من خلالها للنظام التعليمي في المملكة العربية السعودية تأكيد الهوية الإسلامية في ظل تحديات العولمة المعاصرة. وتسليط الضوء على أهم المقترحات الكفيلة بتطوير هذا النظام في ظل تحديات العولمة المعاصرة. وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يمكن من خلاله وصف وجمع البيانات المتعلقة بالنظام التعليمي في المملكة العربية السعودية وتحليلها، للوصول إلى بعض الاستنتاجات التي يمكن من خلالها توظيف معطيات الماضي والحاضر لمواجهة تحديات المستقبل في ظل النظام العالمي الجديد.

التعليم الشامل : صياغة جديدة للتعليم في إطار العولمة

د.عزيزة عبدالعزيز المانع

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد مدى حاجة مدارسنا إلى تبني مثل هذا المنظور العالمي للتربية، وتحديد مدى معرفة المعلمين والمعلمات بالتعليم الشامل وأهمية تطبيقه أثناء التدريس. وقد اعتمدت الدراسة في جمع المعلومات على استبانة موجهة للمعلمين والمعلمات تضمنت عرض مجموعة من النشاطات التعليمية، وطُلب من أفراد العينة الإشارة إلى ماهو متوفر منها في برامج التعليم. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن النشاطات المتوفرة في برامج التعليم هي النشاطات التي تتعلق بدعم الانتماء الديني والوطني، وأن النشاطات التي تتعلق ببناء الشخصية وتنمية مهارات التفاعل الاجتماعي محدودة في درجة توفرها. وكذلك بالنسبة للنشاطات التي تتعلق ببناء الشخصية وتنمية مهارات التفاعل الاجتماعي فهي محدودة في درجة توفرها. أما النشاطات المتعلقة بتنمية المعرفة للتغيرات الحادثة في الأوضاع العالمية وطبيعة العلاقات بين المجتمعات الدولية فهي غير موجودة.

العولمة والتربية : قراءة في التحديات التي تفرضها العولمة على النظام التربوي في المملكة العربية السعودية

د.فوزية بكر البكر

استعرضت الدراسة الاحتياجات التربوية التي تفرضها ظاهرة العولمة ومقابلتها بالواقع التربوي في المملكة من خلال استعراض ومناقشة بعض أهدافه وظواهره العامة في المراحل المختلفة. ولتحقيق أهداف الدراسة تناولت ستة محاور تربوية هي: أهداف التعليم، ومناهج التعليم، ودرجة توافر المعرفة لتحقيق مفهوم التعليم المستمر، وتأثير العولمة في مفهوم المواطنة، وتأثير العولمة في دور المؤسسات التربوية في الإعداد لسوق العمل، وتأثير العولمة في مفهوم وأساليب إعداد المعلمين. وقد أظهرت الدراسة الحاجة الماسة إلى غربلة أهداف التعليم في المراحل المختلفة، وما يتبع ذلك من مراجعة تربوية لمحتوى المناهج الدراسية لتكون معدة للتغير، وضرورة مواكبة برامج إعداد المعلمين والمعلمات للمتغيرات العالمية في مفهوم دور المعلم.

وفي ضوء استعراض البحوث وأوراق العمل امكن استخلاص ما يلي:

* لوحظ من خلال استعراض البحوث والدراسات وأوراق العمل التي قدمت إلى الندوة أن مصطلح العولمة ما زال حديثًا ولم يتبلور حول معنى مستقر وثابت. فبعضهم يحصره في الدور الاقتصادي وما يقوم عليه من هيمنة النظام الرأسمالي

على أسواق العالم وطاقاتها وثرواتها للسيطرة عليها باسم النظام العالمي الجديد، وليس له من المشترك الإنساني شيء، وإنما هو سيطرة للقطب الواحد الذي يملك المعلومة، ويملك التقنية وأدوات الاتصال، وبالتالي يتحكم في العالم، وما يستدعي هذا التحكم من الهيمنة السياسية، كغطاء لابد منه لحركة الاقتصاد.

* إن المفاهيم المتعددة المطروحة للعولمة من خلال البحوث والدراسات وأوراق العمل التي قدمت للندوة وإن اشتركت أو تجاوزت في بعض معانيها لكن الناظر إليها في معظمها، يرى أنها تنطلق من خلفيات ثقافية، واتجاهات سياسية، وانحيازات أيديولوجية لأصحابها، فهذه المفاهيم في مجال العلوم الإنسانية من الصعب جدًا أن تبرأ من الانحياز، وأن تعرف تعريفًا جامعًا مانعًا محايدًا.

* يوجد شبه إجماع في كتابات الباحثين على أن العولمة ليست شرًا كلها، فقد فتحت آفاقًا إيجابية وميادين للتنافس، ويسرت وسائل للوصول إلى (الآخر)، ومكنت من فتح آفاق ومجالات للحوار، وقدمت فرصًا وإمكانات سوف تُخرج الكثيرين من رقادهم، وتمكن من الاستجابة للتحدي والنهوض.

* أكدت البحوث والدراسات وأوراق العمل أن القيم الإسلامية بما تحمل من خصائص وصفات متميزة مؤهلة للانتشار، ومؤهلة للإنقاذ، ومؤهلة لأداء الدور الغائب، لأن القيم والمعايير التي تضبط مسيرة رسالة الإسلام وتحكم وجهتها وتحدد أهدافها مستمدة من مصدر خارج عن وضع الإنسان.

* تبين من البحوث والدراسات وأوراق العمل أن مواجهة الغزو الثقافي لقوى العولمة يجب أن تؤسس على ثوابت الهوية العربية وسماتها الإيمانية والحضارية الجامعة، وأن تسلح بعقلية انفتاحية على كل منجزات الفكر والعلم والتقنية، تقرؤها قراءة نقدية وتتفاعل معها لتطويعها بما يتناسب مع قواعد وضوابط فكرنا فلا نرفضها بداعي الخوف والعداء لكل ما هو أجنبي ولا نذوب فيها بتأثير عقد النقص تجاه الآخرين.

* يتبين من البحوث والدراسات وأوراق العمل أن العولمة واقع لايجدي معه أسلوب الرفض التام فهو تيار بدأ بالمجال الاقتصادي وامتد إلى المجال السياسي والمجال الثقافي. وهذا الواقع يعد حقيقة ماثلة أمامنا لا مجال لإنكارها.

* ترى بعض البحوث أنه على الرغم من أن العولمة مفروضة على المجتمعات البشرية فإن إيجابياتها تدفعنا إلى التنبؤ المستقبلي بعولمة الأخلاق الدينية، وبداية التاريخ الجديد لفلسفة الأخلاق، والعالمية الجديدة المبنية على مناهج



موضوعية أساسها المعاملة والتفاهم بين الشعوب.

* أكدت البحوث والدراسات وأوراق العمل أن التمسك بخصائص الهوية الإسلامية يغرس روح الإبداع في الأمة الإسلامية.

* تبين من البحوث أن العناصر التي تشكل العولمة تتمثل في (اللامركزية، واللا قطرية، والحركة لرؤوس الأموال والبضائع عبر الحدود الدولية).

* يمكن أن يكون للتربية الفنية الإسلامية دور مميز في التواصل الثقافي العولمي، وفي تحديد هوية اجتماعية يمكن أن تجابه التغير الثقافي العولمي.

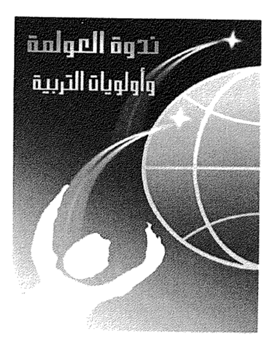
* المنهج الدراسي في ظل العولمة يمكن أن يكون له دور في مواجهة المشاكل المحلية، بالإضافة إلى تحقيق متطلبات السوق العالمية.

* تبين من البحوث والدراسات وأوراق العمل عدم وجود تأثير مباشر للعولمة بمفاهيمها وقيمها في مناهجنا التعليمية.

* البحوث والدراسات وأوراق العمل تؤكد الدور الفعال للشبكة العالمية للمعلومات لتوفير المعلومات المختلفة للمتعلمين والباحثين لغرض تعزيز التعليم والتعلم، التي بدورها تساهم في نشأة الأفراد المبدعين القادرين على الابتكار في المجالات المختلفة.

* يتضح من البحوث والدراسات أن العولمة أفرزت تحديات كثيرة، من أبرزها التحدي التربوي للعولمة الذي يتعلق بإدارة خريطة القدرات العقلية وتسييرها.

* تبين من البحوث والدراسات وأوراق العمل أن



التعليم الإلكتروني في عصر العولمة يدعو إلى متابعة المستجدات التقنية وما يتعلق منها بالاتصالات، واستغلالها لتطوير عمليتي التعليم والتعلم، وتطوير مهارات استخدام التقنيات لدى المعلم والمتعلم.

* يتضح من بعض البحوث والدراسات قدرة التربية على استيعاب مفاهيم العولمة واتجاهاتها وتوظيفها لبناء نظام تربوي متطور يمتلك مقومات المرونة والمنافسة على الساحة الدولية.

* تبين بعض البحوث والدراسات أن للمدرسة دورًا مهمًا في مواجهة مخاطر العولمة، والحفاظ على قيم المجتمع الإسلامي السامية، وإرشاد الطلاب وتوجيههم نحو التوافق مع المتغيرات التقنية، والتعامل مع أدوات عصر العولمة.

* يتضح من بعض البحوث والدراسات أن الثقافة ووسائل الاتصال الحديثة تشكل الوقود لمعركة المواجهة أو الاندماج في مسار العولمة.

* إن المشروع التربوي العالمي الذي تسعى الأطراف القطبية للعولمة إلى تكريسه وتعميمه يقوم أساسًا على مبدأ الانتقال والتحول من محلية البدء إلى عالمية المآل.

* تشير بعض البحوث والدراسات إلى أن العالم بحاجة إلى أن يعاد بناؤه على أسس إيمانية ربانية وسلوكيات أخلاقية مغايرة لما هو عليه الآن، عالم يبتعد عن الوضعية العلمية وصلفها الفكري ويتحول عن البراجماتية ونفعيتها قصيرة النظر، ويرفض ذاتية ما بعد الحداثة وقد اقتربت من حد الفوضى التي يمكن أن تورد الحضارة الحديثة مورد الهلاك.

* ترى بعض البحوث والدراسات وأوراق العمل أن النظم التربوية العربية تفاعلت مع العولمة مظهريًا فأفادت من معطياتها العلمية والتقنية والتنظيمية الكثير حتى غدت وكأنها نظم تربوية محدثة رغم أنها في فلسفتها وأهدافها وطرائقها تعود إلى مرحلة ما قبل الحداثة ولم تدخل بعد العصر العولمي.

* تخلص بعض البحوث والدراسات إلى أن العولمة تريد من التعليم السيطرة والهيمنة من خلال تغيير اتجاهات الأفراد باختراق المنظومة التعليمية مما يجعل فيها تناقضات بين الأصالة والمعاصرة، وهو ما يؤدي إلى تغيير ملامح المنظومة التربوية والتعليمية المحلية.

* تشير الأدبيات التربوية التي عكستها البحوث والدراسات إلى تنامي أدوار المعلم بشكل مطرد، وتغيرها بدرجة أكبر مما ألفناه في الماضي نتيجة متغيرات عديدة، ومن أهمها المتغيرات التقنية المنبثقة من ثورة المعلومات.

* لا ينبغي أن نحصر أنفسنا بين رفض العولمة أو قبولها، بل تقتضي الحكمة أن نتعامل معها بشفافية ووعي وكياسة ولغة واقعية تضمن هامشًا لخصوصياتنا الثقافية ومنظومتنا القيمية.

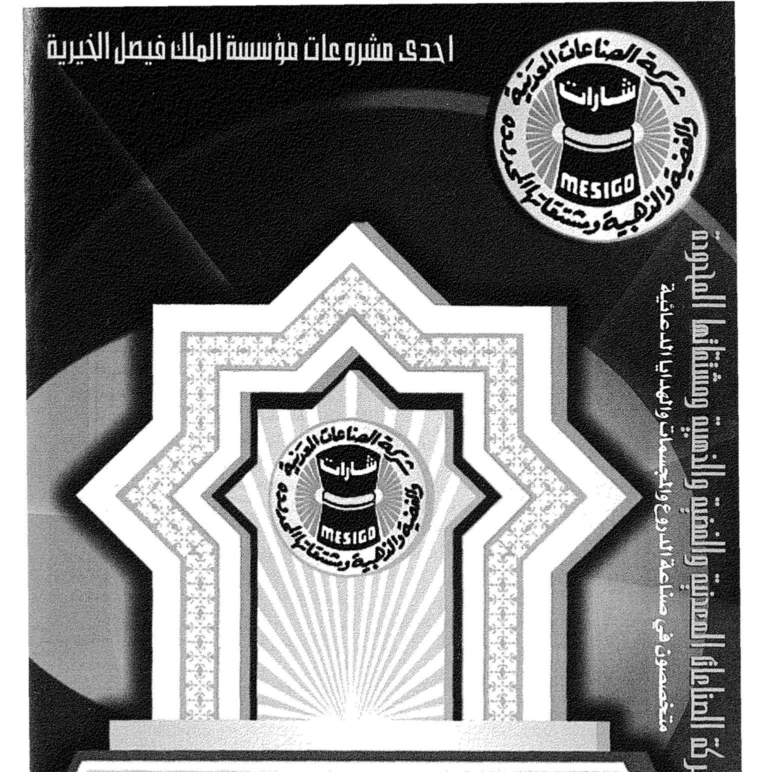
* تسعى العولمة إلى صناعة اتجاهات لصالحها في البلدان المختلفة مستفيدة من قاعدة: أن التغيير المعرفي يقود إلى التغير السلوكي والوجداني، وهذا هو القصد من الإلحاح على تغيير الأنماط الثقافية والتعليمية والتربوية داخل البلدان التي تقع خارج النطاق الجغرافي للعولمة.

* ترى بعض البحوث أن الموقف الإسلامي من العولمة يتلخص في عدم العداء المطلق للعولمة، بل في إمكانية الإفادة من المجالات المفيدة في العولمة دون فقد الخصوصية الحضارية، أو ذوبان الذات الإسلامية في الآخر، ثم بيان ماتفرضه المسؤولية التاريخية على العالم الإسلامي تجاه العولمة.

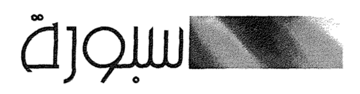
* إعادة هيكلة المدرسة أصبحت اتجاهًا دوليًا رئيسًا لإصلاح المدرسة حيث تأكيد عدم المركزية على المستوى المدرسي.

* الدعوة إلى تطبيق التعليم الشامل (نمط من الإصلاح التعليمي يهدف إلى أن يبث في داخل المقررات الدراسية نفسها منظورًا عالميًا في التربية لمواجهة الظواهر السلبية في العالم) في المنهج التربوي في المدارس كاستراتيجية تربوية في مواجهة تأثيرات العولمة في العصر الحديث.

* إن الأدبيات التي تناولتها البحوث وأوراق العمل تنظر إلى العولمة باعتبارها هيمنة غربية ومشروعًا أمريكيًا تحديدًا، يراد من خلالها فرض الهيمنة الكاملة على العالم العربي والإسلامي باسم العولمة، وأن التربية هي خط المواجهة الأول لتفادي آثار العولمة.


احدى مشروعات مؤسسة الملك فيصل الخيرية
شارات
MESIGO
شركة الصناعات المعدنية والفضية والذهبية ومشتقاتها المحدودة
إهداء

- علا صوت البيت فسكتت المدرسة !
- لكل ٥٠٠ مليون شخص حظٌ واحد !
- ثلاث ساعات للقضاء على «التفحيط»



علا صوت البيت فسكتت المدرسة!

عبدالله ناصر الداوود. الرياض

في الماضي القريب، كان للمعلم هيبته، وكان للمدرسة مكانتها، كان المعلم وقتها يحس بقيمته، وكانت له شخصيته، يأمر فيطاع، وينهى فيسمع. هو الأب الحاني، والأخ الرحيم، والقدوة المثلى، والساعد الأيمن للأب في تربية أبنائه.

وكانت المدرسة منبرًا للعلم ومعقلاً لتعليم الأخلاق، وتهذيب النفوس. لها قيمتها وكيانها، قلعة شامخة، وحصن منيع، وبيت يؤمه الجميع، ينهلون من معارفها، ويرتشفون من رحيقها.

فكانت النتائج باهرة، جيل نجيب على خلق عال، يقدر العلم، ويحرص عليه، سلاحه العلم والمعرفة، وهمه البحث والاستزادة، الكتاب صديقه والقراءة سلوته.

ولكن عندما علا صوت البيت على صوت المدرسة فقدت المدرسة هيبتها، وضعفت سطوتها، فصار المعلم ضعيفًا داخلها، وأصبحت المدرسة جوفاء تخاف من الجميع وتتعرض للوم، والانتقاد، فأهينت كرامتها وفقدت احترامها. عندها خرج لنا جيل ضعيف، لا يحب العلم ولا يقبل عليه، جيل يكره المدرسة ويحب التسلية، قراءته ركيكة، وكتابته مليئة بالأخطاء الجسيمة، جيل لا يقدر المسؤولية ولا يتحملها، ينهزم أمام أتفه المشكلات، ويقف عاجزًا عن حلها! وتعرض المعلم للمضايقة والإيذاء وتعرضت المدرسة للتخريب والاعتداء.

شكوى من ولي أمر كفيلة بأن تهز مدرسة بكاملها، وتنقل معلمًا إلى مكان ناء، وتجعل المشرف يهرول كالمجنون، والأوراق تنتقل من يد إلى يد، والتعاميم تكتب والقرارات تصدر!

عندما علا صوت البيت على صوت المدرسة، طغت العاطفة على القرارات، فدلل الطلاب وضيق الخناق على المعلم والمدرسة، فصارت المناهج ذات ألوان جميلة، وصفحات قليلة، وفائدتها العلمية ضعيفة، والنجاح فيها أسهل من قراءتها. وظهرت لوائح وأنظمة اختبار وصل الطالب الكسول والمهمل معها إلى أعلى الصفوف، بينما وقف معلمه أمامه عاجزًا ليس له من الأمر شيء!

وفي المقابل يضيق الخناق على المعلم، وتضاف إلى عمله أعمال ومهام أخرى تقيّده وتكتم أنفاسه مما أفقده السيطرة والتركيز، فأضحى كالآلة تقوم بعملها دون النظر إلى تربية أو أخلاق، فليس لديه وقت لتصحيح خلق أو تشجيع مجد أو مساعدة مقصر، فتساوى الجميع، وانعدم التمييز، وماتت المواهب فضاع دور المدرسة.

الزبون ليس دائمًا على حق

سعيد عبدالله الدوسري. الرياض

كثر الحديث في مجلة المعرفة عن المجلة ذاتها ومدى الإقبال عليها وتقبل القراء لها، فمن قائل إنها مجلة نخبوية لا يقرؤها سوى النخبة، ومن قائل إنها بوق لوزارة التربية والتعليم تزمر وتطبل للوزارة التي تنفق عليها بسخاء، ومن قائل يجب تغيير رئيس تحريرها، لأنه إذا صلح الرأس صلح الجسد كله، ومن قائل إنه ينتظر صدورها مطلع كل شهر على أحر من الجمر، وإنها تبقى مغلفة على طاولة المدير حتى يأتي هو ويفضّ غلافها بيديه في نهم وشوق!!

ما أود قوله إن هذه المجلة ليست للنخبة فقط، وليست للمعلمين وحدهم، ولا للطلاب دون غيرهم، بل تصلح لكل هؤلاء في قدرة عجيبة على إرضاء الجميع، رغم أن «رضا الناس غاية لا تدرك».

أما أن يكون شعار المجلة: «الزبون دائمًا على حق» أو «الجمهور عاوز كدا»، فهذا ما لا نريده لهذه المجلة المتميزة.

نريد أن تبقى هذه المجلة كما عودتنا دائمًا مجلة رائدة متواضعة في الوقت نفسه، تصل إلى القراء جميعًا على اختلاف مشاربهم فتحلق بهم معها عاليًا إلى أفق المعرفة.

سيد الثقلين

شعر: محمد أحمد الصحبي - القنفذة

بزغ الصباح بنور وجهك بعدما ... غشت البرية ظلمة سوداءُ

فتفتقت بالنور أركان الدجى ... وسعى على الكون الفسيح ضياءُ

ومضى السلام على البسيطة صافيًا ... تُروى به الفيحاء والجرداء

حتى صفت للكون أعظم شرعة ... فاضت بجود سخائها الأنحاء

دانت بها الدنيا لرب واحد ... ولعدلها، أصغى له الحكماء

ولنورها، وليسرها، ولحبها ... ضحّى خيار الناس، والشهداء

الله هيأها، وأنزل قوله ... فيها، وقصّر دونه الفصحاءُ

يا سيد الثقلين يا نبع الهدى ... يا خير من سعدت به الأرجاء

وحيُ السماء إليك جدّد عهده ... وإليك ينشد نورك الحنفاء

وحراء يشهد والجبال جميعها ... والركن والعرصات والبطحاء

شهدوا جميعًا أن أحمد مرسلٌ ... بالحق، من رب له العلياء

سبحان من نطق الجمادُ بأمره ... وتحققت في صنعهِ الآلاءُ

وأتى بخير الخلق طرًا منقذًا ... إذ كانت الشحناء والبغضاء

فتبدلت كلُّ الخصوم محبة ... وصفت بها الدنيا، وحلّ إخاء

ورست دعائم أمة مدنيّة ... الكونُ من أنوارها وضّاء

يا سيد الثقلين: شعريَ واجمٌ ... فأمام ذكرك يعجز البلغاء

ماذا أقول وكيف أنسج أحرفي؟ ... فالمدح أنت، وأحرفي أشلاء

أثنى عليك الله فوق سمائه ... في غير ما آيٍ، فجلّ ثناء

قد كنت في آياته متمثلاً ... تمضي بقول الله حيث يشاء

ودعوت في كل الأمور إلى الهدى ... حتى تقلّد أمرَكَ السعداءُ

ورسمت منهاجًا وسنة مرسل ... هي وجهة الركبان حيث أماؤوا

صلى عليك الله يا خير الورى ... يا رحمة يهفو لها الرحماء



كتابٌ عارية

عقيل ناجي المسكين . سيهات



يا ممسكًا أوصاليه ... أرجوك أن ترفُق بيَهْ

إن كنت قد قرأتني ... ونلت حتى الحاشية

طلبتني من صاحب ... يأسى لفقدي ثانية

فكيف إن أخَّرتني ... منذ الشهور الماضية؟!

خذني إليه مسرعًا ... لا تنس أني عارية

غربة

لطيفة البدر . الرياض



في غضون الوقت أشكو غربةً ... أودعت روحي حنينًا لا يذر

أيها الساكن في أوردتي ... راعني طيف فأضناني السهر!

كلما لاح لعيني طلعةٌ ... منك جذلى سرني ذاك النظر

فترانيم الجوى في خاطري ... عذبةُ الإيقاع يُذكيها السَّمر

يحتويها الحلم في ناحيةٍ ... فيلوح الحزنُ في ذاك القدر

بسمتي عادت ولكن طعنةً ... غُرست في جانبي ممن وزر

ليتني أخفيت قلبي عنهم ... أو تواريت بآلاف الصور

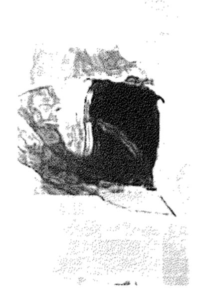
ووأدت الودّ في جنبي لهم ... قاتلو الإحساس... ما هم من بشر!

مترع الأشجان أمسي لا يَرى ... في دياجير الردى من ذا مفر

غربة أضنت معنًّى بائسًا ... شفّه الحزن وأضنته الفكر

في مآسيه تهاوى وانطوى ... يائسًا ترديه أغلالُ الكدر

فلتنم يا أيها القلب فقد ... يورق الغضنُ وقد كف المطر!!



سكووووت

هشام عبداللطيف النعيم . الهفوف

يميل بعض التلاميذ إلى التحدث مع أقرانهم في الفصل في أثناء شرح المعلم أو عرضه لوسيلة تعليمية، أو قيام الفصل بنشاط منهجي للمادة، معيقين بذلك بعض الشيء استمرار التعلم والتعليم، ومثيرين أحيانًا بعض المشاعر السلبية تجاههم من معلميهم أو أقرانهم، فيؤثر سلوكهم هذا في كلتا الحالتين على النمو الإدراكي لأفراد الفصل والعلاقات الاجتماعية الطيبة بينهم. وعلى العموم يشكل التحدث الصفي غير المناسب مشكلة عامة يمكن أن تحدث في أية مرحلة من مراحل التعليم.

ويبدو أن التحدث الصفي غير المناسب لدى أفراد التلاميذ يظهر بواحدة أو أكثر من الصيغ التالية:

* التحدث الجانبي مع أحد الأقران في أثناء الشرح أو الحصة.

* التحدث بصوت عال في أثناء إجابة المعلم أو إجابة قرين عن السؤال، كأن يردد عاليًا على سبيل المثال: «أنا يا...أستاذ...أنا يا أستاذ».

* الإجابة دون إذن، كأن يجيب في أثناء إجابة القرين أو المعلم عن السؤال، أو يجيب عليه عند توجيه المعلم السؤال لبعض أفراد الفصل.

* دعوة الأقران بألقاب غير مستحبة أو غير مقبولة اجتماعيًا، والتحدث بلغة غير لائقة أو تربويًا.

وتتمثل منبهات التحدث الصفي غير المناسب بمظاهره المتنوعة أعلاه فيما يلي:

* عدم معرفة التلميذ نظام وآداب الفصل.

* توفر صداقة متينة بين التلميذ وقرينه بحيث تشجع أحدهما أو كليهما دائمًا على التفاعل والتحدث معًا.

* حب الظهور أو التظاهر بالمعرفة لغرض نفسي يتجسد غالبًا في جذب انتباه الأقران وكسب ودهم وتقديرهم.

* عدم ميل التلميذ لقرينه نتيجة شعوره بالغيرة من تفوقه عليه أكاديميًا أو اجتماعيًا، أو منافسته له.

* وجود نزاعات بين أفراد أسرة التلميذ، وهو ما يثير لديه نسخ عادات غير مستحبة في الحديث، ومخاطبة الآخرين، كما هي الحال في السباب أو الشتم، أو عدم مخاطبة الآخرين بما يليق بمركزهم الاجتماعي.

ومن الحلول الإجرائية المقترحة للتغلب على التحدث الصفي غير المناسب:

* مناقشة المعلم تلاميذه في بداية السنة الدراسية أو الفصل الدراسي، أو عند تعليمه لهم لأول مرة، (إذا كان جديدًا، على الصف أو المدرسة)، حول آداب المعاملة ومظاهر النظام العام المفضلة، وتلك المكروهة أيضًا، وذلك للمساعدة على بلورة مفاهيم واضحة تزودهم بإطار اجتماعي وتربوي عام.

* فصل التلميذ وقرينه عن بعضهما بنقل أحدهما إلى مكان آخر، حيث يقضي هذا الإجراء على الحديث الجانبي للتلميذ، ويمكن أن يستعمل المعلم كذلك أحد إجراءات تقليل السلوك السلبي كالتوقيف أو الغرامة المؤقتة، أو الحرمان من منبه جيد وخلافه.

* مقابلة المعلم التلميذ والتحدث معه بأسلوب إنساني جاد حول سلبية الإجابة دون إذن أو في أثناء حديث عضو آخر من الفصل، ثم توجيهه إلى الاشتراك بأنشطة جماعية، يظهر لهم إيجابيًا من خلالها قدراته الخاصة.

* تعرف المعلم على أسباب معارضة الطالب لقرينه، وتعليقاته السلبية كلما أبدى الأخير مشاركة أو إجابة، وعلى مواطن الشبه بين الطالب والقرين غير المرغوب فيه.

* الكشف من قبل المعلم على نوعية تربية التلميذ الأسرية، وكيفية تفاعل أفراد أسرته مع بعضهم، أو نوع المشكلات السائدة بينهم. ويمكن للمعلم أن يحاول بعد ذلك الاجتماع بمن يهمه الأمر من أفراد الأسرة، أو يحول الموضوع برمته إلى إدارة المدرسة.

* تعزيز المعلم لسلوك التلميذ المطلوب مباشرة بالمعززات المناسبة لكل من التلميذ والموقف السلوكي للعمل على تسريع حدوث التعزيز واكتماله وتقويته.

الولادة والألم

قصة: ممدوح عبدالستار. مصر

«زففتُ البشارة إلى امرأة بسطام ورجوتها أن تجعل البشارة في قلبها بقدر الاستطاعة. ألقت سر وجودي على الرائح والغادي!!».

من يتلقاني حين أصرخ صرختي الأولى معلنًا في الفضاء وجودي المحسوس؟! لا بد من يد حكيمة تأخذ بيدي، فجلدي رقيق، وبدني ضعيف، وصوتي حبيس.

زكية لا تفكر في شيء غير الخلاص من أوجاعها، لكنها صرخت بكل عزمها، وقوضت سكون العالم، ولمت صرختها العدو، وانتصبت ستوتة واقفة تمنع الداخلين لحرمها الآمن. الألم الآن مشاع، الشيء الوحيد المخبأ عن عيون الناس جسد زكية التي تحفظه ستوتة مرغمة، وقفت ستوتة شامخة، وانحنت على زكية المركونة، ورفعت جلبابها المبلول بسوائل مختلطة الألوان، ورأت بعضًا من الغيب المفرح لها، ولد يا ستوتة، ولد يرفع رأسي، ولد يصلي لنا، ويذكرنا الناس به...، قوائم بيتنا التي تتوارثها الحريم منذ خمسين عامًا أو يزيد!!!

نسيت نفسها في الغائب، الحاضر، وفي ذكرها الدائم. (خلودها)، وفي تعديل كفة الميراث «الولد يقش»، قالت لنفسها، وابتسمت ساعتها. تحسست بفرحة وجهها المكرمش، وفعصت دماملة، واستعادت ذكرياتها، فاحتلت مساحة الرؤية ابنتها فاطمة التي تسعى في بلاد الله، ولم تتذكر من ولادتها غير أنها لم ترضعها مدة أسبوع، حتى كاد اللبن ينشف من صدرها، وسألت نفسها عن سر كرهها للبنات. ربما الزمن وعدم الإنجاب يفرز إجابة مقنعة. هذا سرها دائمًا وأبدًا. لا أحد يعرف، وهي لا تفصح!! وتذكرت زوجها الذي فارقها منذ ثلاثين عامًا أو يزيد، لا تعرف له قبرًا أو مطرحًا، لا تعرف أهو حي أم ميت؟

هرولت ستوتة، وصاحت في أم الفار (الداية) وكانت تسكن أمامنا، حين كنت أفسح مكانًا لنفسي جالبًا بعض الألم وكل النشوة لمن ينتظر!

تلقتني أم الفار، وكانت تسحبني بحكمتها، وأنا كالجمل، إن قيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ. أخذتني، ورمتني على خرق بالية كثيرة بعدما مسحت عني الدم الفاسد. والمنتظرون يلتفون حولي، يمنعونني الرؤية والهواء، وأنّى لي أن أزجرهم؟! فحيثما تكن الجثة تجتمع النسور!!

اجتمع خلق كثير حينما لبوا ندائي وصراخي، فأتوا مهرولين، ليشهدوا منافع لهم، وليميزوني، وليتقربوا لي بالقرابين، معلنين وجودي على الملأ. كانوا يدورون حولي يبتهلون ويترنمون. حين انتهوا من تقبيلي، وإنارة القناديل والدعاء، أشرت إلى من وكلتهم بضيوفي أن يخرجوا من كل صنف بهيج، وبهجنا جميعًا. وبين الحين والحين أصرخ متذكرًا شيئًا ما غائبًا لا أعرفه. دخان النرجيلة يغشي المكان، ويفرق بين الأجساد، لم أتعود بعد عليه، فسعلت كثيرًا، والصباح على وشك الانفلاق.

لم أبد اعتراضًا في الأيام الأولى حتى كبُرت سعلاتي في صدري، وأصبحت تلازمني كحضن وثدي أمي، حتى بلغتُ خمس سنين.

أفرغت اللوزتان ماء وصديدًا نتنًا في أذني، حتى كلَّ سمعي، بت أنظر وأمعن النظر في حركة الشفاه.

وحملتُ قسرًا إلى الطبيب رماح بالمدينة المجاورة، هدَّني الألم، وآهاتي تسربل وجوههم بالغم، الطبيب أصلع، يكسوه لحم أحمر، له نابان كأرنب جبلي، نظرته من خلف نظارته حادة. أعترف أنه جزار، وله ملامح جزار أعرفه عن قرب.

- يحتاج عملية.

فهزت رأسها بالموافقة.

- يدخل المستشفى، وتعمل العملية بعد يومين.

الله يبارك فيك.

- البركة فيك

وهو يلوح لها لتحدف المطلوب

- أنا على باب الكريم!!

- كلنا على باب الكريم، تلاتين جنيه يا حاجّة.

ضربت أمي صدرها بحرقة ما أوقع الطبيب في حيرة، غبَّرت النهار وسودته، فطردنا الطبيب شر طردة، رجعتْ إليه عسى أن يخفف، يئست منه، وجّرتني، كادت تخلع ذراعي، لم تلحظ تأوهي. عادت إليه، عسى أن يخفف عنا، توسلت، ودعت له بأدعية مخصوصة، رق حاله قليلاً وسأل عن زوجها، أسرعت في الإجابة:

- عاطل.

خبط كفًا بكف، ومص شفتيه، وتعلقت نظرته على هدومها، أحستْ بموقفها الحرج وغير القانوني، فقالت:

- أبيع الفجل والجرجير.

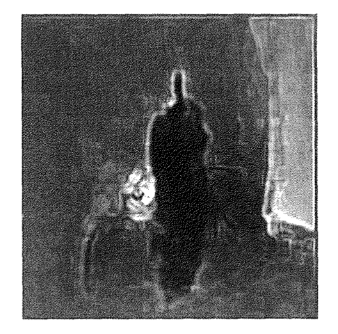
قال بصوت عال:

- بتكسبي أكثر مني.

سحبتني غاضبة، وكانت تبرطم وتود أن تدعو عليه، لحقها قبل خروجها، وخفف عنا ثمن العملية وجعلها عشرين.

كل ما كان يعمله بسطام معرفة ما جرى فقط، ثم يعود إلى الحانة ونرجيلته، أصابني فزع وهم مذ كانت أمي تهرع إلى المرض والطبيب. تتوسل، تدعو، وتبكي أحيانًا. وتجلس على البلاط البارد بجلبابها المتشح سوادًا، كان بكاؤها يرطب قدميها الوارمتين. التصقت بالأرض، وعفرت جبهتها شكرًا لربها حين وافقوا على الدخول.

المستشفى كبير، وليس لي به عهد. توسمتُ فيه كل الخوف والرهبة. حاولتْ تهدئتي، أفرحتني بسباطة موز بلدي، التهمتها خوف الجوع، تركتني وهي تتوسل إليّ أن أتحمل الليلة فقط، رغبة في الشفاء، شغلني السرير المريح،



وكنا ننام على الأرض، وجسدي النحيل يغوص فيه ليعرف أسراره، حتى أدركني النعاس، وبطني مملوءة فاكهة كثيرة.

صحوت على هزة هينة من المرضة المتشحة بالبياض، قمت والفزع يمتلكني، سرت وراءها كما أمرتني، وهي تفرقع بخفها، والنور الأبيض البسيط يقع على البلاط، فيزيدني رهبة ورغبة في الهرب. أين أنت يا أمي؟ والليل قد انتصف وليس معي نقود. ليس لي حيلة في الرجوع. استسلمت لها، وكشحتُ ملابسي عن آخرها. حتى بانت مؤخرتي، ماذا تريد؟! ورشقتْ بها حقنة، وأفرغت في جوفي ماء مختلطًا بالصابون، بكيت - وقضاء أخف من قضاء - والماء دافئ في بطني وعلى خدي. قرقع جوفي كما كانت تقرقع المرضة بخفها. كررت معي المحاولة، لم تفلح، حتى انفلق الصباح، فصمت ذلك اليوم شكرًا حتى خلا جسمي النحيل من لقمة تقيم أودي.

لما انقضى وقتي، سحبوني على وجهي فوق منضدة تسير، دخلت الغرفة وأمي لم تدخل!! والأشباح الموجودة ملثمة، مستعدة لتقطيعي (وما اجتنيت ذنبًا) بالسكاكين التي من كل صنف ولون، وهي بكثرة تسد عين الشمس. وحدث ما حدث، ولست أهلاً لمعرفة تفاصيله، ورحمت نفسي بمعرفة قدري، غبت عن الوجود من الشروق إلى الأصيل، نطقت، فانطلقت أمي تتحسسني، حاولتُ القيام، فقامت القيامة من جوفي، وانكب ما فيه من مخدر.

نظرت حولي، فلم أجد إلا أمي، وحين خرجت تعكزت عليها، وسرت أتنسم من المدينة وضجيجها المعهود لدى أصحابها الغريب على سمعي. ودبيب في بطني يمزق أحشائي، ووقفت أمام عربة متجولة تبيع الكشري للأغراب، المخلوط بالذباب والطين والزلط، فأخرجت كيسها المربوط دومًا على صدرها.

دخلنا قعر الدار، والحصيرة في صحنها، وبسطام قاعد، ممدد، يدخن نرجيلته التف إخوتي حولي، يمنحونني رؤية كانت غائبة، وشوقًا يملأ جوارحي، والجيران من كل صوب وجهة يباركون خدي بالقبل، فقد عرفوا موعد قدومي، لم يقم بسطام ولم يبد التفافًا، حتى قعدت بجواره، فتبسم وانتهى إلى نرجيلته!!

لكل ٥٠٠ مليون شخص حظٌّ واحد!

فؤاد أحمد البراهيم - الجبيل

علم الأبراج علم قديم، أول من تحدث عنه منذ نحو ألفي عام البابليون، ومن ثم اليونانيون، والرومان، والمصريون، وانتقل بعد ذلك إلى بقية دول العالم.

قسم البابليون الأبراج على أساس دوران الأرض حول الشمس مدة عام، ولذلك جعلوها اثني عشر برجًا على عدد الشهور، ودرسوا تأثيرها في الأرض، وحياة الإنسان ومستقبله. فهل بين الأبراج وبين أحوال الأرض رابط؟

يوجد رابط استدلالي بين الأبراج وأحوال الأرض، فمن خلال البروج الشمسية الأربعة الرئيسة، وهي الحمل والسرطان والميزان والجدي، يمكن تحديد مواعيد الزراعة، وحصاد المحاصيل، كذلك يمكن تحديد مواسم الصيد البري للحيوانات والصيد الجوي للطيور المهاجرة، والصيد البحري للأسماك، كذلك يمكن تحديد مواقيت المد والجزر، وتحديد مواعيد الكسوف للشمس والخسوف للقمر الذي تتفق فيه البروج الشمسية مع المنازل القمرية. أيضًا يمكن تحديد مواسم فيضان الأنهار، وحساب طول السنة الشمسية والسنة القمرية، ومعرفة أحوال الجو والطقس، وأوقات هطول الأمطار.



فإذا كان لعلم الأبراج كل هذه الدلالات على أحوال الأرض، فهل له أثر في معرفة مستقبل سلوك الإنسان، وأحوال معيشته؟

تصوّر وجود رابط بين الأبراج وحياة الإنسان تصور قديم، وظهر علم في هذا، (ولا يزال حتى هذا اليوم) تجد الأبراج موضع اهتمام في عدة صحف ومجلات، حتى الإنترنت لم تخل منها، كذلك بعض القنوات الفضائية تتعرض للبروج، وتأثيرها على مستقبل الإنسان!! ولعل أكثر من يلجأ إلى هذه البروج هم من يعيشون في حالة قلق وخوف من المستقبل، أويعيشون في حالة من المصائب، فيبحثون عن حل لها عن هذا الطريق تحت سيطرة التفكير الخرافي.

يصدّق بعضهم ويؤمن بأن مواصفات الأبراج تنطبق على مواليد هذه الأبراج. والحقيقة أن الإنسان يولد في الأرض، وتتأثر سلوكياته بعامل الوراثة والمجتمع والبيئة المحيطة، وهي التي تجعله سعيدًا أو تعيسًا، ناجحًا أو فاشلاً، طيبًا أو مجرمًا.

وإذا قيل: إن لدرجة الحرارة أثرها في الإنسان، فالناس الذين يعيشون في مناطق حارة يختلفون عن أولئك الذين يعيشون في مناطق باردة، نقول: إن هذا لظروف معيشتهم، وليس هذا لتوقيت البرج الذي ولدوا فيه، وهذا يرجع إلى تأثير مناخي وتأثير الشمس وليس تأثير النجوم، وليس له علاقة بالنجوم. فالإنسان يتأثر بأشعة الشمس والأشعة المنعكسة على القمر أو الكواكب السيّارة القريبة من الأرض، ولا يتأثر بالأبراج، لكن هذا التأثر تأثر فسيولوجي أو بيولوجي وصحي ونفسي، وليس تأثيرًا يوضح ويكشف مستقبل الإنسان.

إن الاختلاف الكامل بين جميع الناس أمر واقع في جميع شؤون الحياة، فأنت إن نظرت إلى جميع البشر فستجد أشكال البشر مختلفة، قال تعالى: ﴿**ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين**﴾. وإذا اعتبرنا أن الأبراج هي التي تسير البشر كان ينبغي أن يكون هناك تشابه كبير بين

البشر في السلوك والأشكال. إن عدد البشر على الأرض ستة آلاف مليون، وهذا يعني أن عدد مواليد كل شهر في السنة سيكون ٥٠٠ مليون شخص، وسوف تتشابه حظوظهم، وهذا هو المستحيل، فإذا جاءت الأبراج لتقول سيموت عزيز عليك، فهذا يعني موت ٥٠٠ مليون شخص!!

ومن جهة أخرى فالفلكيون يؤكدون أن عدد الأبراج لا ينطبق على عدد الشهور، بل هي ثلاثة عشر برجًا وليست مقسمة على الشهور، إذ إن كل برج لاتقع فيه الشمس لمدة شهر كامل، بل قد تكون أقل من شهر أو أكثر من شهر، وتصل إلى سبعة أيام كما في برج العقرب إلى خمسة وأربعين يومًا كما في برج العذراء. المسار الظاهري للشمس الآن يمسح ثلاثة عشر برجًا، بدلاً من اثني عشر برجًا، حيث أضيف برج «الحواء».

ودليل علمي آخر وهو أن التشكيلة النجمية الظاهرية التي تكوّن البرج الواحد بعيدة جدًا عن الأرض. تبعد عشرات أو مئات، أو ربما آلاف السنوات الضوئية عن الأرض، حتى إن نجوم البرج الواحد متباعدة بمسافات شاسعة، ولكننا نراها مجتمعة ظاهريًا على شكل برج. ولربما تكون بعض النجوم التي تزين البروج الشمسية ميتة منذ آلاف بلايين السنين، وما نراه منها اليوم هو ما تبقى من ضوء بناء على سريان الضوء بالسرعة الضوئية التي قدرها العلماء بمقدار ١٨٦ ألف ميل في الثانية!!

قال تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾.

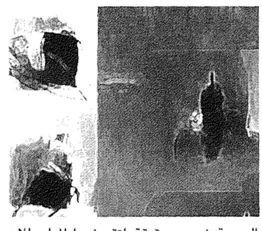
ثلاث ساعات للقضاء على «التفحيط»

علي سليمان الدبيخي - بريدة

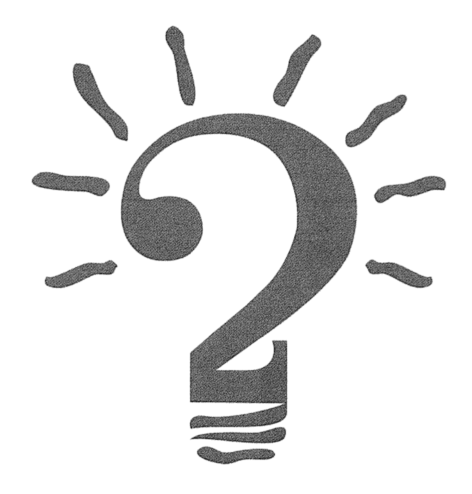
مع نهاية كل فصل دراسي وخصوصًا الاختبارات وما يتخللها من أوقات فراغ يضع المربون وأولياء الأمور أيديهم على قلوبهم خوفًا على أبنائهم من أخطار الطريق، حيث يستعرض كثير من الشباب الطائش مهاراتهم القيادية عبر الشوارع بمركباتهم أو دراجاتهم النارية، وقد يستدرجون صغار الطلاب إلى ما لا تحمد عقباه!

إنني لا أريد سرد ما يحدث للطلاب في أثناء انصرافهم من مدارسهم بعد أداء الاختبارات لأن ذلك يعلمه المسؤول وتعلمه الجهات الأمنية.. لكنني سوف أطرح حلاً علميًا وتربويًا يمكن تطبيقه خلال أيام الاختبارات للبنين والبنات.

الحل هو إعداد جدول دراسي لأيام الاختبارات، حيث تكون الحصة الأولى والثانية للاختبار بمعدل ثلاث ساعات ونصف، فيبقى من الوقت حسب زمن مواد الاختبار حوالي ساعتين ونصف أو ثلاث، هذا الوقت يقوم مدير المدرسة بإعداد جدول يومي دراسي للمواد التي سوف يختبر فيها الطلاب غدًا، ويكون زمن

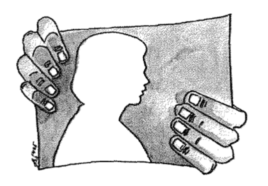


الحصة خمسين دقيقة يلتقي فيها المعلم طلابه ويتدارسون معه ما أشكل عليهم، ونكون قد حققنا جملة من الإيجابيات، من أهمها: حفظ وقت الطالب داخل المدرسة، وقطع الطريق على المتربصين بالتغرير بالطلاب والقضاء على التجمعات و«التفحيط» في أثناء تلك الفترة، كما يسهم ذلك في التقليل من الدروس الخصوصية حينما يتلقى الطالب درسًا مركزًا من معلمه قبل الاختبار بيوم.





المجلة «الثانية» في العالم العربي



عزيزة المانع :

الرجل أحمق إن صدق قولها
:«عش العصفورة يكفي» .



نوتة

امرأة أنا . .!!



نورة السعد :

لأني صريحة خسرت
مواقع وظيفية .

حياة كل واحد منا جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته.
حسنًا . . وعماذا هو يتحدث إذًا، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيبًا، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها – المعرفة – لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!
وضيفة هذا العدد هي: د. نورة السعد أستاذ علم الاجتماع بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة والكاتبة الصحفية.



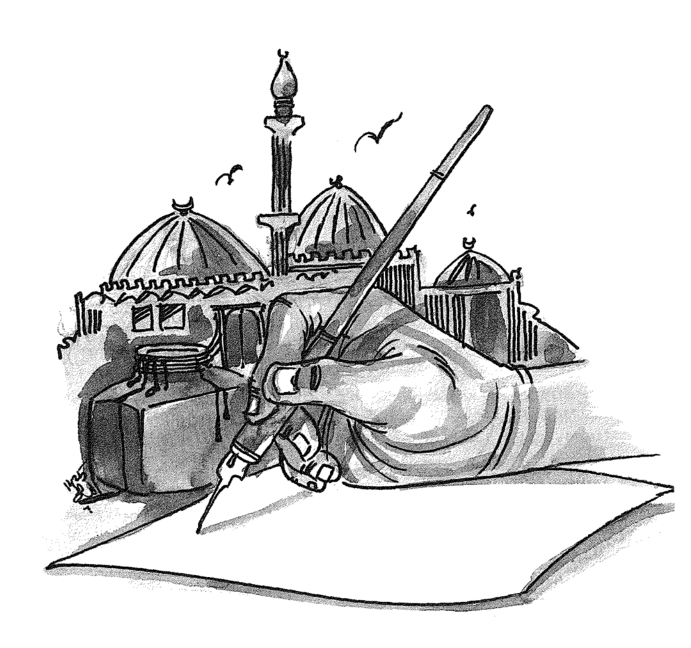
نورة السعد :

فشلت «ولله الحمد» في تغيير بوصلة توجهاتي الفكرية

* أخفقت في تحقيق «حلم» راودني وأنا في المرحلة الثانوية وهي أن ألتحق بكلية الطب وأكون «طبيبة أطفال»، بل وفي طفولتي كنت أقوم بكتابة اسمي في أوراق صغيرة تشبه «روشتة الطبيب» وأكتب فيها اسمي وبقربه عبارة «طبيبة أطفال».. وكنت أتخيل أن عندي «عيادة طبية» أعالج فيها أبناء قبيلتي وأبناء الفقراء في مدينة جدة.

وكبر هذا «الحلم» والتحقت بالقسم العلمي تمهيدًا لدخول كلية الطب، ولكن بعد حصولي على الثانوية العامة، لم يوافق والدي على سفري إلى الخارج للدراسة مثل بقية زميلاتي، وكانت صدمة لي. ولم أرغب في مواصلة تعليمي الجامعي! ربما اعتقادًا مني أني سأغير رأي والدي رحمه الله!!

ولكن لم أستطع تنفيذ هذا.. واستجبت لرغبته رحمه الله في الالتحاق بكلية الاقتصاد والإدارة في جامعة الملك عبدالعزيز التي كانت الجامعة الوحيدة، وتم افتتاحها في ذلك العام في جدة. وكنت مستاءة من هذا



- فشلت أن أكون طبيبة أطفال بسبب والدي . .
- «جيد» كاد يحرمني من علم الاجتماع .
- فشلت أن أكون رسامة بسبب استهزاء معلمة!
- . . .وفشلت في أن أكون «منافقة»!

لأني صريحة خسرت مواقع وظيفية .

أخفقت وبجدارة في إجاباتي عن أسئلة الصحفيين التي تردني .

الاستسلام للموجة القادمة من التغريب . . خيانة!

التخصص في السنوات الأولى من الدراسة.. ولكن بعد تخرجي في الكلية.. حمدت الله أني لم ألتحق بكلية الطب لأني لن أكون «طبيبة» جيدة، وأدركت بعد ذلك أني ربما رغبت في التخصص استجابة لا شعورية لرغبات الأهل!! ولم تكن رغبتي الحقيقية.

* أخفقت في أن التحق بتخصص «علم اجتماع» عندما ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الماجستير.. لأن تخصصي الجامعي كان بكالوريوس إدارة أعمال.. وخبرتي كانت في مجال «التعليم العام»، لأني في أثناء دراستي الجامعية «عصرًا»، كنت أعمل في الصباح «معلمة» في المدرسة الابتدائية الأولى في جدة، ثم بعد ذلك مديرة لمدرسة متوسطة بعد التخرج في الجامعة. وكانت شروط الجامعة للالتحاق بالتخصص في «علم الاجتماع» للماجستير، هي الحصول على تقدير «جيد جدًا»، إذ لم أكن حاصلة على شهادة البكالوريوس في «علم الاجتماع». ومن سوء حظنا نحن خريجي جامعة الملك عبدالعزيز في الدفعات الأولى، أن تقدير «جيد» كان يعادل «جيد جدًا» فيما يخص الخريجين بعدنا، إذ قاموا بتغيير «المعدل» بعد تخرجنا، ولجأنا إلى معالي الدكتور محمد عبده يماني، وكان مديرًا للجامعة حينئذ، «مطالبين» بذكر ذلك في وثائق التخرج، ووعدنا بذلك، ولكن عندما رغبت في الحصول على الوثيقة من الجامعة عند قبولي في البعثة للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية، وجدت أن الجامعة لم تعدل «التقدير»!! وقالوا لنا لا يمكن ذكر ذلك، أي لا يمكن ذكر أن «جيد» يعادل «جيد جدًا» حاليًا.

ولهذا واجهتني مشكلة التوفيق بين رغبتي في دراسة الماجستير في «علم الاجتماع»، وبين عدم مقدرتي على الانتقال من الولاية التي يدرس فيها أخي الذي كان يدرس هناك قبل سفري إليه. ولهذا اضطررت إلى التخصص في «الأصول الفلسفية والاجتماعية للتربية» في جامعة مينيسوتا تقديرًا منهم ـ كما قالوا لي ـ لخبرتي في التعليم العام، ولكن بالطبع كانت هناك «كورسات في التخصص» كان لابد من اجتيازها بتفوق قبل السماح لي بالالتحاق في هذا التخصص.

أعترف أنها كانت مرحلة مهمة في حياتي لأن الخوف من الفشل في الحصول على تقدير امتياز في تلك المواد، وعدم المقدرة على تغيير التخصص لعدم مقدرتي على الانتقال إلى ولاية أخرى أو جامعة أخرى دائمًا يحفزانني لمزيد من الجهد، ولكن ولله الحمد استطعت بجهد ومثابرة اجتياز تلك المواد والالتحاق بالتخصص.

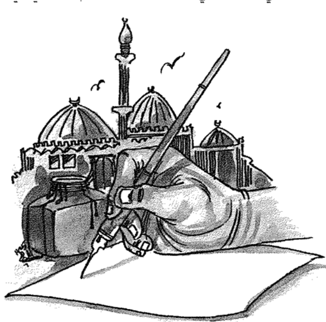
وكثّفت دراستي في مواد «علم الاجتماع». وأحمد الله على هذه التجربة لأنها أثبتت لي أن مجالي في المهنة و الدراسات الاجتماعية وليس حقل «الطب»، رغم اعتزازي بمن التحق بالطب من أبناء إخوتي وأخي وبالعاملين في هذا المجال.

* من الإخفاقات التي أستعيدها دائمًا، هو إخفاقي في أن أكون «رسامة»، فقد كنت أميل إلى الرسم في

طفولتي، وتدهشني تلك اللوحات الجميلة التي تنشر في المجلات، وحاولت ممارسة هذه الهواية كثيرًا. بل كنت أقوم بتأليف قصص للأطفال بالرسم وأنا في المرحلة الابتدائية. بالطبع كانت «الرسوم المرافقة» ليست ممتازة، ولكن أعتقد أنها كانت بدايات لموهبة لو وجدت من يشجعها لربما أصبحت «رسامة»!!

ولكن يرحم الله معلمة الرسم في المدرسة الابتدائية التي ضحكت من بعض محاولتي «الرسم» أمام الطالبات واستهزأت بها، ولا يزال «وجعي» من تلك الوقفة في مراحل حياتي يعاودني أحيانًا كلما زرت معرضًا لبعض الرسامين، وخصوصًا المتفوقين منهم ومنهن. قتلت تلك المعلمة رحمها الله في داخلي تلك الموهبة، وبقي لي منها «التذوق» لما في هذا الإبداع من جماليات، فاللوحات الجميلة تتحدث «بلغة عالمية» يتقنها ويفهمها ويتواصل معها الملايين من البشر في العالم. وربما تغنيك «لوحة» عن «مقالة» إذا ما كان مبدعها «مثقفًا وواعيًا». ولهذا أغبط بعض صديقاتي الرسامات كثيرًا!!

* أيضًا هناك إخفاق آخر، أعترف به وهو فشلي في أن أكون «قاصة». فقد كانت لدي موهبة كتابة «القصة القصيرة»، وكانت لي «محاولات عديدة» في طفولتي. وبدايات ممارستي الكتابة في الصحف، ولقد نشر لي قصتان في بعض صحفنا، ولعدم مثابرتي في



هذا المجال، وخصوصًا ما كتبته من هذه «القصص» في أثناء دراستي في أمريكا، فقدت الاهتمام بهذا الإبداع، ولكني لست نادمة على هذا.

* أخفقت أيضًا وبجدارة في أن أكون «منافقة»! ولقد خسرت بعض مواقعي الوظيفية لأني كنت «صريحة» في إبداء رأيي في عدد من الوقفات الإدارية في مواقع عملي، وكانت إحدى زميلاتي تقول لي: ينبغي أن تكوني دبلوماسية! قلت لها: بل قولي «منافقة»!!

بالطبع الفرق واضح بين الدبلوماسية الرشيدة وبين «النفاق»، وخصوصًا إذا كانت القضايا التي هي محور النقاش قضايا تتعلق بالمبدأ!! و«المبدأ» في حياتنا خصوصًا إذا كان يرتبط بقيم الأمانة والصدق، هو «الأصل» وليس العكس.

* أخفقت وبجدارة في أن أكون عند حسن ظن عدد من الأخوات والإخوة الذين يرأسون تحرير بعض المجلات، أو يعملون متعاونين فيها، فيما يخص إجابتي على ما يوجهونه لي من «أسئلة»، وأعترف بهذا الفشل في إيفاء حقهم من الإجابة!! وأدرك أنهم الآن وعند قراءتهم لهذا الاعتراف سيباركونه! أو يؤيدونه!

وحقيقة لا أعرف لماذا لا أنجز هذه الإجابات في وقتها!! رغم حرصي على ذلك. وربما بعد «اعترافي» هذا سألتزم ! أقول «إن شاء الله».

* أعترف أني فشلت ولله الحمد في تغيير بوصلة توجهاتي الفكرية «مثل البعض»!! لتواكب متغيرات الحاضر، والاستسلام للموجة القادمة من تغريب!! وتقليد للغرب في معتقده وتوجهاته! وتمرير مريض وخائن لبرامجه وخططه القادمة الاستعمارية. وأعترف أني لا أهتم بما يقوله عني من أخفق في أن يكون «صامدًا» على مبادئه محافظًا عليها!!

* أعترف أني أخفقت في استعراض ما طلبته المجلة «١٥ اعترافًا بالفشل» ■

نورة السعد

الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى.. نسمع.. نتكلم و.. نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.

امرأة أنا..!!

فاطمة السهيمي - القنفذة

قادمة من روح التاريخ، الذي يومًا ما، لم ينصف أو ينتصف، وقفت هنا على تلّة الحضارات المتعاقبة ولم يأت القمر، انتظرت رائحة الفرج، لم تفحْ، فاحت فقط، أمثال خلّدت شيطانيتي، وحِكَمٌ كرّست خطيئتي، ومأثورات رسخت دناءتي.

بكيت..!!

على حافة الأزمنة الراحلة والقادمة، أسقطت دموع اللوعة والأسى، فسمّوها دموع التماسيح، دافعت عن حقي في أن أعيش أو أكون، فسمّوني: التمرد، قرأت سيرة البشرية الأولى، فوجدت صفتي المنقوشة في كل الكتب: الخطيئة..!!

جلست على سفرة الأحلام، فقالوا: تفاحتك أخرجت آدم من الجنة..!!

ركضت نحو المرآة أنتظر منها أن تنصفني، فقالوا: الفتنة..!!

حاولت أن أستأثر بزوجي الذي اختارني ولم أختره، فقالوا: أنانية..!!

لذت بالأهل خوفًا من قسوة الغريب، فأصبحت: عانسًا..!! ملّ الوالد من طول مكثي، وعيّرتني أمي بابنة الجيران، ثم رحلا، فامتعض الشقيق، وسألتني زوجته الرحيل، عدت للغريب الذي ليس منه بد، فقال: آلآن..!!؟ وقد مضى العمر، وحلّ الخريف..!!

امرأة أنا..!!

بحثت عن نفسي في الكتب، فوجدت الفلاسفة لم يهملوني، والعباقرة لم يتجاهلوني، والأدباء لم ينسوني، فتشت بلهفة عن نفسي، فلم أجد الجديد، فأنا الفاتنة وأنا الفتنة، وأنا الساحرة وأنا السحر، وأنا الناقصة، وأنا النقص، وأنا المتعة حينما يريد الرجل، والجمال حينما تهفو نفسه للجمال.

لكنني فيما بعد استحيل ماردًا في قمقم، وشيطانًا في ثوب إنسان، وتنينًا يحطم كل شيء، في سبيل الحصول على أهدافه..!!

وضربوا لذلك الأمثال، ورصدوا الشواهد ورصفوا الأدلة، وحشدوا الحجج..!!

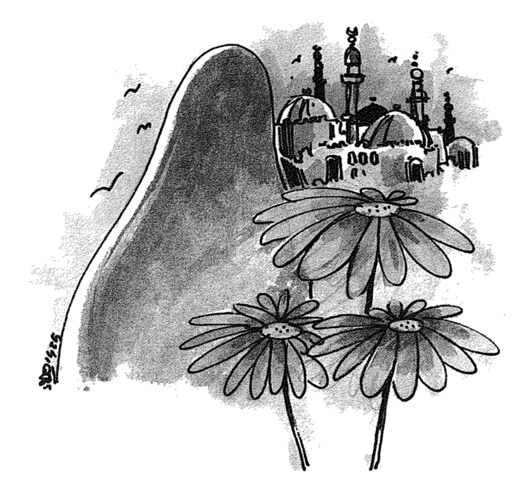
أقفلت دفتي كتاب ذلك الفيلسوف المسمى: الرجل، وبتُّ أتطلع إلى فجر جديد، قد يأتي بعد حين.

تحررت..!!

ولدت خديجة، حينما دب الإسلام في أوصال الحياة الهامدة فعادت تناغي الألق من جديد.

ولدتُ من جديد..!!

سمعت صوتي، لأول مرة ربما، وعلمت أن فتحًا



جديدًا، سوف يأتي، وفتحة وليدة، سوف تثقب في جدار العزل العنصري الأصم.

تهت بزوجي..!! أحببته..!! عززت عليه..!! حاورته..!! احترمته..!! احترمني..!!

نعم، الاحترام بشحمه ولحمه، الاحترام الأثير، الذي طالما شعرت أنه خيالات شاعر، وأحلام مجنون، وتهيؤات ممسوس.

تذوقته، عشته وعايشته، لمسته وتحسسته، كنت خديجة، كنت بعد خديجة عائشة.

عوملت كإنسان، يشعر ويحب ويكره، يفكر ويقرر، ينقد ويحلل، يتأمل يفعل، يصيب ويخطئ.

والرجل الذي طالما قهرني واحتقرني، ها هو يقف بالباب يستفتيني.

ابن عباس وابن الزبير، وعمر..!!

أسماء من الوزن الثقيل، الذهبي، العظيم..!!

كنت عائشة.

كنت فاطمة.

كنت حفصة.

كنت امرأة.

امرأة أنا.

تمر علي الأيام، والأعوام، والأحلام، والآلام، والأزمان.

كما تمر على الرجل.

وتطل الحضارة والتحضر، والمدنية والتمدّن.

وتطل الدعوات الجديدة برأسها من كوّة الأحداث، ويزعم الشريك اللدود أنه قد قرر أن يحررني..!! وحرت في هذا التحرير.

الرجل يريد أن يحررني، وأنا بوصفي مسلمة لم أكن بحاجة إلى هذا التحرير، الذي انتظرته قرونًا، فلم أجد سوى القهر والاضطهاد.

ولكن القوة العظمى قررت، وانتهى الأمر.

أغمضت عيني على مضض.

...فتحتهما.

فإذا بي أملأ أغلفة الصحف والمجلات، وأحتل صدر المشاهد وأملأ المنتديات، صخبي يملأ الشاشات، وجسدي وقود الإعلانات، وابتسامتي الباهتة تحكي عن حالي، والقوة العظمى تتاجر بي.

في المسلسلات لا دور لي سوى جذب المشاهد، «الرجل».

وفي الإعلانات جسدي يستخدم لترويج بضاعة التاجر، «الرجل».

وفي الشاشات فتنتي تستخدم لترضي غرور المتابع، «الرجل».

وفي الرياضات: أمارسها لأحقق متعة رياضية مختلفة للمشجع، «الرجل».

وفي الأسواق أستخدم جميع الوسائل لجذب المتسوق، «الرجل».

وفي الحفلات أفعل كل شيء لإرضاء المدعو، «الرجل».

وفي البارات والحانات، والملاهي والمراقص، والمسارح والمنتديات، يموت شرفي، وتمزق كرامتي، وتنتهك إنسانيتي، وتنسلُّ سعادتي، ويذبل شبابي، وتتلاشى أنواري، وتنضب أنهاري، وتغرب أقماري..!! من بعيد، تلوح جنازتي وقد تقطعت أوصالها، وفاحت رائحتها، ولم يشيعها أحد، والقوة العظمى تضحك ساخرة من منظر غروبي، وتنفض يدها من غبار وجودي..!!

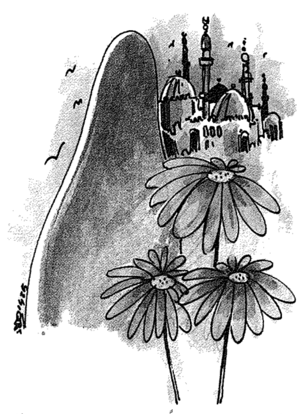
وأنا هنا، أو هناك، أنزوي متكورة على أحلامي النازفة، أبحث عن الأمان في الزوايا والدروب، فألفى كل العشب وقد نسي لونه الأخضر، وتأوهت الأرض، ثم فتحت فاها الضخم لتلتهمني، تبتلع عاري للأبد، دون أن يحررني محرري من لسعة الغياب الأبدي، وحرقة الموت الصامت.

امرأة أنا..

في بلاد الحرمين، أعلاني الدين وأغلاني، ولم أكن من هذا الهراء والبلاء - بفضل الله - أعاني، وعرفت الحجاب منذ صغري، أحببته، كفارس يهوى حصانه النجيب، فلا يبتغي له بدلاً، كان السلاح والفلاح، كان الهدف والقضية، عنوان راسخ شامخ، واضح صالح، للقراءة والتهجي، خريطة واضحة المقاسم والمعالم، في عالم أصم..!!

ولقد سمعتهم..!!

كانوا يتحدثون سرًا، خفت منهم، لذت به، صمت، والخوف يطل ويغيب، كانوا يفتشون



في الكتب والمجلدات بحثًا عن دليل يرفعونه شعارًا، ليحرروني من الحجاب..!!

آه.. صوتهم يعلو، وأصبح السر جهرًا، والهمس صدعًا والفكرة أمرًا.

بغداد مرة أخرى..!!

الرجل يريد أن يحررني، هو مشتاق لرؤية وجهي الذي أخفيته عنه دهرًا، فأشرقت فيه ابتسامة الحياة، ونبتت على وجنتيه أزهار الحياء، ونامت فيه أسرار العظمة، وبذور النخل والزيتون.

لا بد من تمزيق ثوب بغداد، لتقتنع القوة العظمى، فلا تعربد في البحث والتخريب، لتمزق أثوابها مختارة، لئلا تخسر بتمزيقها مجبرة المزيد..!! فلتتوقف دجلة والفرات عن البوح بحكايات الأصمعي، وفلسفات المعري، وتخضع للتفتيش... يريدون - وهم أهلي - تمزيق حجابي، ويحررون - وهم أبناء جلدتي - شهادة موتي، حتى إذا تم الأمر، وضاقت الأرض بما رحبت عليّ، وفقدت جوادي، وعدتي وعتادي، وقلمي ومدادي، ويئست روحي، وذبل فؤادي، أعلنوا أنهم لم يجدوا أسلحة الدمار الشامل..!! ولكن لا تجزعوا، فهذا هو الإجراء العادل، لكي تتحرر المرأة من هذا السواد، الذي عطل مصالح البلاد والعباد، وقضى على ما بناه الأجداد، فليس إلا بخلع حجابي، تعود الأمة لواجهة التاريخ منادية الدنيا: أمجاد أمجاد..!! ■

الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوماً.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفتنا العزيزة: د.عزيزة المانع ، أستاذ التربية بجامعة الملك سعود والكاتبة الصحفية.
تقدم لنا شيئًا من وجهات نظرها فيما يلي:

عزيزة المانع :

أيتها النساء تخلين عن التفكير الحر

*** قبل الزواج قالت له: يكفينا عش عصفورة! بعد الزواج قالت له: لماذا عشة العصفورة «فلانة» أكبر من عشتي؟! إنها المرأة.**

إنها حماقة الرجل متى صدق أن عش العصفورة يكفي.

*** يفكر الرجل بصمت، وتفكر المرأة بصوت مسموع؟**

لأنها تحب الوضوح.

*** المرأة إنسان شديد التعقيد وشديد الحساسية!**

ولذلك يصعب على الأغبياء التعامل معها.

*** يستهدف تعليم الفتاة إعدادها للقيام بمهمتها الأولى في الحياة: أن تكون ربة بيت ناجحة وزوجة مثالية وأمًا صالحة!**

وما المهمة الثانية؟

*** ترديد بعض النساء مقولة «إن حقوقنا مكفولة» هو جزء من تكوين هش لذات امرأة دفعها التمسك بالنسق السائد إلى التفريط بحقوقها!**

هشاشة الذات من هشاشة القوانين.

*** ويسلب من المرأة حقها في العمل وفق ضوابط الإسلام دون مبرر!**

بعد سلب الذات يهون كل سلب.

*** البرامج التعليمية في مدارس تعليم البنات قاصرة عن إعداد المرأة إعدادًا فعليًا لأداء دورها الوظيفي!**

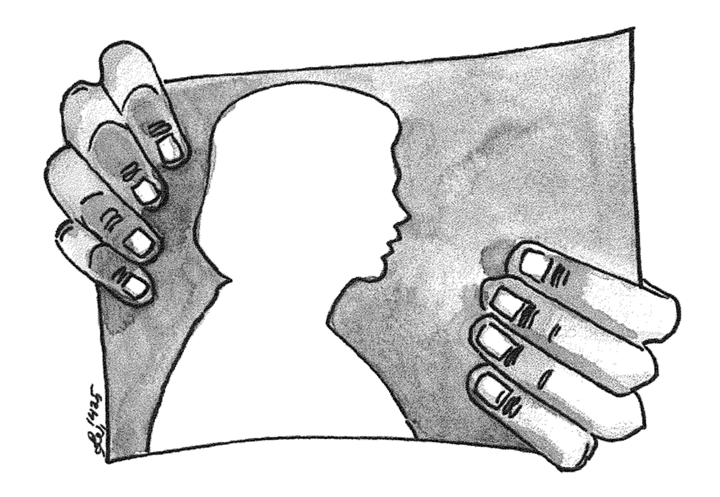
وهل الدور واضح المعالم؟

*** التعتيم الإعلامي المحلي لإنجازات المرأة ساهم بشكل كبير في تشويه الإعلام الغربي لصورة المرأة السعودية!**

ما الذي يكمن خلف التعتيم؟

*** الرجل لم يفهم معنى «القوامة» ولا يزال يعتبرها تسلطًا واستبدادًا!**

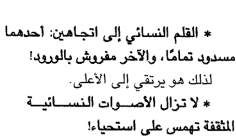
وعلى النساء مسؤولية إفهامه.



- هشاشة الذات من هشاشة القوانين .
- الرجل أحمق إن صدق قولها :«عش العصفورة يكفي » .
- الرجل يخاف « من» المرأة لا «عليها» .
- على النساء « إفهام » الرجال معنى « القوامة»!

لأن المرأة تحب الوضوح ، هي تفكر بصوت مسموع .

يصعب على « الأغبياء » التعامل مع المرأة!



*** القلم النسائي إلى اتجاهين: أحدهما مسدود تمامًا، والآخر مفروش بالورود!**

لذلك هو يرتقي إلى الأعلى.

*** لا تزال الأصوات النسائية المثقفة تهمس على استحياء!**

خوفًا أم عدم اقتناع.

*** شخصية المرأة تاهت بين المدخل الشرقي والصالون الغربي في حياتها.**

وإلى أن تجد الطريق ستظل تشرق حينًا وتغرب حينًا آخر.

*** الرجل يخاف على المرأة أكثر من خوفها على نفسها.**

يخاف منها لا (عليها).

*** وراء كل رجل عظيم امرأة. مقولة يضحك بها الرجال على النساء.**

لتحقيق مزيد من الاستلاب للنساء.

*** مشكلة المرأة انها ترضى بأنصاف الحلول دائمًا.**

(وياليته عاجب).

*** لاحياة للمرأة من غير زواج، ولا اعتراف لها بأي شيء من غيره.**

ما دامت تعيش في عالم وحيد الجنس.

*** المرأة هي الحل وهي المشكلة في الوقت نفسه!**

وداوني بالتي كانت هي الداء.

*** المطبخ وسيلة لكبح جماح المرأة.**

وسيلة لاصطياد الشرهين.

*** المرأة التي تتيح لنفسها حرية التفكير تواجه قسوة الراي العام.**

إذًا، أيتها النساء تخلين عن التفكير الحر.

*** ليس أقسى على المرأة من نفسها.**

هل هذا من الحسنات أم من السيئات؟!

*** القمة العربية النسائية.. أكثر فاعلية من «الرجالية».**

أخشى أن كليهما محروم منها.

*** الرجال هم الذين خلف الكواليس في «القمة النسائية».**

ذلك يتوقف على نوع القمة.

*** «نصف المجتمع معطل» مقولة «عاطلة».**

في زمن البطالة أخشى أن يكون المعطل أكثر من النصف.

*** المرأة هي التي سمحت بصورتها النمطية التي يقدمها الإعلام وخصوصًا التلفزيون وبشكل أخص «الإعلان».**

صحيح إلى حد ما.

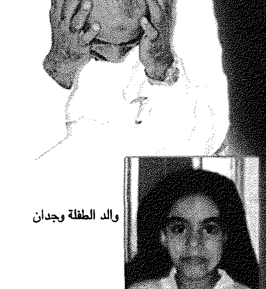
*** سر قوة المرأة تكمن في «ضعفها»!**

أي قوة!

*** لا يوجد مكان في العالم تتساوى فيه أجور المرأة مع الرجل بالرغم من قيامها بالعمل نفسه.**

ولكننا نستلم مرتبات متماثلة، أم أن المقصود شيء آخر غير مرتب الوظيفة؟

عزيزة المانع



والد الطفلة وجدان

وجدان كنديري

لا ضمير للإرهاب ولا وجدان!

«إن استشهاد الطفلة لا بد أن يكون دافعًا لكل مواطن بأن يكون رجل أمن».

الأمير نايف بن عبدالعزيز

«عادت كالمعتاد في الساعة الواحدة إلا عشر دقائق بعد الظهر. غيرت ملابسها وصلَّت الظهر.

كانت تلعب في فناء البيت مباشرة، تتسلى بمشاهدة الحَمام الذي اشتراه شقيقها الأكبر.

لم تأخذ حتى ٥ دقائق، ثم حدث الانفجار وتوفيت.

حدثتني بإحساس غريب ينتابها، كانت تقول: أحس أن الموت قريب مني.. فقلت لها: كيف؟ فأجابت: لا أعلم؟!.. أحس بضيق في صدري.. أشعر بأن نهايتي قريبة.

أبنائي مرعوبون ولا يكادون يصدقون ما حدث.. أصبحوا خائفين من الخروج من البيت الذي لم يتبق منه شيء!!».

والدة وجدان

«قتلوا صغيرتي وجدان دون رحمة وهي في عمر الزهور».

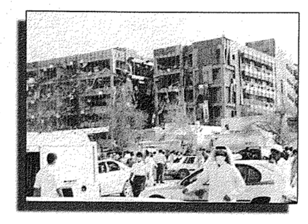
ناصر كنديري ـ والد وجدان

«...قالت لنا أختي روان التي كانت تلعب معها إن وجدان مغمى عليها، وهي الآن بالحوش فدخلت أنا ووالدي وأخي وعمي للبحث عنها، ولاحظ والدي طرف ثوبها تحت الجدار الذي وقع عليها بالكامل.. ثم قمنا بسرعة برفع الجدار الذي لا نعرف إلى الآن كيف استطعنا رفعه وقتها.. وإذا بأختي وجدان تنزف دمًا نتيجة سقوط الجدار عليها وارتطام حديدة السور برأسها».

مشعل كنديري ـ شقيق وجدان

«كانت طالبة متميزة ولم يحدث أن اشتكت منها إحدى زميلاتها، وكان من المفترض أن يتم تكريمها لتفوقها في اللغة العربية، وهو الأمر الذي لم يحدث لأن يد الغدر الجبانة اغتالتها!!».

حنان ـ معلمة وجدان



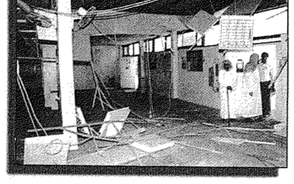
«كيف سيمر هذا اليوم بدونها؟!

أخبرتني يوم الأربعاء للمرة الأولى بأنها تحبني، وكانت سعيدة جدًا وتضحك بشكل لافت للانتباه...

وجدان طيبة جدًا، وتتقرب منا كثيرًا، ولا تفرق بين أحدنا والآخر، تعاملنا كلنا بطريقة متساوية.

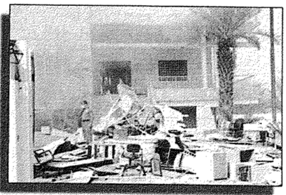
ماذا يفيدهم موت وجدان؟».

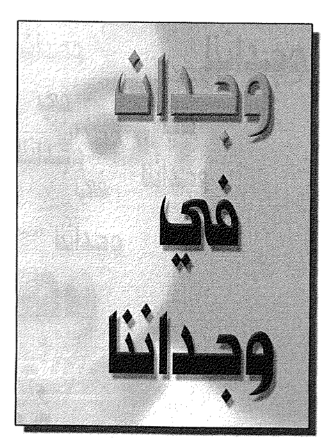
سارة المطيري ـ صديقة وجدان

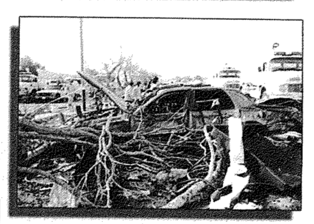


كنتِ ابتداء وامتدادًا
وهم خروج وارتداد
كنت الصباح
وهم الظلام بلا ضياء
كم نحبك أيها الرمز الجديد
«وجدان» كنت تتهجين حلمًا، وحروفًا أبجدية
عن سلام باتساع (الوشم) باتساع البشرية
لا تعرفين عن طيور الغدر أو شظايا المدفعية
أو عن الجلاد حين يغتال الضحية

أحمد سماحة









زياد الدريس
ziadd101@almarefah.com

المرأة.. نسف المجتمع!

«وراء كل رجل عظيم امرأة»، حسنًا فهمنا هذا.

لكن هل وراء كل امرأة عظيمة رجل؟!

أولاً: لماذا لا نسأل هذا السؤال عادة، هل لأننا نفترض أنه لا يوجد أصلاً «امرأة عظيمة» في الكون، حتى نبحث إن كان وراءها رجل أو جدار؟!

أم أنه لشدة وفائنا وإعجابنا بالمرأة، فإننا نعتقد أنه أيضًا: وراء كل امرأة عظيمة امرأة؟!

أم لأننا نفترض أن «الرجل» لا يليق به أن يكون «وراء» شيء.. أي شيء، لأنه دومًا في الأمام، وكل شيء وراءه؟!

أم أن النساء أنفسهن لا يردن الإقرار بمعروف الرجل في صنع امرأة عظيمة، لأنهن لو أقررن بذلك لانتهى حقهن في المطالبة بحقوق المرأة، وتحرير المرأة، ومساواة المرأة، وتسويق المرأة!

كل هذه ظنون.

أما المؤكد فهو أن المرأة - التي يقال دومًا إنها نصف المجتمع، وهي توشك بحسب الإحصاء السكاني أن تكون ثلاثة أرباع المجتمع، خصوصًا إذا استمر السفاح جورج بوش في رئاسة أمريكية ثانية! - هذه المرأة هي مضغة المجتمع التي إذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كله.

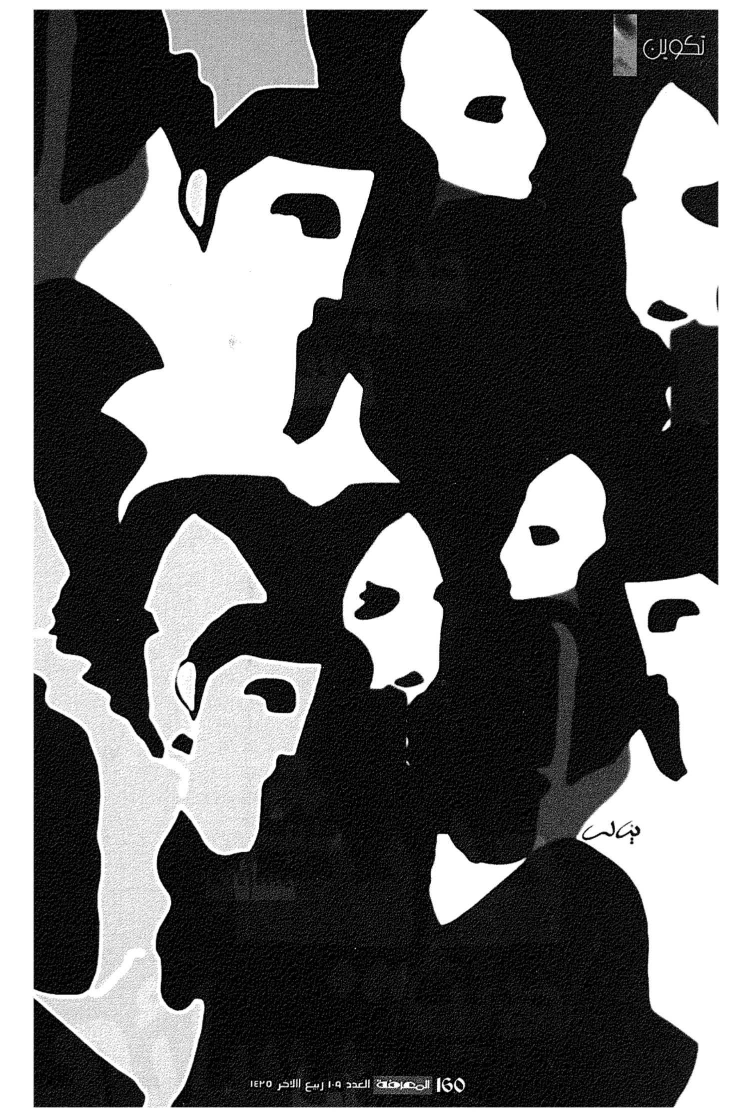
وإصلاح المرأة لا يعني توفير الوظائف لها - بحسب الموجة الحالية! - بل يعني تطوير الوظائف الحياتية لها. نحن لا نريد من سوق العمل أن تكون خالية من النساء، لكننا أيضًا لا نريد أن تكون البيوت خالية من النساء (إذا اعتبرنا الخادمات شيئًا آخر!).

المرأة.. يجب أن تكون عظيمة في اهتماماتها ومبادئها وقدراتها، ثم لتكن داخل البيت أو خارجه، فعظمتها ستمطر حيث شاءت وشئنا.

بالمرأة.. يمكن أن نصلح المجتمع، وبالمرأة يمكن أن نفسد المجتمع كله.

المرأة.. نصف المجتمع.

المرأة.. نسف المجتمع أو إصلاحه.




إنتاج
اليوم
المراعي
Almarai